

القرآن يتحدى  
الكتاب الرابع  
من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

تأليف

محمود بن عبد الرؤوف القاسم

{ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [فصلت: 53].

{ نِ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ، وَلَتَعْلَمُنَ نَبَأٌ بَعْدَ حِينٍ } [ص: 87 – 88].

(( خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ )) [الأنبياء: 37].

(( وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ )) [النمل: 93].

(( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) [العنكبوت: 43].

كلمة "العالمون" في هذه الآية تعني العالمين بموضوع المثل المضروب. إن كان المثل المضروب فلكياً فلا يعقله إلا العالمون بما يكفي من علم الفلك، وإن كان جيولوجياً فلا يعقله إلا العالمون بما يكفي من علم الجيولوجيا... وهكذا في بقية المواضيع. وللغة العربية ضرورية لفهم النص. ولا يدخل فيها علم الشريعة.

## مقدمة

مقدمة هذا الكتاب هي مجموع مقدمات كتب الإعجاز العلمي في الوحي المحمدي الثلاثة السابقة:

- براهين على أن الإسلام هو الحقيقة التي يبحثون عنها.
- من جغرافية القصص القرآني (مصر ليست مصر. وغيرها).
- في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن.  
فيرجع من يشاء إليها.

## للذكير

في فهم نصوص القرآن وصحيح السنة أتبع القواعد التالية:

— تفسير القرآن بالقرآن إن وجد.

— تفسير القرآن بما صح من السنة إن وجد.

— الأخذ بالمعنى اللغوي المعجمي الواضح المباشر المشهور.

— في الغالب، يوجد لكلمة في اللغة العربية أكثر من معنى، وقد ترد الكلمة في النص بمعنى غير المعنى المباشر المشهور، فنعرف عندئذ المعنى المقصود من قرينة في النص نفسه، أو من كون معناها المباشر المشهور يجعل النص متناقضاً مع نصٍ صحيح آخر، ففي هذه الحالة نبحث في المعجم عن معنى آخر لها يكون به النص منسجماً مع نصوص القرآن وكليات الإسلام وجزئياته، ومع الواقع المعروف يقيناً، لا وهمًا.

وأذكر أيضاً، أن آيات الآفاق والأنفس أنزلت من أجل عصورنا هذه التي توسع فيها كثيراً جداً عالم الشهادة بالنسبة للإنسان، ودليلنا على ذلك قوله سبحانه: {سَرِّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} وغيرها من الآيات التي رأيناها ونراها.

ويجب أن نعرف، وأن يعرف المسلمون كلهم، أن آيات الآفاق والأنفس الواردة في القرآن وصحيف السنّة هي سلاح ذري (لكنه لا يصنع الدمار وإنما ينشر الأمن والسلام والخير في الدنيا والآخرة) في أيدي المسلمين، وكل ما عليهم أن يعرضوها على من عندهم علم بموضوع الآية المعروضة، من جيولوجية وفيزيائية وفلكلية ونفسية واجتماعية وفيزيولوجية، وغيرها. {وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} هنا، تعني العالمين بموضوع المثل المضروب.

هذه الآيات، يجب على كل مستطيع تناح له الفرصة أن يعرضها على الناس من كل أهل الأرض، حيث يعقلها الذين يعلمون منهم، وبذلك يوضعون أمام الحقيقة الواضحة البينة، فإما أن يؤمنوا وإما أن يستكروا ويُعرضوا، وعندما نطبق هذه العملية بشكل واسع، فسنرى أن الذين

يستجيبون للحق وينقادون له كثيرون كثيرون، لأن عنصر الخير له رسوخ في النفس الإنسانية رغم ظهور عنصر الشر عليه في هذه الأوقات.

## الفصل الأول

### العقل والواقع

لا يستحق هذا العنوان أن يكون فصلاً لأنه لا يزيد عن كونه فقرة، لكن الاعتراضات التي سمعتها وأسمعها عند الكلام عن الواقع والتي يرددوها كثيرون عندما يقال لهم إن النص لا يمكن أن يكون إلهياً إن كان مختلفاً مع الواقع، لأنه في هذه الحالة، أي في حالة اختلافه مع الواقع، يكون كذباً وخرافة، ويكون قائله كذاباً وخرافياً أو واهماً، ويكون من يقبله جاهلاً خرافي التفكير، بل يكون ضالاً أو كافراً.

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [ النساء: 82].

لوجدوا فيه اختلافاً مع الواقع واختلافاً بين النصوص.

والكلمة التي سمعناها ويرددونها هي قولهم: "لا يجوز تحكيم العقل بالوحى" أو "العقل يغلط" أو غيرها مما لا يخرج عن هذا المعنى.

والجواب: إن الفرق بين العقل وبين الواقع هو كالفرق بين قصيدة امرئ القيس وبين جبال طوروس.

ولا أزيد على هذا، لأن المسألة من البداهة بحيث لا يحتاج إلى نقاش ولا بحث، ويمكن أن تحتاج إلى ابتسامة خفيفة يصاحبها ألم في القلب على مدى التخلف الفكري الذي تتخبط فيه قطاعات من أمتنا!!؟؟؟

إن النص الإلهي لا يمكن أن يكون مختلفاً مع الواقع غير المتوهם، لأن الذي خلق الواقع وأمر به هو الذي أنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه لا يكذب ولا ينافق نفسه ولا يتلاعب بعباده؛ رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وعليه فكل نص يختلف مع الواقع غير المتوهם لا يكون إلا مكذوباً على الرسول صلى الله عليه وسلم كائناً مصدره ما كان.

## الفصل الثاني

### توضيحات

#### بعضها مكرر للحاجة إلى تكرارها

### العلم المسبق

(( وَيَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) [العنكبوت: 43]

لقد ضرب الله سبحانه في القرآن للناس من كل مثل، بدليل قوله سبحانه:

— (( وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدِلًا ))

[الكهف: 54]

— (( وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ... )) [الزمر: 27]

وفي القرآن آيات أخرى بهذا اللفظ.

وعندما يضرب الله سبحانه لنا مثلاً فإنه يضربه بشيء مما خلق في هذا الكون، وبما أنه سبحانه يخبرنا أنه ضرب لنا من كل مثل، ولم يستثن، فهذا يعني أننا نجد في القرآن وفي صحيح السنة مثلاً أو أكثر مما خلق في عالم الفلك، ومثلاً أو أكثر مما خلق في عالم الجيولوجيا، ومثلاً أو أكثر مما خلق في عالم الفيزياء، وكذلك في الجغرافيا وفي التاريخ وفي التشريح وفي الفيزيولوجيا وفي علم النفس وفي علم الاجتماع... أو باختصار في "علوم الآفاق والأنفس" وهذا ما تعنيه الآية الكريمة { سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }.

ولا يعقل المثل المضروب إلا العالمون بما يكفي من العلم الذي يندرج فيه المثل، إن كان فاكياً فلا يعقله إلا العالمون بما يكفي من علم الفلك، وإن كان جيولوجياً فلا يعقله إلا العالمون بما يكفي من علم الجيولوجيا.. وهكذا. وللغة العربية ضرورية لفهم المثل.

وعلم الشريعة ليس داخلاً في هذا الميدان، ولكن يجب أن تدخل هذه المواضيع في علوم الشريعة.

## تفسير الآيات العلمية (آيات الأفق والأنفس)

يلاحظ في وقت كتابة هذه الكلمات وقبلها بمدة، ظهور مقولات تقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر القرآن كله لأصحابه، وهذه التفسيرات العلمية غير جائزة. ويستدل بعضهم على ذلك بالآية: (( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَقْعُلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ )) [المائدة: 67] (...

والجواب:

1 – إن الرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ ما أنزل إليه من ربّه، فقد بلّغ القرآن والحكمة، وبين صلى الله عليه وسلم لل المسلمين ما أمر أن يبيّنه من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات.

أما الآيات العلمية، آيات الأفق والأنفس، فلم يؤمر بتبيينها بدلالة قوله سبحانه:

{ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }.

وقوله سبحانه:

(( وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ )) [ص: 88]

وقوله سبحانه:

{ كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } 3 { ثُمَّ كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: 3–4]. وغيرها من الآيات التي مررت.

ويجب أن نعلم أن التبليغ غير التبيين والتفسير.

إنما نرى واضحاً في الآية الأولى أن آيات الأفق والأنفس لم تُعلم للصحابة ولا لغيرهم؛ لأنها لم تنزل في الأساس من أجلهم وإنما من أجل هذه العصور الأخيرة، عصور العلم بكثير من حقائق الأفق والأنفس لتكون برهاناً على أن القرآن هو الحق وأنه لا يمكن أن يكون إلا وحياً من الله سبحانه، فأهل هذا العصر هم الذين يستطيعون أن يعلّموها ويعقلوا أنها الحق لأنهم علموا حقائقها الكونية. ولو بينها

الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت كانت فتنة لكثير منهم إذ كان من المستحيل أن يعلوها، والذين كانوا سبئون بها انطلاقاً من إيمانهم بأن محمداً رسول الله ما كانت لتكون لديهم أية دلالة أو برهان على صدقه صلى الله عليه وسلم، وإنما تكون لهم كالجنة والنار واليوم الآخر والملائكة وغيرها من الأمور الغيبية التي كان الكافرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم يكذبونها، وكان المؤمنون يؤمنون بها انطلاقاً من إيمانهم أن محمداً رسول الله، ثم لذهب تأثيرها الإعجازي بالنسبة لأهل هذه العصور.

على كل حال يكفينا نص الآية: {سُرِّيهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ} الواضحة كل الوضوح أن المسلمين الأوائل لم يروا هذه الآيات، وأنها ستُرى في المستقبل بالنسبة لزمن نزولها، وأكرر: إن التبليغ شيء، والتفسير والتبيين شيء آخر.

والذي يقول إن محمداً صلى الله عليه وسلم بين آيات الآفاق والأنفس لأصحابه فهو إما أنه لم ينتبه لهذه الآية (ومعها غيرها) أو إنه يكذب بهذه الآيات، أو يتهم الصحابة رضوان الله عليهم بكتمان ما علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم نرى الآية الثانية: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأً بَعْدَ حِينٍ} التي تعني بوضوح كلي أن الصحابة لم يعلموا نبأ القرآن (إلا العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات التي نرى توضيحها في نصوص القرآن وصحيح السنة).

وهذا يعني أن الذي يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم بينها لأصحابه، فهو إما أنه لم ينتبه لهذه الآية وغيرها من مثلها، أو إنه يكذب بها، أو يتهم الصحابة بعدم تبليغها.

2 – نرى في كتب التفسير أن المفسرين أوردوا أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في الآيات التي ورد له تفسير فيها، ونرى أن غالب الآيات لم يوردوها فيها شيئاً من ذلك، فهل كانوا كاتمين للعلم فلم يبينوه؟ (معاذ الله).

3 – لنقرأ الآية من أوائل سورة آل عمران: (( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفُتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ )).

واضحٌ من هذه الآية أن الآيات المتشابهات كانت مجهرة لديهم تفاسيرها الحقيقة، وهذا يعني أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بتفسيرها لهم. وكل آيات الآفاق والأنفس كانت بالنسبة لهم من المتشابهات.

4 – يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله أمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إليّ، فأرجو أن تكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة". (البخاري ومسلم).

ونعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله إلى البشر كافة حتى يوم القيمة، وكانت المعجزات التي أُعطيها ليؤمن عليها قومه هي قبل كل شيء فصاحة القرآن وبلاعته وسبك جمله، وهو الأمر الذي كان موافقاً لعصره صلى الله عليه وسلم وقومه أولاً، ثم الأخلاق التي كان البشر بعيدين عنها، بل وبعيدين عن التفكير بها، ثم سلوك المسلمين مع المسلم والكافر، مع الصديق والعدو، ذلك السلوك الذي ينبع من احترام إنسانية الإنسان أولاً، مع احترام حق الحياة لكل كائن حي إلا إن كان مؤذياً أذى دائماً. وكذلك الانتصارات التي قد يظن الجاهل عندما يسمعها أنها من القصص الأسطورية.

وهنا أقول، إن تلك الانتصارات العجيبة لم تكن خاصة بهم فقط، بل هي ممكنة لأجيالنا أيضاً ولكل الأجيال إذا حفظوا حدود الله سبحانه، وفي مقدمة هذه الحدود الصدق والأمانة، ثم العقيدة السليمة، ثم فهم الواقع فهماً صحيحاً لا كالفهم المسيطر على مجتمعاتنا الآن والذي بثه فيينا الماركسيون أولاً، لكنهم كانوا غير مقبولين عند المسلمين، فأُوجِد مجلس الدراسات في المحور السري "تل أبيب – موسكو" ما سموه حزب التحرير الذي صار ينشر الأفكار الماركسية مقنعة بقناع إسلامي وباسم الإسلام، فضلوا وأضلوا، ومن تلك الأفكار الضالة المضللة تعليقهم سبب انتصارات إسرائيل علينا بالحكام الذين يقفون عقبة أمام المد الماركسي وتناسيهم قوله سبحانه: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد: 11] قوله سبحانه: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلُفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)) [النور: 55] وغيرها من الآيات. وأيضاً من أفكارهم المناقضة لنصوص القرآن وصحيح السنة والتي هي أفكار ماركسية أليسوا ثواباً إسلامياً؟؟!!

— نعود إلى موضوعنا:

إن فصاحة القرآن وسمو الأخلاق التي جاء بها كانت معجزة لأهل تلك العصور، أما في هذه العصور الأخيرة فقد فقدنا فيها الذوق اللغوي العربي الذي كان عند أهل تلك العصور فلم نعد نشعر بفصاحة القرآن وإحكام سبك جمله، ولم تعد للأخلاق الأصلية قيمة عند البشر كلهم، بل تولدت أخلاق جديدة قسم منها بعيد عن الأخلاق، وبهذا انعدم الشعور بالإعجاز القرآني المذكور، أو تضليل كثيراً.

فهل انتهت وظيفة الرسالة المحمدية؟؟؟

لا، إنها لم تنته لأنه صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى بنى البشر حتى يوم القيمة. وأهل هذه العصور سيطرت المفاهيم العلمية ومحاولة معرفة حقائق الوجود على عقولهم، باستثناء بعض المجتمعات المختلفة فكريأ؟

وبناءً على قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور: "ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما أمن عليه البشر وإنما كان الذي أُوتيت وحيًا أُوحى الله إلي..." نعرف أنه صلى الله عليه وسلم أُوتى من آيات القرآن ما يؤمن عليه بشر هذه العصور الذين سيطرت على عقولهم المفاهيم العلمية. فتكون الآيات التي أُوتتها آيات علمية تذكر حقائق من حقيقة الوجود كان كل البشر يجهلونها ولم تُعرف إلا في هذه العصور الحديثة.

فما هي هذه الآيات؟

إنها ولا شك تلك الآيات العلمية، آيات الآفاق والأنفس، التي وردت في الكتب "براهين ، ومن جغرافية القصص القرآني، وفي مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، وفي هذا الكتاب". وفي القرآن غيرها وخاصة من آيات الأنفس.

ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآيات لأصحابه لذهب تأثيرها الإعجازي على أهل هذه العصور، أو على الأقل، لتضليل كثيراً جداً لأننا كنا سنرى الآن الآلوف المؤلفة (أي الملايين) من يقولون إن هذه الحقائق كانت معروفة ولم يأت محمد صلى الله عليه وسلم بجديد.

5 — أقول: يا أيها الذين يقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر كل القرآن لأصحابه، فسروا

لنا، إذن، لم امتدت أيدي المفسرين إلى الإسرائييليات التي نراها مستفيضة في كل كتب التفسير، حتى تفسير ابن كثير الذي قال عنه بعضهم إنه خال من الإسرائييليات، ومع ذلك فهو يحوي كثيراً منها، ونرى أن هذه الإسرائييليات موجودة كلها، أو أكثرها، في تفسيرهم للآيات الأخرى غير آيات العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمضى حياته الرسالية في تبيين العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وتوضيح تفرعاتها، فكان المفسرون فيها على المحجة البيضاء، لا يحتاجون مع توجيهاته صلى الله عليه وسلم إلى غيرها، (إلا أهل الفرق الضالة).

أما الآيات الأخرى غير العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، فهي الآيات التي شرّق فيها المفسرون وعرّبوا واجتهدوا فيها حسب طاقاتهم المعرفية، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبينها لهم، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بذلك.

6 – عندما نقرأ كتب التفسير نرى الآيات الكثيرة التي اختلفت أقوال المفسرين بتفسيرها سواءً كانوا من الصحابة أو من جاؤوا بعدهم.

فلم كان محمد صلى الله عليه وسلم كان قد فسرها لهم لما اختلف فيها اثنان إلا إن كانوا يجهلان قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها، فain هي أقواله صلى الله عليه وسلم فيها؟ إن كانت قد ضاعت أو نسيها الصحابة (وهذا غير وارد وإنما أوردها للتساؤل) أقول إن كانت قد ضاعت أو نسيت فيها هي الآن الآيات أمامنا بلغتها العربية البينة الواضحة، وهذا هو واقعها في الآفاق صار معلوماً لنا علم اليقين، أما واقعها في الأنفس فلم يزل أكثره مجهولاً، لأن علم النفس الذي يسمونه "علمًا" قد تلاعبت به الأهواء الماركسيّة ومن ورائها اليهودية، كما أن تجاربه أجريت على نفوس ممسوحة (ونرى بيان هذا في فصل آخر في هذا الكتاب) لذلك كانت معطيات هذا العلم مشوبة بكثير من الأغلاط.

ويجب على علماء المسلمين العمل على استنباط علم النفس الحق من القرآن وصحيح السنة ومن تجارب تأخذ في حسبانها مسبقاً أنها تجري على نفوس ممسوحة أو فيها بعض المسوخ.

وأضرب بعض الأمثلة على آيات الآفاق واختلاف المفسرين في تفسيرها وأخذهم أحياناً الكلمة بمعنى لا تحتمله لغتها:

— قوله سبحانه: ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتَيْ الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا )) [الرعد: 41].

((أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتَيْ الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا )) [الأنبياء: 44].

لقد مر تفسيرهما في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن" وفيه هناك الأقوال المختلفة للمفسرين في تفسيرهما (أو في تفسيرها)، لكن الذي يهمنا هنا أنهم لم يقبلوا المعنى الواضح، فمثلاً قال عكرمة: "لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقع فيه ولكن هو الموت"، وقال الشعبي: "لو كانت الأرض تنقص لضاف عليك حشك" ثم اختلفوا بعد ذلك في ماهية النقص فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يروى عنه أربعة أقوال:

1 — تفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض.

2 — القرية تغرب حتى يكون العمران في ناحية.

3 — نقصان أهلها وبركتها.

4 — خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير فيها.

— الشعبي يقول: تنقص الأنفس والثمرات.

— والحسن البصري والضحاك يقولان: هو ظهور المسلمين على المشركين.

فلو كان فيها شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم لما اختلفوا، مع ملاحظة يحسن أن نتبه لها، وهي أن علوم عكرمة رضي الله عنه هي من علوم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في أكثرها.

أما الآن، فقد علم الواقع علم اليقين، علم بواسطة الأقمار الصناعية المجهزة بأجهزة الرصد الدقيقة، أن الأرض تنقص من أطرافها، من الطبقة الهوائية الأطرافية، (الطبقة الخارجية "exosphere"<sup>(1)</sup>) حيث تتفلت منها الذرات الخفيفة ذاهبة في فضاء ما بين النجوم. وقد مر تفصيل ذلك في كتابنا المذكور قبل قليل.

---

(1) — مر تفصيل طبقات الهواء في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن" فيمكن الرجوع إليه.

وقد قدّروا بالحسابات، أن الأرض كانت عندما فُتقت قبل 4.5 مليار سنة أكبر منها الآن بعشرات من المرات يمكن أن تزيد على مئة مرة، كما يقول د. زغول النجار، وهو تقدير نظري ولو بني على حسابات منطقية. أما اليقين فهو أن الأرض الآن أصغر بكثير مما كانت عليه عندما فُتقت، وعلم هذا الكثير عند الله سبحانه، ويعلمه الملائكة الذين خلقوا في تلك الأزمنة وشاهدوها. ونرى الآيتين تصفان هذا الواقع بدقة ووضوح ((أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتَيُ الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا..)) [الرعد:41].

فهل علينا، إكراماً لبعض الأهواء، أن نغمض الطرف عن هذا التوافق العجيب بين نص الوحي وبين الواقع الذي صار معلوماً، بل صار ملماساً؟؟ وهل علينا، إكراماً لبعض الأهواء، أن ننسف هذا التوافق الإعجازي بين النص والواقع، ونهبط بالقرآن إلى مصاف الأديان الخرافية والأسطورية؟  
— لا، لا، إنها آيات القرآن في الآفاق.

((سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ )) [فصلت:53]  
— إنها حجة واهية لا دليل عليها، حجة القائلين إن محمداً صلى الله عليه وسلم فسر القرآن كله لأصحابه ولا يجوز أن نخرج عما كتب في كتب التفسير.

— ولنقرأ الآية التالية:  
(( وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَتَّلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَّاً )) [الكهف:54].

— ولنقرأ أيضاً:  
(( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) [العنكبوت:43].  
ولنعد أيضاً قراءة قوله سبحانه:

(( وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ )) [ص:88].  
— ولنتدبّرها بإمعان.

— ثم لنتقل إلى آية ثانية

يقول سبحانه:

— (( وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيٌّ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا ... )) [النحل: 15].

— (( وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيٌّ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ )) [الأنباء: 31].

— (( وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا )) [النبا: 7].

نقرأ تفسيرها من تفسير ابن كثير. يقول في الآية الأولى:

... ثم ذكر تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات لنقر الأرض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنا لهم عيش بسبب ذلك، ولهذا قال: (( وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا )) اهـ.

يقول في الآية الثانية: قوله (( وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيٌّ )) أي جبالاً أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها.. اهـ.

ويقول في الآية الثالثة:

(( وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا )) أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها.. اهـ.

نلاحظ أنهم كانوا يعرفون معناها، فالجبال أوتاد ورواسي يثبت الخالق سبحانه بها الأرض أن تميد..

لكن كيف يتم ذلك؟ وكيف هي أوتاد؟ وكيف ثبتت الأرض بها فلا تميد؟

كل هذا كان مجھولاً لديهم، ولو شرحها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لما عقلوها! لأن ذلك يقتضي أن تكون لديهم علوم مسبقة عن الأرض وجيولوجيتها وبعض جغرافيتها، وعن بعض قوانين الفيزياء الخاصة بموضوعها، وأن يكون عندهم علم بشيء من الكيمياء وبعض قوانينها، وعلم بما يكفي من الحساب.

وهذا هو معنى قوله سبحانه: (( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ))  
[العنكبوت: 43].

وهذا كله يدلنا على أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشرحها وتفصيلها لأصحابه، وذلك لأن المهمة التي كانت منوطه بهم هي نشر الإسلام في العالم بعقائده وعباداته وأخلاقه ومعاملاته التي هي الضرورة الأساسية والأولى للإنسان على هذه الأرض، والتي هي الهدف الأساسي من رسالات الرسل. هذا من جهة

ومن جهة ثانية، لم تكن هذه الآيات العلمية منزلة من منزلة من أجل تعلمها! وإنما كانت – ولم تزل – منزلة من أجل عصر اتساع معارف الإنسان في هذه العصور وما بعدها حتى يوم القيمة، ومن أجل أن تكون برهاناً ساطعاً لأهل هذه العصور وما بعدها على أن القرآن هو الحق من ربهم.

((سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ )) .

وكانت آيات الآفاق والأنفس هذه لهم مثل آيات الصفات الحسني التي نعرف معناها ونجهل كيفية مثل قوله سبحانه:

(( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى )) [طه: 5] التي تبين لنا بوضوح أنه سبحانه مستوٍ على العرش، لكن كيف هذا الاستواء؟

الجواب: نجهل هذا الكيف جهلاً كاملاً ولا يمكن معرفته أبداً إلا يوم القيمة لمن كان من أهل الجنة. جعلنا الله سبحانه منهم ووكانا عذاب النار.

ومثل قوله سبحانه:

((مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي )) [صـ: 75].

((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِينَا أَنْعَاماً )) [يس: 71].

التي تبين بوضوح أن الله سبحانه يَدِين، لكن كيف؟

الجواب: نجهل كيف هما هاتان اليدان كل الجهل ولا يمكن معرفة كيفيةهما أبداً إلا يوم القيمة إن كنا من أهل الجنة، جعلنا الله سبحانه من أهل الجنة ووكانا عذاب النار.

والفرق بين آيات الصفات الحسنى وآيات الآفاق والأنفس هو أن الصفات الحسنى لا يمكن معرفة كيفيتها إلا يوم القيمة لمن كان من أهل الجنة، وأهل النار عندها مبعدون.

بينما آيات الآفاق والأنفس نزلت من أجل معرفة كيفيتها في هذه الحياة الدنيا، ويشترك في معرفتها أهل النار وأهل الجنة، وأهل النار هم السابقون إلى ذلك لتكون برهاناً لهم على أن القرآن هو الحق والمسلمون مكلفوون بتبلیغ ذلك إليهم.

وأعيد مكرراً للتذکیر بالآلية الكريمة:

(( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) [العنکبوت: 43].

وطبعاً وبدهياً أن كلمة ((الْعَالَمُونَ)) هنا تعني العالمين بالمواضيع (أو علوم الآلة) التي تختص بالمثل المعروض للتدبر.

فاللغة العربية وحدها لا تكفي، وعلم الجيولوجيا وحده لا يكفي، وعلم الفلك والفيزياء الفلكية وحدها لا تكفي، وعلم الشريعة ليس له دور في هذا الموضوع.

وإنما المطلوب هو هذه العلوم مجتمعة، أو ما يكفي من كل علم من هذه العلوم مجتمعة. وهذا بمناسبة إيراد الآيات الواردة في هذا المبحث ((أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتَى الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا )) ((وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ )) (( وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا )) .

بهذه المناسبة، ومع أن هذه الآيات وردت في بحوث سابقة في الكتب السابقة، وورد هناك السؤال أو الأسئلة "كيف جاءت هذه الحقائق المذهلة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم؟"

مع ذلك أعود هنا فأكرر السؤال:

كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم أن الجبال أوتاداً وأنها رواسي تمنع الأرض أن تميد؟؟

كيف عرف هذا الذي لم يُعرف إلا بعد الحرب العالمية الثانية في أواخر الأربعينيات من القرن الميلادي العشرين؟ كيف عرف هذا؟

لا يوجد أي تعليل إلا أنه وحي من لدن علیم خبیر.

وكيف عرف صلی الله علیه وسلم أن الأرض تُنقص من أطراها؟ هذه الحقيقة التي عرفت في النصف الثاني من القرن العشرين عندما توصلوا إلى إرسال الأقمار الصناعية إلى مدارات حول الأرض وهي مزودة بالآلات الرصد المتغيرة الدقيقة!

فكيف جاءت على لسان محمد صلی الله علیه وسلم قبل هذا العصر بأكثر من ألف وأربع مئة سنة؟! كيف؟

لا يوجد أي تعليل أبداً إلا أنه وحي من لدن علیم خبیر.

((سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ )) .

((وَيَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرُبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) .

وأقول: إن كل آية من هاتين الآيتين "آية الجبال، وآية نقص الأرض من أطراها" كافية وحدها للبرهنة على أن القرآن وحي من الله سبحانه، ولا يمكن أن يكون خلاف ذلك، كيف ومعها ذلك الزخم من الآيات والأحاديث؟! كيف؟

## إِلْهَاقُ لَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ

مر في هذا المبحث قبل صفحات، أنهم قدّروا بالحسابات أن الأرض كانت عندما فُتقت قبل 4.5 مليار سنة أرضيةً أكبر منها الآن بعشرات من المرات.

فكيف قدروا هذا التقدير؟

يُرسل القمر الصناعي ليدور حول الأرض مجهزاً بأجهزة رصد دقيقة متقدمة. منها ما هو مخصص لرصد جو الأرض، ومنها ما هو مخصص لرصد الكواكب القريبة (الجارات) وما هو مخصص لرصد النجوم الأخرى... إلخ.

وفي حالة موضوعنا هنا يوضع القمر الصناعي في مساره ليدور حول الأرض دورة واحدة كل أربع وعشرين ساعة، وتكون دورته بنفس اتجاه دورة الأرض حول محورها، وبذلك يبقى ثابتاً فوق بقعة من الأرض لا يتتجاوزها إلى غيرها، ويكون بعد مساره عن الأرض متناسباً مع سرعته ومع وزنه حسب معادلة رياضية معلومة، وبنفس الوقت يكون هذا المسار مناسباً تماماً لدراسة الطبقة الهوائية التي يراد دراستها، وفي حالتنا هنا، الطبقة الهوائية المعنية هي الطبقة الأطرافية "exosphere" التي منها تنتقل الذرات الخفيفة إلى الفضاء.

يكون (في القمر الصناعي) الجهاز المخصص لدراسة تقلّت الذرات الخفيفة من الطبقة الأطرافية إلى فضاء ما بين النجوم مُبرمجاً لرصد مساحة محددة من السطح العلوي للطبقة المذكورة، حيث يسجل كمية التسرب في وحدة زمنية تُختار، ولتكن "الساعة" مثلاً، تدرس كمية التسرب في الأوقات المختلفة: في النهار، في الليل، في الفصول الأربع. ويمكن تغيير موقع القمر الصناعي ليحلق ثابتاً فوق بقعة أرضية أخرى. وبذلك يكون قد انتقل جهاز الرصد ليرصد مساحة أخرى من السطح العلوي من الأطرافية غير المساحة التي درسها أولاً، حيث يقوم برصد للذرات الخفيفة التي تنتقل من هذه المساحة الجديدة في الأوقات المختلفة كما كانت العملية في الموقع الأول.

ثم ينتقل إلى موقع ثالث ورابع.. ويمكن إرسال قمر آخر لدراسة التسرب فوق القطبيين بتقنية مختلفة.

من كل هذه الدراسات التي قد تستمر سنوات عدة يؤخذ متوسط انفلات الذرات من كل الطبقة الأرضافية، وبالتالي من كل الأرض في سنة واحدة، ويضرب هذا المتوسط السنوي بـ 4.5 مليار يحصل على المقدار الاحتمالي للكمية التي انفلتت من الأرض، مع العلم أن كمية الانفلات تكون أقل عندما تكون الأرض أكبر، وذلك لأن جاذبيتها تكون عندئذ أشد، كما تكون كمية الانفلات أكثر عندما تكون حرارة سطح الأرض أعلى.

وهكذا توصل إلى أن الأرض كانت عندما فتقت قبل 4.5 مليار سنة أرضية أكبر منها الآن.

((أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا )) .

أبداً، أبداً، أبداً... لا يوجد أي احتمال أبداً لمجيء هذه الآية عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنها وهي من لدن عليم خبير.

— إنها وحدها كافية للبرهنة على أن محمداً رسول الله ، فكيف ومعها عشرات مثلها؟!

وقبل الانتقال من هذا المبحث، يجب التتبّيه إلى ملاحظة هامة؟

سمعت تعليقاً على هذه الآيات العلمية يقول: إنها ليست إعجازات، وذلك لأن الإعجاز هو شيء يعجز البشر عن المجيء بمثله، وهذه الحقائق العلمية عرفها البشر عن طريق البحوث والتجارب، فذهب بذلك كون آياتها من الإعجاز !!

والجواب ذو شقين:

الجواب الأول هو سؤال: هل كان بإمكان البشر كلهم مجتمعين أو متفرقين أن يعرفواحقيقة واحدة من هذه الحقائق الكونية، وذلك منذ وجود البشر على الأرض، حتى قبيل قليل من السنين؟

لقد كان البشر كلهم عاجزين حتى عن التفكير في مثل هذه الأمور.

## إذن فهي آيات معجزات

والجواب الثاني: هذه الآيات لا تكون آيات لو بقي البشر جاهلين بها، ولا تكون لها فائدة بالدلالة على أن القرآن لا يمكن أن يكون إلا من لدن عليم خبير، إذ عندما عرفت حقائقها الكونية عُرف أنها الحق من عند الله سبحانه، ولو لم يعرف البشر في هذا العصر حقائقها في الواقع لبقيت مجرد آيات تتلى للتعبد بها فقط.

— عندما علمت حقائقها الوجودية تبين أنها الحق.

((سَرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ )) .

وها هو سبحانه صدق وعده فأرى الناس آياته في الآفاق وفي الأنفس التي ذكرها في القرآن الكريم قبل أن يعرف البشر أي شيء منها بأكثر من ألف سنة ومئات.

وقد أوردت عشرات الكثيرة من تلك الآيات العجيبة في الكتب السابقة "براهين — من جغرافية القصص القرآني" (مصر ليست مصر) — في سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن — وهذا الكتاب الذي أمام ناظر القارئ.

وبقي آيات كثيرة في القرآن ستظهر حقائقها بعد حين، وخاصة آيات الأنفس التي تشمل حقائق من علم النفس وعلم الاجتماع والفيزيولوجيا والتشريح. وقد مر بعضها في السلسلة المذكورة وبقي منها الكثير.

وهناك أكثر التنبية إلى أن علم النفس المتدالو الآن والذي يدرس في المعاهد العلمية فيه كثير من الثغرات والهفوات، بل والدجليات أيضاً. وتوضيح هذا في مكان آخر في هذا الكتاب.

## فهم نصوص الوحي حسب سنن الله سبحانه في خلقه

إنني ملتزم بفهم النصوص حسب المفاهيم العلمية الواقعية، حسب سنة الله سبحانه في خلقه التي لا تحويل لها ولا تبدل، وهذا بالنسبة لكل نصوص الوحي بشكل عام، إلا؟  
إلا إذا كان النص صريحاً، يذكر الخارقة أو المعجزة بلغة واضحة بيّنة. مثل:

— مثل قوله سبحانه: ((قُلْنَا يَا نَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)) [الأنبياء: 69]، التي تعني بوضوح واضح أنه ألقى في النار فكانت عليه برداً وسلاماً.

— مثل: ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ)) [الأنعام: 75] التي تقول بلغة واضحة بيّنة إنه صلى الله عليه وسلم رأى ملکوت السماوات والأرض، أي عُرِجَ به، لأنَّه حسب سنة الله سبحانه في خلقه لا يمكن أن يرى ملکوت السماوات والأرض إلا إذا طاف بها، وهذا يعني العروج.

— مثل: ((وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَتَظَرُّفُونَ)) [البقرة: 50].

— مثل: ((وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْتَانَا عَشْرَةَ عَيْنًا)) [البقرة: 60].

— مثل: ((إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِّدِينِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُّسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهِيَّةً الطَّيْرِ بِإِذْنِنِي فَتَنَفُّخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِنِي وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِنِي)) [المائدة: 110].

— مثل: ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ)) [الإسراء: 1].

— مثل: ((وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى)) [النجم: 13] (أي رأى جبريل عليه السلام)

(( عِنْدَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ {14} عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ {15} إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى {16} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ {17} لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَبُرَىٰ )) [النجم: 14-18].

لنتتبه إلى التشابه هنا بين الآية "لقد رأى (أي محمد صلى الله عليه وسلم) من آيات ربه الكبرى" وبين الآية (( وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ))، فكلاهما تدلان على العروج.

— ومثل الأحاديث الصحيحة التي تذكر بوضوح المعجزات النبوية.

وطبعاً، نفهمها حسب ما تقتضيه لغتها العربية الواضحة المباشرة.

أما النصوص التي تذكر حدثاً ما، ولا تكون مبينة بصرامة ووضوح كيفية حدوثه، فلا يجب أن نفهمها إلا حسب ما تقتضيه سنن الله سبحانه في خلقه.

— التي لا تبدل لها ولا تحويل ((فَلَنْ تَجِدَ لِسُنْنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنْنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا)) [فاطر: 43].

— التي هي من أوامر الله سبحانه، وأوامره سبحانه مستقرة ثابتة ((وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌ)) [القمر: 3].

— التي يخضع لها كل مخلوقات الله سبحانه من أجلها وأعلاها إلى أدناها ((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ )) ((وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْعُولًا)).

وسنن الله سبحانه في خلقه هي التي يسمونها بلغة العصر الحديث "قوانين طبيعية، أو قوانين كونية".

والأمثلة على ذلك كثيرة أظن أن المثل التالي يكفي للتوضيح:

من الإسرائيليات التي تسررت إلينا وتبنيناها على أنها حقيقة تاريخية تلك الأسطورة التي تقول إن إبراهيم عليه السلام ولد وعاش في العراق ثم هاجر إلى فلسطين وأقام فيها... ثم توفي فيها في مدينة الخليل.

لكن هذا لا يستقيم أبداً مع ما ورد من أخبار عنه صلى الله عليه وسلم في القرآن.. وفي صحيح السنة؟ ولنقرأ:

– ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعِلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ))  
[ابراهيم:35].

– ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ )) [ابراهيم:37].

– ((فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنْيَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ )) [الصفات:102].

لنتبه هنا إلى عبارة ((فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ )) التي تشعرنا بما يقرب من الوضوح أنه صلى الله عليه وسلم كان يراه قبل أن يبلغ معه السعي، وهذا يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التردد على إسماعيل وأمه عليهما السلام.

((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى )) [البقرة:125].

لنتبه هنا إلى عبارة ((مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ )) التي تشعرنا أنه كان يكثر فيه القيام أكثر من غيره، ولو لا ذلك لكان هناك مئات الأماكن أو الوفها يمكن أن تسمى "مقام إبراهيم" لأنه، بدهياً كان يقيم في كل منها المرة والمرتين والثلاث والأربع.. وأكثر من أربع، ولم تسم "مقام إبراهيم"!؟

– ((وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتَيِ الْطَّاغِيَنَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكُعَ السُّجُودَ ))

[البقرة:125].

لنتبه إلى عبارة ((أَنْ طَهَّرَا بَيْتَيِ الْطَّاغِيَنَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكُعَ السُّجُودَ )) التي نفهم منها بوضوح كامل أنه كان عملاً مستمراً أو شبه مستمر، منذ أن نزل هذا الأمر إليهما صلوات الله عليهما، لأن الطائفين والعاكفين والركع السجود كان (ولم يزل) وجودهم مستمراً عند البيت أو شبه مستمر.

– ((وَإِذْ يَرْقَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَ ))  
[البقرة:127].

– ((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتَيِ الْطَّاغِيَنَ وَالْقَائِمِينَ  
وَالرُّكُعَ السُّجُودَ . وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ))  
[الحج:26 – 27].

لذنتبه، في هذه الآية من سورة الحج وفي آية سورة البقرة التي قبلها، إلى قوله سبحانه: ((لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ)) و ((لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ)) ومعناهما واحد، فلذنتبه إلى أن الطائفين يأتون إلى البيت الحرام في موسم الحج، ويمكن أن يكونوا يأتون في مواسم أخرى معينة لديهم. أما العاكفون القائمون فهم عاكفون قائمون في البيت، يقيمون فيه الأيام الكثيرة أو القليلة في كل أيام السنة.

وهذا يعني أن الحاجة إلى تطهير البيت كانت ضرورية كل شهر مرة على الأقل، وهذا يعني أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان كثير التردد على البيت الحرام.

ولنقرأ الحديث التالي:

عن ابن عباس رضي الله عنهم: "... ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فجاء فسلم فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيّد قال: قولي له إذا جاء غير عتبة ببابك.. قال: ثم بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيّد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب.. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم"... الخ اهـ. (البخاري: أحاديث الأنبياء).

نرى في هذه الآيات والأحاديث أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان يتربّد كثيراً على مكة، انتبه العلماء والمفسرون إلى هذا، فوضع بعضهم له تصوّراً يورده ابن حجر العسقلاني في الفتح يقول: "... ففي حديث أبي جهم: كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو عدوة فيأتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام.. اهـ.

أقول: عندما قبّلوا الإسرائيّيات على أنها حقائق، تلك الإسرائيّيات التي تقول إن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان في الشام (في فلسطين) مع بقية الحكايات المتعلقة بها، وآمنوا بالحق الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ومنه هذه النصوص التي تذكر شيئاً من واقع إبراهيم صلى الله عليه وسلم ورأوا تعذر الجمع بينهما، عندئذ لجؤوا من أجل حل المشكلة، إلى عالم خرق العادة فتصوروا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتنقل على البراق.

لقد كانوا معذورين رحمة الله سبحانه، ولهم أجرهم على اجتهادهم إن شاء الله سبحانه.

والآن عندما نُبعد فكرة خرق العادة التي لا يوجد فيها نص صريح، وعندما نفهم هذه النصوص حسب ما يقتضيه الواقع الخاضع لسنة الله سبحانه في خلقه، نستطيع أن ندرك أن هذه الإسرائيليات التي تجعل موطن إبراهيم صلى الله عليه وسلم في الشام، أو في العراق أو لا ثم في الشام، هي من التحريف الذي أضيف إلى التوراة<sup>(2)</sup>.

وكذلك نستطيع أن نعرف، عملياً، برهاناً قوياً وفعالاً من البراهين على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون إلا وحياً من الله سبحانه، وذلك عندما يهدي الله سبحانه بعض المؤسسات المالية لتمويل بحوث آثرية تُظهر حقائق غيرها التحريف عن الأجيال الإنسانية فيظهر صدق القرآن الكريم، ويظهر تحريفهم بوضوح، حيث يهتدى إلى الحق عندئذ من يريد الله سبحانه له الهدى.

منذ أكثر من مئتي سنة، ومؤسسات أهل الكتاب المالية تموّل البحوث الآثرية المتالية للكشف عن آثار التوراة والإنجيل، ولم يجدوا حتى الآن أي أثر يمكن أن يوثق به علمياً، وكل ما دعوه وما يدعونه، ما هو إلا تفريط في تفطيق على تفطيق.

ومع ذلك فهم لا يزالون يبحثون ويبحثون عَلَّمْ يجدون شيئاً؟!

أما نحن المسلمين، فأرى أن السكوت أولى من الكلام فيما، ولنقتصر الله أمراً كان مفعولاً.

وأعيد التوضيح:

لقد تكشف لنا الآن الكثير الكثير من سنن الله سبحانه في خلقه ومن حقائق الوجود، وهذا الكثير الكثير هو كثير جداً بالنسبة لمعلومات البشر كلهم منذ أن وجد البشر على الأرض – باستثناء الأنبياء – حتى قبل قرون قليلة، أما بالنسبة للكون الواسع الواسع وما بعده، فلم تتجاوز معلوماتنا كلها دائرة الصفر إلا قليلاً، ولكن ما عرفناه فيه الكفاية لفهم نصوص الوحي التي رأيناها ويبقى ما سيعلم نبوء في مستقبل آت.

---

(2) – مرّ بحث موطن إبراهيم صلى الله عليه وسلم في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

وإذا فهمنا نصوص الوحي حسب لغتها العربية الواضحة المباشرة أولاً، ثم حسب ما تقتضيه سنن الله سبحانه في خلقه وحسب حقائق الوجود، عندئذ تتبيّن لكل ذي عينين المعجزات القرآنية وأنه لا يمكن أن يكون إلا وحياً من لدن عليم خبير.

أما إذا فهمنا النصوص حسب مفاهيم خرق العادة – وأستطيع أن أسميها، تجاوزاً، بالمفاهيم السحرية – فعندئذ تنزل بالقرآن إلى مستوى الأديان القائمة على أساطير وخرافات يؤمن بها أصحابها تعصباً نشروا عليه منذ طفولتهم.

وقد مرّ البحث عن موطن إبراهيم صلى الله عليه وسلم في كتاب "في مسیر الإعجاز العلمي في القرآن" وموطنه صلی الله عليه وسلم كان في مكان قریب من مكة حيث لا يحتاج ليصل منه إلى مكة إلا إلى وقت قصير، قد تكون يوماً أو أقل أو أكثر، ولا أظنه يتتجاوز الثلاثة أيام.

ونحن بانتظار البحوث الآثارية.

وفي القرآن الكريم آياتٌ الدليلُ فيها واضح على أن موطن إبراهيم صلی الله عليه وسلم كان قريباً من مكة، نقرأ في سورة العنكبوت (31 – 32) (( وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلَ هَذِهِ الْقُرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ . قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَنَّهُ ... ))

نرى الرسل في هذه الآية – وهم هنا من الملائكة – قالوا: إنما مهلكو أهل هذه القرية، أي أشاروا إلى قرية قوم لوط بقولهم {هَذِهِ الْقُرْيَةُ}، وهذا يعني أنها كانت قريبة منهم جداً، ولعلها كانت ترى من عندهم، فأشاروا إليها بقولهم: {هَذِهِ الْقُرْيَةُ} ولو كانت بعيدة عنهم، لأن يكونوا في تلك اللحظة في فلسطين، حسب قول الإسرائييليات، وقرية قوم لوط قريبة من مكة حسب قول القرآن الكريم، فعندئذ لا يمكن أن يقال: {هَذِهِ الْقُرْيَةُ}.

أما أن قرية قوم لوط هي قريبة من مكة، فدل عليها الآيات التي تخاطب أهل مكة ((وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ . وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ )) [الصافات: 137 – 138] وهذا واضح أن تلك القرية كانت في طريق من الطرق المؤدية إلى مكة والتي يمر عليها أهل مكة كثيراً.

## الذين جعلوا القرآن عضين

(( كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصِّينَ . فَوَرَبَّكَ لَنْسَالْنَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ )) [الحجر: 90 – 93].

أنقل مقتطفات من تفسيرها من تفسير ابن كثير، يقول:

... وقوله: {المُقْتَسِمِينَ} أي المخالفين أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم...  
قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقتسمون أصحاب صالح الدين تقاسموا بالله لنبيته وأهله..  
وقوله: (( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصِّينَ )) أي جرؤوا كتبهم المنزلة عليهم فامنوا ببعض وكفروا  
بعض. قال البخاري حدثنا يعقوب.. عن ابن عباس (( الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصِّينَ )) قال هم أهل  
الكتاب جرؤوه أجزاءً فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه...اهـ.

أقول: في هذا التفسير ملاحظة يجب التنبه لها، هي أن كلمة "القرآن" هي اسم علم على  
كتاب المسلمين، الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وحيثما وردت كلمة "القرآن"  
 فهي تعني هذا القرآن الذي يدين به المسلمون أتباع محمد صلى الله عليه وسلم. ولا أعرف علام  
استندوا في هذا التفسير في جعلهم كلمة "القرآن" تعني كتاب أهل الكتاب المؤلف، نظرياً، من  
التوراة والزبور والإنجيل وكتب تنسب إلى أنبياء تذكرهم هذه الكتب.

على كل حال، إن الذي يهمنا هنا من الآية هو الحكم الواضح الصريح بتأنيب الذين  
 يجعلون القرآن عضين، وهو حكم عام كائناً ما كان سبب نزول الآية.

ومن جعل القرآن عضين هذا الذي نسمعه من كثير من المسلمين في هذه الأوقات، وكمثل  
على ذلك أخذهم بعض آيات القتال معزولة عن آيات القتال الأخرى بل عن القرآن كله. مثل قوله  
سبحانه: (( فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّتُمُوهُمْ وَخُذُّوْهُمْ وَاحْصُرُّوهُمْ  
وَاقْعُدُوْهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَأْتُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاءَ فَخُلُّوْهُمْ سَبِيلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ))  
[التوبه: 5].

وقوله سبحانه: ((قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ)) [التوبه: 29].

يأخذون هذه الآيات معزولة عن بقية آيات القتال، بل معزولة عن بقية القرآن ينزعونها منه ويعممون حكمها ويحاولون تطبيقه. وبعملهم هذا جعلوا تناقضاً بين آيات القرآن وأوجدوا بينها اختلافاً لا وجود له إلا في أفهامهم المشوهة.

ولو رجعوا إلى آيات القتال في القرآن وتذوروها، لوجدوا قوله سبحانه:

((وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)) [البقرة: 190].

إذن فنحن مأمورون أن نقاتل الذين يبدؤوننا بالقتال {فقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا}. ومن عجيب ما سمعت قول أحدهم: إن هذه الآية منسوخة بآية سورة التوبه!! ولو تدبر هذا القائل الآية هذه فقط لعلم أنها لا يمكن أن تكون منسوخة لأنها مرتبطة بصفة من صفات الله سبحانه {إن الله لا يحب المعتدين}.

ولنقرأ الآية التي تليها مباشرة:

((وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)) [البقرة: 191].

وقد سمعت من قال ما معناه: هذه الآية تقول: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ} ونسى الآية التي قبلها مباشرة وكذلك نسي الجملة التي بعدها مباشرة {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} التي هي واضحة كل الوضوح أنهم أخرجونا هم أولاً فأمرنا أن نخرجهم من حيث أخرجونا لا نزيد على ذلك.

## إن الله لا يحب المعتدين

ولنعد القراءة ولنقرأ معها آيات أخرى:

– (( وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفِقْتُمُو هُمْ وَأَخْرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . فَإِنِ انتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [192] وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهُوا فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ [193] الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ )) [البقرة: 190-194]

– (( وَلَا يَجِرِنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )) [المائدة: 2].

– (( أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ... )) [التوبه: 13]

– (( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [8] إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ )) [المتحنة: 8-9].

– (( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [125] وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَرَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ )) [النحل: 125-126].

– (( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقَبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ )) [الحج: 60].

لنمر بدراسة سريعة على هذه الآيات الكريمة:

— الآية الأولى: (( وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ)).

إنها واضحةٌ الواضح كله. والذي بهمنا فيها أنها آية تحكم كل نصوص الجهاد والقتال في سبيل الله وذلك لسبب قديسي، لأنها مرتبطة بصفة من صفات الله سبحانه { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ }.

إن الله لا يحب المعتدلين. فكل قتال يعتدي فيه المسلم، فالله سبحانه لا يحبه ولا يحب هذا المسلم الذي يعتدي، وبالتالي لا ينصره، وإنما يتركه للسنن الكونية.

وقد يقول هنا قائل: كيف تقول "لا ينصره"؟!

والجواب في الآيات التي مرت أعلاه بعد هذه الآية الأولى والتي سنمر عليها فيما يلي:

— ثم الآية التي بعدها: { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرُجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفُتُنَّةُ  
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ  
الْكَافِرِينَ }.

وقد مر معي من الذين يجعلون القرآن عضين (أي أجزاء غير مترابطة بين بعضها) منْ قال ما معناه: إن الآية تقول: { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ }، إذن فيجب أن نقتل الكفار حيث نجدهم!!!

ويوجد كثيرون أمثال هذا الشخص، وهم لا يلتقطون إلى الآية التي قبلها، ولا إلى الجملة التي تليها: وينسون أو يتناسون قوله سبحانه: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ }.

ونعيد الآية التي قبلها التي تقول: (( وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ  
الَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ )).

إذن فالمحصودون بقوله سبحانه: { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ } هم الذين بدؤوا بقتلنا واعتدوا علينا.

— ثم لنقرأ الجملة التي بعد { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِنْتُمُوهُمْ } التي هي: { وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُكُمْ } التي تعني بوضوح واضح الوضوح أنهم اعتدوا علينا أولاً وأخرجونا من ديارنا، وبذلك يكون لنا الحق بإخراجهم من حيث أخرجونا وبقتالهم حتى النصر أو أن ينتهوا عن الاعتداء علينا.

— ثم لنقرأ الجملة التي بعدها: { وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ }.

فما هي الفتنة هنا؟

إنها إغلاق القلوب أمام الإسلام.

نحن مطالبون بفتح قلوب البشر للإسلام، وفتح القلوب يفتح الطرق.

إن المسلمين الأوائل فتحوا البلاد الواسعة بتلك السرعة العجيبة، ودخل الناس في الإسلام شعوباً وأقواماً بشكل لم تكن له سابقة في التاريخ المعروف ولا لاحقة!!؟ فما هو السبب؟

هناك سببان:

أولهما: طبيعة الإسلام ووضوح الحق فيه.

وثانيهما: هو أن المسلمين كانوا بمعاملتهم وفهمهم للإسلام وأخلاقهم يفتحون القلوب، فُفتح لهم الطرق.

لذلك كان إغلاق القلوب أشد من القتل.

— ثم الجملة التالية: { وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ .. }.

من هم هؤلاء الذين ينها الله سبحانه عن قتالهم عند المسجد الحرام إلا إذا بدؤونا هم؟

إنهم الذين اعتدوا علينا وأخرجونا من ديارنا، حيث لا يحل لنا قتالهم إن رأيناهم عند المسجد الحرام، رغم أنهم اعتدوا وأخرجونا من ديارنا، ورغم أن لنا الحق كله بقتالهم، بل أننا مأمورون بقتالهم، ومع ذلك يحرم علينا قتالهم عند المسجد الحرام إلا إذا بدؤونا هم بالقتل.

{فَإِنِ انتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

لنتبه أن الآية لم تقل "فإن أسلموا" أو "فإن استسلموا" وإنما قالت: "فإن انتهوا"، أي فإن انتهوا عن الاعتداء وتراجعوا عنه، فالله سبحانه غفور رحيم، والانتهاء عن الاعتداء يعني إرجاع كل شيء على حاله كما كان قبل الاعتداء.

— {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ...}.

أي في حالة أنهم لم ينتهوا عن الاعتداء، عندئذ يجب أن نقاتلهم لهدف تعينه الآية الكريمة، هذا الهدف هو أن لا تكون نتيجة القتال فتنة، والفتنة هي إغلاق القلوب أمام الإسلام، هي أن نزرع في قلوب الآخرين نفوراً من الإسلام إن كان صغيراً فالفتنة صغيرة وإن كان النفور كبيراً فالفتنة كبيرة. فإن كان القتال يسبب فتنة فهو منهي عنه بنص الآية {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً} وقوله سبحانه: {وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} يعني بوضوح أن يكون الهدف هو نصر الإسلام، ولا يعني أن يكون الهدف هو القتل أو شفاء الغليل أو تطبيقاً غبياً أعمى لآية أو حديث شريف يُنتزع من بين سائر الآيات القرانية والأحاديث، ثم يُطبق المدلول المعزول عن غيره دون أي اعتبار للنصوص الأخرى التي قد تقسره أو تقيده أو تخصص بعض حالاته... ثم يقال: نحن نطبق أوامر القرآن والسنة!!

إن هذا الأسلوب يدخل فاعليه في جملة "المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين".

— {فَإِنِ انتَهُوا فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}.

— {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.

{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}.

المعنى واضح، وقد تكرر هذا المعنى بأكثر من آية في القرآن الكريم منها آياتان نراهما في الآيات التي مرت أعلاه بعد هذه الآية.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.

"وَاتَّقُوا اللَّهَ" بمعناها العام، أي بتقوى الله سبحانه في كل شيء، لكنها هنا تحمل إلى جانب معناها العام معنى خاصاً نفهمه من سياق الكلام { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } هذا المعنى الخاص الذي يفهم من سياق الكلام هو أن تقوى الله هنا تقتضي، إذا قاتلنا من اعتدى علينا، ألا يكون انتقامانا منه إلا بمقدار ما اعتدى به علينا، وإن زدنا على ذلك متعمدين تكون في هذه الحالة قد خالفنا أوامر الله سبحانه، وعلى ذلك لا يكون لنا الحق أن نرجو نصر الله سبحانه.

إنما يرجو نصر الله من كان ملتزمًا بشرعه الحق ومطبقاً لسننه في الخلق.

أخيراً:

إنني أرى أن المقسمين الذين جعلوا القرآن عضين، هم هؤلاء المعتدون الذين ظهروا في هذه السنين وهم يظنون أنفسهم مجاهدين في سبيل الله. والعلة فيهم هو أنهم جعلوا القرآن عضين، فكانوا فتنة للذين كفروا ولكثير من الذين آمنوا.

### الفصل الثالث

#### من آيات الآفاق

((سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ )) .

((وَتِنْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ))

((سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...)) [فصلت:53]

مررت هذه الآية في كتاب "براهين" للاستشهاد بها.

وعندما تبين لنا كثير من آيات الإعجاز العلمي في القرآن (وقد مررت في الكتب "براهين، ومن جغرافية القصص القرآني، وفي مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن")

تبين أن في هذه الآية إعجازين:

الإعجاز الأول: إخباره سبحانه عن أمر سيجري في مستقبل من الزمن بالنسبة لزمن نزول الآية، وهذا الأمر هو إظهار حقيقة الآيات العلمية الواردة في القرآن.

فهو سبحانه يقول: ((سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا... )) فما هي هذه الآيات؟

نعرف ما هي هذه الآيات من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء من نبى إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وكان الذي أوتيت وحيًا أُوحى الله إليّ..." .

وعليه تكون الآيات التي سيظهرها الله سبحانه هي آيات من الوحي، لأنه هو معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الدائمة الموجهة إلى كل بني البشر حتى يوم القيمة. أما باقي المعجزات فهي في الواقع لا تشكل إعجازاً إلا للذين رأوها وعاشوا في أجواها، أما بعد ذلك، فمن السهل أن يقول كل من يريد إنها أكذوبة أو ادعاء، ولا يستطيع أي عقري أن يقدم الدليل الوكيد

على حدتها، ويكون المكذب بها معذوراً في تكذيبه لأن الأدعية في هذه الدنيا أكثر من الصادقين بكثير كثير.

وفي الواقع، نرى الأساطير والخرافات تشكل السدى واللhmaة لكل المذاهب الأخرى، بعضها من اختراعات الأدعية أو ذوي الأهواء، وبعضها من كشوف الإشرافيـن (الكشفـ الـصـوـفـيـةـ).

والكشفـ الـصـوـفـيـةـ هي بذاتها أكاذيبـ، لكنـ الصـوـفـيـ يـعـتـقـدـ أنـهاـ حـقـائقـ لأنـهـ رـأـهـ فـيـ الكـشـفـ وـأـحـسـ بـهـ بـحـواـسـهـ الـمـخـدـرـةـ، وـهـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـكـشـفـ حـقـ وـأـنـ رـؤـاهـ حـقـ، فـهـ صـادـقـ فـيـ ماـ يـصـفـ، وـكـشـوفـهـ هـيـ الـكـاذـبـ لأنـهاـ هـلـوـسـاتـ يـرـاـهـاـ أـنـتـاءـ الـجـذـبـ الـصـوـفـيـةـ الـتـيـ تـسـبـبـهـاـ مـادـةـ الـأـنـدـرـفـينـ الـتـيـ تـقـرـزـهـاـ الـغـدـةـ "ـتـحـتـ الـمـهـاـدـيـةـ"ـ الـوـاقـعـةـ فـيـ قـاـعـدـةـ الـمـخـ، وـتـأـثـيـرـهـاـ مـثـلـ تـأـثـيـرـ الـمـوـرـفـيـنـ وـقـدـ تـرـيـدـ عـلـيـهـ فـيـ بـعـضـ الـحـالـاتـ، وـتـفـصـيـلـهـاـ فـيـ كـتـابـنـاـ "ـالـكـشـفـ عـنـ حـقـيـقـةـ الـصـوـفـيـةـ"ـ.

نـعـودـ إـلـىـ مـوـضـوـعـنـاـ، إـلـىـ قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ: ((ـسـنـرـيـهـمـ آـيـاتـاـ فـيـ الـآـفـاقـ وـفـيـ أـنـفـسـهـمـ حـتـىـ يـتـبـيـنـ أـلـهـمـ أـنـهـ حـقـ...)).

وـهـ هـوـ سـبـحـانـهـ قـدـ أـظـهـرـ لـنـاـ كـثـيرـاـ مـنـ آـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ فـيـ الـآـفـاقـ وـفـيـ الـأـنـفـسـ، وـإـذـ بـهـ بـلـغـتـهـ الـعـرـبـيـةـ الـواـضـحـةـ الـمـبـيـنـةـ، وـاـضـحـةـ حـقـائـقـهـاـ الـوـاقـعـيـةـ فـيـ الـآـفـاقـ وـفـيـ الـأـنـفـسـ، وـلـمـ يـزـلـ فـيـ الـقـرـآنـ وـصـحـيـحـ الـسـنـةـ آـيـاتـ أـخـرـىـ تـبـيـنـ لـنـاـ بـعـدـ، وـسـبـيـبـيـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ مـاـ يـشـاءـ مـنـهـاـ.

أـمـاـ التـسـاؤـلـاتـ عـنـ الـآـيـاتـ الـعـلـمـيـةـ، آـيـاتـ الـآـفـاقـ وـالـأـنـفـسـ، كـيـفـ عـرـفـهـاـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـعـنـ أـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ أـيـ اـحـتمـالـ لـذـلـكـ إـلـاـ أـنـهـ وـحـيـ مـنـ لـدـنـ عـلـيـمـ خـبـيرـ، فـقـدـ مـرـتـ فـيـ اـمـاـكـنـهـاـ.

أـمـاـ السـؤـالـ هـنـاـ فـهـوـ: كـيـفـ عـرـفـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ الـبـشـرـ سـيـعـرـفـونـ هـذـهـ الـآـيـاتـ عـنـدـمـاـ يـظـهـرـهـاـ اللـهـ سـبـحـانـهـ لـهـمـ؟ـ كـيـفـ عـرـفـ ذـلـكـ؟ـ

لـاـ يـوـجـدـ إـلـاـ اـحـتمـالـ وـاحـدـ هـوـ أـنـ ذـلـكـ وـحـيـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ.

ــ أـمـاـ الـإـعـجازـ الثـانـيـ فـيـ الـآـيـةـ فـهـوـ قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ: ((ـسـنـرـيـهـمـ))ـ الـتـيـ تـعـنـيـ أـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ سـيـرـيـ آـيـاتـهـ لـغـيـرـ الـمـخـاطـبـيـنـ مـباـشـرـةـ بـالـقـرـآنـ، وـطـبـعـاـ عـنـدـمـاـ يـعـلـمـونـهـاـ سـتـتـشـرـ وـيـعـلـمـهـاـ الـمـسـلـمـوـنـ الـذـيـ هـمـ الـمـخـاطـبـوـنـ بـالـقـرـآنـ.

وهذا ما نراه حدث فعلاً، فقد أراها الله سبحانه للذين لا يؤمنون بالقرآن الكريم أما المسلمين، أما الذين يتلقون الخطاب القرآني أولاً ثم يطالبون بتلقيحه لآخرين فقد علموا نبأها عنهم. وأعني نبأ الحقائق، لا نبأ الآيات.

وهنا نلاحظ أن القرآن الكريم عندما تكلم عن الذين سيرون الآيات قال: ((سَرِّيهِمْ)) أي هم قوم غيركم يا مسلمون.

لكنه عندما تكلم عن العلم بالآيات قال: ((وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأً بَعْدَ حِينٍ )) أي خاطب المسلمين ثم كل من يقرأ القرآن.

وهنا يرد السؤال:

هل الإخبار بهذه الدقة عن هذا الواقع الذي سوف يقع بعد أكثر من ألف سنة من نزول الآيات، يمكن أن يكون صدفةً أو ضربةً أعمى؟؟؟ لا أظن ذلك.

وأظن أن أي عnid لا يستطيع أن يظن ذلك إلا إذا كانت درجة عناده قد وصلت إلى حد "معزى ولو طارت".

**ملاحظة هامة:**

إن هذه الآيات التي مرت آنفاً ((سَرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ... وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأً بَعْدَ حِينٍ ... كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ )) وهناك غيرها، تدل على أن الرعيل الأول من المسلمين لن يعلموا علم الآيات العلمية، وتكون لهم من المتشابه. وهذا ما نراه حدث في التاريخ الإسلامي.

((سَرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...)).

((وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأً بَعْدَ حِينٍ )) (بعد حين).

وقد لوحظ ظهور موجة فكرية مرتبطة تستغل غفلة بعض المسلمين، تقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فسر القرآن كله لأصحابه، ولا مجال لهذا التفسير العلمي لآيات القرآن.

ويقدمون دليلاً على ذلك الآية: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..)) [المائدة: 67] مع آيات أخرى بمعناها.

والجواب:

1— نقرأ في كتب التفسير، فنرى آيات كثيرة اختلفت أقوال المفسرين بتفسيرها سواء كانوا من الصحابة أو من ممن جاء بعدهم.

فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم قد فسرها لهم لما اختلف فيها اثنان إلا إن كانوا يجهلـون تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لها.

2— أعود فأكرر الآيات التي كنت كررتها سابقاً: ((سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...)) هذه الآية التي تعني بلغتها العربية الواضحة المبينة أنهم سيرون آيات القرآن في مستقبل من الزمن بالنسبة لزمن نزول الآية.  
((وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ)).

وهذا يعني أنهم في زمن نزول الآية ما كانوا يعلمون علم نبئه، ولم يؤمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليمهم إياه. وأن علمه سيأتي بعد حين.

3— نرى آيات الأفاق والأنفس بلغتها العربية الواضحة المبينة، تنطبق انتظاراً عجيباً دقيناً على حقائق الواقع المتعلقة بهذه الآيات، والتي كانت مجهولة لكل الدنيا، ولم تكتشف إلا في العصور الأخيرة، وبعضها بل أكثرها في العقود الأخيرة فماذا نفعل بهذه الآيات؟ وهي أمامنا مائة تصفع الواقع بدقة دقيقة؟؟

— أنسخها من القرآن؟ أن نحرف معاني مفرداتها لتغدو خرافية ول يجعل الدين الإسلامي خرافياً مثل غيره؟

أم ماذ؟؟!!

لقد قال سبحانه: ((سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)) وهذا هو سبحانه قد أراهم إياها فهل هذا صدفة؟؟!!

(( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [5] لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ ] 6 ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ))  
[النَّكَاثُرُ: 5 – 7]

المعنى في هذه الآيات بين واضح ((لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ... لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ)) وهذا يعني أن الجحيم أمامنا نراها بأعيننا لكن لا نعرف أنها جهنم لجهلنا بعلم اليقين، بحقيقة الواقع، ولو علمنا حقيقة الواقع فسنرى الجحيم الآن في دنيانا، ثم سوف نراها عين اليقين في الآخرة.

وقد مرّ بحث جهنم في كتاب "براهين" ومررت هذه الآيات في ذلك البحث كواحد من أدلة كثيرة من القرآن وصحيح السنة أن جهنم هي هذا الكون الذي نحن الآن وأرضنا جزء منه، وإن هذا الكون سيجتمع يوم القيمة ليعود كما كان كتلة واحدة هي جهنم، وأن الشمس هي جزء من جهنم، والنجوم المضيئة الملتئبة هي جزء من جهنم، وأن الشمس ومثلها كل النجوم الملتئبة التي نراها والتي لا نراها، لها كل صفات جهنم الواردة في القرآن وصحيح السنة، سواء من حيث مظاهرها أو من حيث طبيعتها.

وقد مرت هذه الآيات هناك (في كتاب "براهين") كدليل على أن الشمس هي جهنم من حيث النوع، أو من باب إطلاق اسم الكل على الجزء، سواءً من حيث مظاهرها أو من حيث طبيعتها.

لكني، بفضل من الله سبحانه، انتبهت مؤخرًا إلى أن هاتين الآيتين ((كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [5] لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ)) هي إحدى الإعجازات العلمية في القرآن التي يجب إفرادها بالتبين.

وقد توصل البشر الآن إلى علم اليقين، علم حقائق من حقائق الوجود، فرأوا الجحيم في الشمس بواسطة المناظير الفلكية الخاصة، مع بقية الآلات والأجهزة الملحة، وكذلك في بقية الشموس التي نراها بشكل نجوم، وذلك لبعدها،

وبعضها أكبر من الشمس بعشرات الملايين من المرات، وبعضها أكبر منها بمئات الملايين، وكلها لها صفات جهنم الواردة في القرآن وصحيح السنة. إذن فهي جهنم من حيث النوع، أو من باب إطلاق اسم الكل على الجزء.

فكيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة العلمية التاريخية المستقبلية، وقد كانت الدنيا كلها تجهلها قبل محمد صلى الله عليه وسلم وفي زمانه وبعده! كيف؟

(( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [5] لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ)).

ومما يدعو إلى التأمل قول الآية ((لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ)) إذ لم نقل مثلاً "لترون جهنم" فهل هذا صدفة؟ أو هل هو من أجل السجع؟

في الأصل كلمة "الجحيم" هي صفة من صفات جهنم.

فجحمت النار، أي اضطربت. وأجحّمت النار، أي اشتدت وتأجّلت والجاحم هو الجمر الشديد الاشتعال. والجحيم كل نارٍ في مهواة شديدة التأجّج.

وقد صارت هذه الصفة "الجحيم" اسمًا من أسماء جهنم لأنها صفة ملزمة لها ولأن مدلولها (أي مدلول كلمة الجحيم) متحقق في جهنم بأقصى معانيه وأشدها.

وعندما تقول الآية ((لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ)) فهذا يعني أننا سنرى الصفة الجحيمية في جهنم، وليس جهنم كلها.

وعندما تقول الآية ((لَتَرَوْنَ )) بصيغة الجمع الموجهة إلى الناس كلهم، فهذا يعني أننا سنراها بأعيننا العادلة، لأن الأجهزة العلمية ليست في متناول الناس بل في متناول أفراد قلائل.

وهذا يعني أن الشمس ليست جهنم كلها وإنما هي جزء من جهنم، وعندما علمنا علم اليقين رأينا فيها الجحيم الذي هو الصفة الالزمة لجهنم (( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [5] لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ)).

فهذه الحقيقة العلمية التي تختص بتاريخ مستقبل بعد عصر محمد صلى الله عليه وسلم بحوالي ألف وأربعين سنة، هل يمكن أن يكون إيرادها بهذه الدقة صدفة؟! أو ضربة أعمى؟! أو عبرية؟! أو؟! أو؟!..

أبداً، أبداً، لا يمكن أن يكون له تعليل يقبله إنسان فيه عقل إلا أنه وحي من لدن عليم خبير، إلا أنه وحي من لدن عليم خبير.

((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرُبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ))

((وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ))[يس:39]

((هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلٍ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنَينَ وَالْحِسَابَ))

[يونس:5]

يقول ابن كثير في تفسير ((والْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ...)):

... وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليلاً فلil النور ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبساً من الشمس حتى يتکامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم.اهـ

المنازل: جمع منزل، ويمكن أن تكون جمع "منزلة" مع أنهم يقولون إن كلمة "منزلة" لا تجمع.

ونلاحظ أن ابن كثير قد فهم المعنى الواضح، وطبعاً فهمه أيضاً غيره من المفسرين قبله ومعه وبعده، لكنهم ما كانوا يستطيعون تصور هذه المنازل لجهلهم أن القمر يدور حول الأرض، ولا يرتفع فوقها حسب مفهومهم القديم.

وفي حدود اطلاعي ما كان أحد في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده يعرف حقيقة القمر وتغير مناظره بين البدر حتى الهال فالسرار.

وتمر بي، وأنا أكتب هذه الكلمات، ذكرى شاحبة عن أقوال قرأتها عن أسباب تغير وجه القمر؛ أذكر منها أنه مغلف بغلاف ينكشف عنه شيئاً فشيئاً حتى ينكشف كله، ثم يعود لتغليفه شيئاً فشيئاً حتى يخفيه، ولعل هذا كان من كتاب "بدائع الزهور" الذي كان مشهوراً، وقد أهمل الآن حتى نسي، وهو مملوء بالأساطير والخرافات التي كانوا يظنونها واقعية.

والذي يهمنا هو تقرير الآية أن القمر ينتقل في منازل، والتغيير في منظره هو تابع للمنزل الذي هو فيه.

وعبارة ((حتى عاد كالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ )) هي التي تدلنا على أن المطلب هو انتقال وجه القمر من البدر حتى الهلال الذي يشبه العرجون القديم.

والآن نعرف أن القمر لا يتغير فيه شيء عندما يتغير مظهر وجهه بالنسبة لنا، وإنما هو يدور حول الأرض، ويبعد عنها وسطياً بـ (384) ألف كيلومتراً، وهو يقابل الأرض دائماً بوجه واحد، وهو غير مضيء ذاته، وإنما يعكس ضوء الشمس، ولذلك، يكون وجهه المقابل للشمس مضيناً، والوجه الآخر مظلماً، وتغير أوجهه من البدر إلى الهلال فالسراir التي ترى من الأرض إنما هي بسبب تغير مواضعه، أو منازله بالنسبة للأرض أثناء دورانه حولها وكذلك بالنسبة للشمس، وهذه الوجوه تتجلى للعيان حسب دورة مقدارها 29 يوماً و 12 ساعة و 44 دقيقة.

وهكذا نرى القرآن الكريم يقرر منذ ذلك الزمن الذي كان الناس فيه يجهلون كل هذه الأمور، أن انتقال القمر من البدر حتى يعود هلالاً كالعرجون القديم هو بسبب المنازل التي يكون فيها.

فكيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة في ذلك الزمن؟؟  
إنه، ولا شك، وهي من لدن عليم خبير، ولا يمكن أن يكون صدفة.  
وهنا قد يقول قائل إن بعضهم في بعض الأمم الأخرى كان قد عرف شيئاً من ذلك.  
فأقول إني شخصياً أجهل هذا ولا أظنه قد حصل إلا في عصورنا الأخيرة التي أخذت حقائق الواقع تتكتشف للإنسانية شيئاً فشيئاً.

وهناك ملاحظة يجدر الانتباه إليها، هي معرفة ابن كثير، رحمه الله، أن ضوء القمر مستمد من الشمس، وعصره قبل عصرنا بحوالي ستة قرون؟!

## سعة الكون

قال صلى الله عليه وسلم: إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار، رجل يخرج حبواً، فيقول له رب: ادخل الجنة، فيقول: رب، الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات، فكل ذلك يعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرار.

— البخاري (كتاب التوحيد)

وقال سبحانه: (( انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَضْيِيلًا )) [الإسراء: 21].

وقال صلى الله عليه وسلم: والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدهم إصبعه هذه وأشار بالسبابة — في اليم، فلينظر بم يرجع. اهـ.

— مسلم (كتاب الزهد والرفاق)

وقال سبحانه: ((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ )) [الحديد: 21].

هذه النصوص من الوحي تبين بوضوح أن السماوات والأرض ذات سعة واسعة واسعة تفوق الخيال. ولنحاول تبيان ذلك بشيء من التدبر. وأقول بشيء من التدبر لا يكثير منه، لأن بيانه لا يحتاج إلى كثير. فنرى ما يلي:

آخر من يدخل الجنة هو آخر من يخرج من النار، يبين لنا ذلك الحديث الشريف: "إن آخر أهل الجنة دخولاً في الجنة..." وهذا يعني أنه أدنى أهل الجنة منزلة في الجنة، وهذا الذي هو أدنى أهل الجنة منزلة في الجنة له مثل الدنيا عشر مرار. (وفي رواية مرتين).

وبما أن القاعدة التي أسيء إليها هي التعميم ولا تخصيص إلا بدليل. لذلك يمكن لي أن أفهم كلمة "الدنيا" بمعناها العام الذي يشمل الأرض مع سماواتها التي يراها أهل الأرض بأعينهم العادية في الليل والنهار، وهذا، في الواقع، هو الانطباع الذي تتركه "الدنيا" في ذهن السامع العادي.

لكني، هنا، لن أتبع القاعدة ولنأخذ كلمة "الدنيا" إلا بمعنى "الكرة الأرضية" فقط، وهذا ما يفهمه من كان عنده فكرة عن واقع بناء الكون، وهو أقل ما يجوز لنا أن نتصوره.

وعليه يكون أدنى أهل الجنة منزلة في الجنة له مثل الكرة الأرضية عشر مرات.

— ثم لننتقل إلى الآية الكريمة (( انظُرْ كَيْفَ فَضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِآخِرَةٌ أَكْبَرُ درَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا )) .

وإلى الحديث الشريف: "وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ هَذَا — وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ — فِي الْيَمِّ، فَلَيَنْظُرْ بِمَا يَرْجُعُ". اهـ

تخبرنا هذه الآية وهذا الحديث عن الفروق الكبيرة بين حالات الدنيا والحالات المقابلة لها في الآخرة، وكذلك عن الفروق بين الدرجات في الآخرة التي هي أكبر بكثير من الفروق بين الدرجات في الدنيا. وتهمنا في فقرتنا هذه، الفروق بين الدرجات في كون الجنة الذي هو كون آخر غير كوننا الذي نعيش فيه ودنيانا جزء منه، ولنسمه "كون الدنيا".

نأخذ فكرة واضحة عن هذه الفروق، من المقارنة بين أدنى أهل الدنيا حظاً من الدنيا، خارج المعتقدات марكسية، لأن المعتقدات الماركسية تقابلها في الآخرة جهنم، وموضوعنا هنا هو كون الجنة.

إن أدنى أهل الأرض حظاً هو شخص قنوع يعيش في بلد فقير يكسب في يومه ما يكفيه قوت يومه وأجرة مأوى يأوي إليه في ليله، ويملك حريته وكرامته، ومثل هذا موجود بكثرة في البلاد الفقيرة الدافئة.

يقابلها في الآخرة أدنى أهل الجنة منزلة في الجنة له مثل الدنيا عشر مرات.

إن الفرق بين الحالتين يمكن أن نقدر على الأقل بـ: مiliار × مiliار من الرات.

ثم لننظر، في هذه الحياة الدنيا، إلى الفرق بين هذا الشخص القنوع وبين أكبر أهل الأرض حظاً في هذه الدنيا.

سمعنا أن من ذوي المليارات من يملك حوالي (40) مiliاراً من الدولارات.

فلو فرضنا أن ذلك الشخص الفقير (الذي يعيش في بلد فقير) يملك من الباس والفراش واللوازم الضرورية لمعيشته ما يساوي ثمنه (40) دولاراً (وهذا في الواقع هو رقم أكبر من الواقع، ونراه بكثرة في البلاد الدافئة التي تكثر فيها الغابات، وقبل طغيان الروح المادية التكالبية التي سموها حضارة ومدنية، كان أمثال هذا يحيون حياة سعيدة يحسدهم عليها كل أهل الأرض الآن لو عرفوها).

فيكون الفرق بين أدنى أهل الأرض حظاً وبين أكبرهم حظاً يساوي مiliار مرة.

وتقول لنا الآية الكريمة إن الآخرة أكبر تفضيلاً. والله أعلم بمقدار هذا الكبر في التفضيل، لكن نقل، هنا، إن هذا الفرق في الجنة يساوي أربعة مليارات فقط.

بذلك يكون ما يملكه كُلُّ من ذوي الدرجات الكبرى في الجنة يساوي حوالي مiliار مجموعة شمسية مثل مجموعتنا الشمسية (عدا شموسها طبعاً).

ومن نصوص الوحي الأخرى نفهم أن هناك سلسلة من الدرجات متسلسلة بين الدرجات الكبرى والدرجة الدنيا. والله سبحانه هو الذي يعلم عدد أهل كل درجة ويمكن أن يكون عدد أهل بعضها بمئات الملايين وبعضها أكثر وبعضها أقل.

ويستطيع أي قارئ هنا، أن يضع رقماً تخيلياً لعدد الدرجات في الجنة، ورقمًا تخيلياً لعدد أهل كل درجة، ورقمًا تخيلياً لما يملكه كل واحد من أهل كل درجة، ليرى أنه يصل إلى أرقام هائلة هائلة عن سعة الجنة، هائلة جداً جداً جداً...

وليس الإحصاء هو مطلبنا الآن، لكن المطلب هو أنه بشيء من التدبر البسيط للنصين الأولين المذكورين، أو الثلاثة، تتبين لنا سعة الجنة الواسعة، بالنسبة للأرض، سعة تفوق الخيال بأكثر مما يتخيله الخيال.

— ولنتنقل الآن إلى الآية الكريمة التي تقول: ((...وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ)) وَآيَةٌ أُخْرَى: ((وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ )) ([آل عمران: 133].

إذن فسعة كون الدنيا (السموات والأرض) هي بقدر سعة كون الجنة.

فيكون كون الدنيا (السموات والأرض) واسعاً جداً جداً بالنسبة للأرض سعة تفوق الخيال بأكثر مما يتخيله الخيال.

وهنا تكمن المعجزة القرآنية، بل تظهر المعجزة القرآنية، فما هي هذه المعجزة؟

كانت الصورة التي كان يتصورها كل أهل الأرض بدون استثناء، هي أن الكون كله هو هذه الأرض التي نعيش عليها، نظللها هذه السماء الزرقاء التي نراها فوقنا. وكانوا بعد ذلك يختلفون في عدد الآلهة وأنواعها ووظائفها وأماكنها بل وأزمانها أيضاً.

وبمعزل عن الآلهة، كانت الصورة التي تصورها التوراة هي الصورة التي يعتقدها كل أهل الأديان الأخرى، كل أهل الأرض. وأنقل هذه الصورة عن الفرنسيية من الكتاب المقدس الموسوم بما يلي:

LABIBLE

TraducTion oecumenique de la bible.

Comprendant.

L, Ancien et le nouveau Testament traduits sur les textes originaux  
hebreu et grec.avec introductions, notes essentielles glossaire.

Nouvelle edition revue 1994.

Alliance biblique universelle \_ Le cerf.

يقول النص (إشعياء – 40 – 22.21):

N avez- vous pas discerne le fondateur de la terre?

TI habite, Lui, sur le dome couvrant la terre. Don't les  
habitants font figure de sauterele!

Il a tendu les cieux comme un rideau. Il les a deployes comme une  
tente pour y habiter.

ترجمتها الحرافية هي<sup>(3)</sup>:

أما تبيّنتم مؤسس الأرض؟ هو يسكن على القبة التي تغطي الأرض، حيث سكانها يظهرون (له) مثل الجراد. إنه مَدَ السماوات مثل ستار، بسطها مثل خيمة ليسكن فيها. أهـ.

كانت المسيحية هي دين أوروبا وغربي آسيا وشمال إفريقيا، وكانت هذه هي عقيدتها عن الكون.

وكانت الزرادشتية والمانوية هما ديني الفرس مع بعض امتدادات لها مع بعض الفرس.

وكانت الهند تدين بالهندوسية التي لها امتدادات خارج الهند أيضاً.

وكانت الصين تدين بالكونفوشية والبوذية....

وكانت بقية البلاد الآسيوية تدين بالبوذية.

وطبعاً، كان هناك امتدادات لكل ديانة بين الديانات الأخرى.

وكانت إفريقيا الوسطى والجنوبية تشكل عالماً مجهولاً معزولاً عن بقية العالم.

وكانت هنا وهناك ديانات صغيرة لا يأبه لها إلا أصحابها.

وكل هذه الديانات وكل تصوراتها ما كانت تخرج عن هذا التصور المسيحي اليهودي الذي هو في الواقع، منبثق منها، أي منبثق من تصورات تلك الديانات السابقة.

لقد كانت أبعاد الكون الذي كانوا يتتصورونه أقل من جزء من مئة، بل من مئتين من قطر الدائرة التي ترسمها المجموعة الشمسية في دورانها حول الشمس.

ثم نرى أن محمداً صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أتى بما يخالف تلك التصورات مخالفة كبيرة كبيرة.. أتى يقول إن هذه الأرض، هذه الدنيا بالنسبة للكون ما هي إلا مثل ما يجعل أحدهم إصبعه في البحر فلينظر بم يرجع.

---

(3) — نقلت النص عن الفرنسيية لأنهم حرفوه في الترجمة العربية، وقد مرّ تفصيل هذا في كتابنا "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

أي إن هذه الدنيا أو هذه الأرض التي نعيش عليها هي بالنسبة للكون، بالنسبة للسماءات والأرض، كالبلل الذي يعلق بالإصبع عند وضعه في البحر بالنسبة للدنيا.

ثم بعد حوالي الف وثلاثمائة سنة، عندما توسع عالم الشهادة كثيراً كثيراً، تبين أن مقوله محمد صلى الله عليه وسلم هي صحيحة مئة بالمائة، وأن كل أهل الدنيا كانوا على غلط.

فهل يمكن أن يكون هذا صدفة؟؟؟!!

وهل يمكن أن يكون هذا ضربة أعمى؟؟؟!!

وهل يمكن أن يكون هذا ناتجاً عن عبقرية فذة؟؟؟!! أو... أو...؟

لا، لا، لا، إن هذا لا يمكن أن يكون إلا وحياً من لدن عليم خبير.

لا يمكن أن يكون إلا وحياً من لدن عليم خبير.

وهذه الفكرة المبينة بهذه النصوص كافية وحدها للبرهنة على أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله سبحانه وأن ما أتى به هو وحي أوحى إليه.

إنها وحدها كافية للبرهنة على ذلك، فكيف ومعها عشرات مثلها؟! بل مئات.

## المعارج

(( منَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ [3] تَرْجُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً )) [المعارج: 3 – 4]

(( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ )) [السجدة: 5]

(( يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ )) [سبأ: 2]

(( يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ )) [الحديد: 4]

(( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ )) [الحجر: 14]

وفي صحيح البخاري، عن أنس بن مالك قال:

كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج عن صدري... ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا.. حتى عرج بي إلى السماء الثانية...". (صحيح البخاري - كتاب الصلاة/1).

لكلمة "السماء" عدة معاني منها:

... سماء كل شيء أعلاه (مذكر). والسماء سقف كل شيء وكل بيت، والسماءات السبع سماء، والسماء ما نشاهده فوقنا كقبة زرقاء محاطة بالأرض، وما يحيط بالأرض من الفضاء الواسع، وكل ما علا، ورواق البيت، وظهر الفرس، والمطر، والسحب، والعشب... إلخ (عن لسان العرب).

ولعل كلمة "سماء" هي الكلمة التي تحمل أكثر عدد من المعاني في كل اللغة العربية، والذي يهمنا من معانيها هو ما ورد في القرآن الكريم، حيث نراها وردت بالمعنى التالية:

— ما يحيط بالأرض من جو الأرض، أي ما علا فوقنا ضمن طبقة الهواء: ((وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثُمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ)) [البقرة: 22]، ((وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)) [الأنباء: 32]، ((وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصَدِّدُ فِي السَّمَاءِ)) [الأنعام: 125]، ((وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ)) [الطارق: 11].

— ما علا فوق الأرض من الفضاء الكوني: ((قَدْ نَرَى تَقْلُبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...)) [البقرة: 144].

— العلو المطلق الذاهب في اللانهاية والذي يشمل السماوات السبع (الكون): ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)) [آل عمران: 5].

— العلو المطلق فوق الكون والذاهب في اللانهاية: ((أَمْنِتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)) [16] [أَمْ أَمْنِتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير]) [الملك: 16 – 17].

— الكون كله (السماوات السبع): ((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عِينَ)) [الدخان: 38]، ((بِيَوْمِ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِكُتُبِ)) [الأنباء: 104]، ((يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا)) [الحديد: 4].

— إحدى الطبقات الكونية<sup>(4)</sup>: ((تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا)) [الفرقان: 61]، ((وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)) [فصلت: 12]، ((إِنَّا زَيَّنَاهُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَافِكِ)) [الصفات: 6].

— السحاب: ((وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَلَسْقَنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَارِقِينَ)) [الحجر: 22].

الذي يرجح أن كلمة السماء في هذه الآية تعني السحاب وليس العلو هو قوله: ((وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)) فالرياح تلقي السحاب ومن خلاله يخرج الماء – وكل الآيات التي تذكر نزول الماء من السماء (وهي كثيرة) تكون كلمة السماء فيها محتملة أن يكون معناها "العلو" أو "السحاب".

(4) — مرْ تفصيل الطبقات الكونية، أي السماوات السبع، في كتاب "براهين".

— المطر: ((يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا)) [نوح: 11]، ((وَيَا قَوْمٍ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا)) [هود: 52].

في هاتين الآيتين تحتمل كلمة السماء المعنيين: إما المطر، أو العلو الذي ينزل منه المطر.

في هذه الآيات التي مرت في أول هذا البحث، كلمة "السماء" فيها تعني العلو الذي يشمل الكون (السماءات السبع) وما فوقه، بدليل قوله سبحانه في إحداها: ((يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةً مِمَّا تَعْدُونَ)) [السجدة: 5]. فالله سبحانه فوق العرش والسماءات، بائن عن خلقه<sup>(5)</sup>. وكذلك من قوله سبحانه: ((تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ...)) [المعارج: 4].

وحيثما وردت كلمة "العروج" وما اشتق منها في القرآن والحديث فهي تعني العروج في الكون بمعناه الشامل، أي السماءات السبع.

وهنا تظهر الحقيقة العلمية واضحة للعيان، الحقيقة التي كانت الدنيا كلها تجهلها منذ أن وجد الإنسان على الأرض وحتى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده حتى أكثر من ألف سنة.

هذه الحقيقة هي أن الانطلاق في الكون في اتجاه خارجه (أو في أي اتجاه كان) لا يكون بخط مستقيم، بل يكون متعرجاً، ولذلك سمى الانطلاق فيه "عروجاً"، وتوضيح ذلك: نعم، الأجرام الكونية متباude عن بعضها تباعداً "فلكيّاً"!، فهو يقاس بالسنين الضوئية، والسنة الضوئية تساوي 9460800000000 كم أي "تسعة ترليون" (أو، رباعيار) وأربعين سنة وستون ملياراً (أو، ثلاثيار) وثمانمائة مليون كيلومتراً. فمثلاً:

---

(5) — مر تفصيله في كتاب "براهين" وفي "مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

الشمس (شمسنا) وأخواتها يشكلن عائلة واحدة تسكن في بيت واحد، بل في غرفة واحدة (مجازاً طبعاً)، ومع ذلك، فأقرب أخت للشمس (طارد) تبعد عن الشمس حوالي (58) مليون كم، وأبعدها بما يقرب من ستة مليارات كم.

هذا بالنسبة لعائلة واحدة تسكن في غرفة واحدة، بل في غرفة صغيرة جداً جداً (نسبة طبعاً).

أما العائلة التي هي جارتنا الأقرب إلينا، وهي عائلة "فنتورس أ" فتبعد شمسها "فنتورس أ" عن شمسنا حوالي أربع سنوات ضوئية وثلاث، أي إن الضوء الصادر عن إحدى الجارتين يحتاج لكي يصل إلى الأخرى إلى أربع سنوات وثلاث!!!

هذا بعد بين نجمتين جارتين يمكن أن نتخذه أنموذجاً نقيس عليه الأبعاد بين النجوم الجارات، إذ من الوارد، حسب ما نعلمه من سنن الله سبحانه في خلقه، أن تكون النجوم في مركز المجرة وحوله أكثر تقاربًا، ثم تبتعد المسافات بينها كلما اقتربت من محيط المجرة.

وشمسمنا (ونحن معها) تقع على بعد حوالي (30) ألف سنة ضوئية من مركز المجرة (جارتنا)، وعلى بعد حوالي (20) ألف سنة ضوئية من محطيها، فهي بذلك في موضع وسط بين المركز والمحيط، حيث تكون الأبعاد بين نجومه أيضاً وسطاً، فلا هي بالأبعاد المركزية ولا بالمحيطية. وبذلك يمكننا أن نتخذها أنموذجاً.

ثم نأتي إلى المجرات، فالمسافة بين مجرتنا التي نحن جزء منها، وبين المجرة الجارة الأقرب إلى مجرتنا، وهي مجرة المرأة المسلسلة، تقدر بأكثر من مليون ونصف سنة ضوئية.

وهذا يعني أن الفراغ بين النجوم واسع جداً جداً..

لكن عندما نعلم العدد الهائل الهائل للنجوم المنتشرة في الفراغ الهائل في المجرة، في كل مجرة.

وذلك العدد الهائل الهائل لل مجرات في سمائنا الدنيا (الطبقة الكونية التي أرضنا جزء منها)، وهو عدد مجهول يقدرونها بالمليارات، وهو تقدير قزم يقيناً.

وكذلك في بقية الطبقات الكونية (السماءات السبع).

فإذا استطاع خيالنا البشري القاصر أن يتصور ذلك الركام الهائل الهائل.. من النجوم الشموس، والتي يرافقها، يقيناً، عدد أكثر منها من الكواكب الباردة، وهي وإن كانت، يقيناً أكثر عدداً كنني أظنها تساويها بالكتلة.

إذا استطاع الخيال البشري أن يتصور هذا، فسيرى بوضوح يقيني أن أي جرم، كاناً ما كان، إذا سار في خط مستقيم في أي اتجاه في هذا الكون، فسيصطدم بملائين من الأجرام الكونية ما بين ملتهب وبارد وكبير وصغير، وبالتالي سوف ينتهي سيره عند أول جرم أكبر منه يصطدم به.

لذلك، فلا بدّ، حسب هذا الواقع الذي قضاه الخالق سبحانه، أن يكون سيره متعرجاً ليحيد عن الاصطدام بالنجوم والكواكب، أو لينحنى بتأثير جاذبية الجرم الذي يمر بقربه. فهو يergus في السماء.

في عصر العلم الذي نعيشه الآن، صارت هذه الحقيقة معروفة لكل من عنده معرفة بما يكفي لهذا الموضوع من علم الفلك.

ولنأخذ مثلاً ضوء الشمس:

ينطلق ضوء الشمس من كل سطح الشمس في جميع الاتجاهات بدون استثناء، بخط مستقيم ما دام في وسط متجانس واحد، وما لم يمر قريباً من أحد الأجرام الكونية. وإذا حاولنا تتبع مسیرته نرى ما يلي:

جزء ضئيل جداً جداً (نسبياً) من ضوء الشمس سوف يصطدم بعد حوالي 3.2 دقيقة بكوكب<sup>(6)</sup> عطارد، حيث يعكس بعض هذا الضوء الذي سقط عليه ويختصباقي ليُشعّه فيما بعد بشكل موجات طويلة (تحت الحمراء). وينطلق

---

(6) – اصطاحوا في هذه العصور على أن يطلق اسم "النجم" على النجم الملتهب المضيء واسم "الكوكب" على النجوم الباردة التي تستضيء بالنجم مثل عطارد والزهرة والأرض، أما في القرآن الكريم واللغة فمعناهما واحد.

الضوء المعكوس (وهو مضيء)، وال WAVES (تحت الحرارة)، حيث يحدث لها مثل ما يحدث لبقية الضوء الشمسي.

والذي يهمنا هنا أن هذا الجزء الضئيل جداً جداً من ضوء الشمس الذي ينعكس بشكل ضوء أو حرارة قد تخرج في مسيرة ليسير في خط على غير امتداد مستقيم لخطه الأول.

وهناك إلى جانب هذه الجزء الذي سقط على سطح عطارد، يوجد أيضاً جزء من ضوء الشمس ضئيل جداً جداً جداً (نسبة) يمر قريباً من عطارد محظياً بها، فيصيبه انحناء في سيره بسبب جاذبية عطارد، ومقدار هذا الانحناء متناسب طرداً مع قربه من الكوكب (عطارد) ومع كتلة هذا الكوكب. وهو هنا عند عطارد، انحناء بسيط جداً جداً، لكنه مع ذلك يغير اتجاه الضوء ولو شيئاً بسيطاً جداً جداً، ليسير في خط جديد مستقيم ما دام في وسط واحد متجانس، حيث يحدث له بعد ذلك مثل ما يحدث لبقية الإشعاعات الشمسية وغيرها.

جزء آخر من ضوء الشمس، أيضاً، ضئيل جداً جداً (نسبة) سوف يمر بـ كوكب الزهرة حيث يحدث له هنا مثل ما حدث للضوء الذي مرّ بـ عطارد، مع فارق بسيط جداً هو أن الانحناء هنا (عند الزهرة) أشد قليلاً منه عند عطارد، لأن كتلة الزهرة أكبر، لكن الانكسار الملاحظ هنا هو انكسار الاشعة التي تخترق جو الزهرة الغازي، بسبب فرق الكثافة بينه وبين الوسط البعيد عن الزهرة ذي الكثافة التي تدور حول الصفر.

وجزء آخر من ضوء الشمس، أيضاً، ضئيل جداً جداً جداً (نسبة) يمر على الكوكب الأرضي (الذي نعيش عليه) فيحدث له مثل ما حدث للضوء الذي مر على الزهرة.

لكن هنا، في الأرض، يوجد شيء إضافي، فلأرض قمر يدور حولها، تمر عليه أيضاً حزمة من ضوء الشمس ضئيلة جداً جداً جداً (نسبة) فيحدث لها مثل ما حدث للضوء الذي مر على عطارد، لأن القمر مثل عطارد ليس له جو غازي.

ويحسن أن ننتبه إلى أن انحراف الضوء بتأثير عطارد وقمر الأرض، والزهرة بل والأرض أيضاً هو من الضآللة بحيث قد لا تشعر به مباشرة آلات الرصد الموجودة، وإنما يعرف بالحساب.

وأجزاء أخرى من ضوء الشمس، أيضاً ضئيلة جداً جداً، نسبياً، تمر على المريخ، وهو أصغر من الأرض، وعلى المشتري، وهو أكبر من الأرض بحوالي سبعين مرة، وعلى زحل، وهو أصغر من المشتري، وعلى أورانوس ونبتون وبلوتون، وعلى ما بعد بلوتون إن كان يوجد بعده آخر للشمس وهو ما أرجحه. ويحدث لها مثل ما حدث للضوء الذي مر على الأرض، لأن هذه الكواكب لها أجواء غازية مثل الأرض، وكذلك بعض أقمارها.

لكن الانحناء عند المشتري وزحل يكون أكبر منه عند الأرض بسبب الكتلة الكبيرة لكل من المشتري وزحل.

وأجزاء أخرى أيضاً ضئيلة جداً جداً نسبياً، تمر على أقمار المريخ والمشتري وزحل وبقية الأخوات، يحدث لها مثل ما حدث للضوء الذي مر على عطارد وعلى قمر الأرض، وهذا بالنسبة للأقمار التي ليس لها أجواء غازية.

أما بعض أقمار المشتري وزحل التي لها جو غازي، فيحدث للضوء الذي يمر بها مثل ما حدث للضوء الذي مر بالزهرة أو بالأرض.

وفي بعض الأحيان يحدث أن يمر جزء من الضوء على أكثر من كوكب من أخوات الشمس حيث ينحني عند أول كوكب يمر به (انحناءً ضئيلاً ضئيلاً) ليسير بعدها في طريقه المستقيم حيث يكون في ذلك الحين أحد الكواكب الأخرى أو أحد أقمارها معرضاً في طريقه، فيحدث له من الانحناء والانكسار والانعكاس ما يتناسب مع حال الكواكب أو قمره.

وهكذا، الجزء، أو الأجزاء الضئيلة جداً جداً، نسبياً، من ضوء الشمس التي تمر بأخوات الشمس (الكواكب) يكون مسيرها متعرجاً، تعرجاً طفيفاً جداً جداً وذلك لأن الكواكب تابعات الشمس صغيرة جداً نسبياً وجنبها للضوء ضئيل جداً.

وفي واقع اختلاف الأزمنة التي تدور فيها أخوات الشمس حول الشمس، قد يحدث في بعض الأحيان أن تمر حزمة الضوء الواحدة بأكثر من كوكب، فتعاني بذلك أكثر من تعرج.

أما الجزء الأعظم الأعظم من ضوء الشمس الذي لا يوجد في طريقه واحدة من أخوات الشمس أو أقمارها، فينطلق في الفضاء في كل الاتجاهات، وكذلك الأجزاء الضئيلة التي مرت بالكواكب أخوات الشمس أو أقمارها وانطلقت بعدها، فهي تنطلق أيضاً في خط مستقيم حتى تمر حزمة منها بشمس من الشموس القريبة منا، أو برفيق هذه الشمس، أو رفيقاتها، وأقرب شمس لشمسنا تبعد عنا حوالي أربع سنوات ضوئية وتلث، أي إن الضوء المنبعث من شمسنا يحتاج إلى أربع سنوات وتلث ليصل إلى جارته تلك، حيث يعاني هناك تعرجاً ملحوظاً عند مروره بتلك الشمس "قطورس أ" وتعرجاً ملحوظاً مثلاً عند مروره برفيق قنطورس أ إن كان لم يزل كتلته واحدة، أما إن كان قد فتق إلى عدة كواكب كما حصل لرفيق شمسنا الذي فتق إلى "عطارد والزهرة والأرض والمريخ..." فيحصل للضوء الذي يمر بها كما حصل للضوء الذي مر بكواكب شمسنا. وحزمة أخرى من ضوء شمسنا المنطلق في فضاء مجرتنا، تمر بعد أكثر من ست سنوات بالشمس "الشعري اليمانية" ويحدث لها مثل ما حدث لرفيقها التي مرت بقنطورس أ.

وهكذا باقي الضوء المنطلق في فضاء مجرتنا، بعضه يمر بشمسِ أو رفيقها (أو رفاقها) بعد أكثر من سبع سنين، وبعضها بعد حوالي ثمانى سنين وتسع وعشرون .. وعشرين .. ومئة سنة، ومئات السنوات... وبعد حوالي ألف سنة.. وألوفها.. وعشرات ألوفها.

ويعاني بعض هذا الضوء المنطلق في قضاء المجرة عشرات التعرجات، وبعضه مئات التعرجات وألوفها وعشرات ألوفها... وأخيراً يخرج كل الضوء الذي لم يُمتصَّ من قبل الأجرام التي اصطدم بها في المجرة (مجرتنا) لينطلق في فضاء ما بين المجرات.

وفي فضاء ما بين المجرات لا يبقى معنى للسنين الضوئية ولا لألوافها ولا مئات ألوفها، وإنما المسافات هنا بـملايين السنين الضوئية ومئات ملايينها وألوف ملايينها.

وحيثما توجهت أشعة الضوء في هذا الفضاء السحيق فسوف تمر على مجرات بعدها مجرات، وسوف تعاني كلها ملايين التعرجات وعشرات ملايينها ومئات ملايينها و ملياراتها حتى تخرج من نطاق الكون إلى الفضاء المحيط اللانهائي إن كان ذلك ممكناً.

ولنعد لقراءة الآيات:

(( منَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ[3] تَرْجُ� الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ... ))

(( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ... ))

(( وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا... ))

(( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ))

لننتبه في هذه الآية الأخيرة إلى قوله سبحانه ((فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ )) أي إن العروج مستمر، من عروج إلى عروج إلى عروج...

والآن أعيد السؤال المعهود.

كيف جاء هذا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم؟!

كيف عرف هذه الحقيقة التي كانت الدنيا كلها تجهلها، بل حتى في عصر العلم الذي نعيشه، أكثر الناس يجهلونها؟!

إن هذا لا يمكن أن يكون قد جاء صدفة، أو ضربة أعمى.

لا يمكن لعالم عاقل يحترم كلمته أن يجد تعليلًا صادقًا لهذا إلا أنه وهي من لدن عليم خبير. وإلا، فماذا؟!

### تفقيب

عندما نرى هذه الآيات تسمى الذهاب في العلو الكوني "عروجاً" نعرف عندئذ من قوله سبحانه: ((... يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقَا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ... ))

أن السماء هنا لا تعني العلو الكوني، وإنما تعني العلو الأدنى الذي لا عروج فيه، وإنما صعود فقط، وهذا يعني أنه العلو في جو الأرض.

ومثله مقولة الجن: (( وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْئَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا )) [الجن: 8] حيث نرى أنه لا وجود للعروج، وإنما لمسوا السماء دون عروج. وهذا يعني أنها السماء التي لا عروج فيها، أي هي جو الأرض فقط.

وفي بحث "الجن" الذي سيأتي سنرى الحديث الشريف الذي يبين أن السماء التي يصلها الجن هي السحاب.

وكذلك قوله سبحانه: ((إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ )) [فاطر: 10]. فالكلم الطيب يصعد إليه سبحانه دون حاجة إلى أن يجتاز أي مسافة، لأن الشأن هنا متعلق بقدرته سبحانه اللامحدودة، إنه سميع عليم، سميع بلا حدود، عليم بلا حدود، يصعد إليه الكلم الطيب في لحظة صدوره، فلا عروج، ولكن صعود. وكذلك رفعه سبحانه للعمل الصالح.

ملاحظة: كنت قد قرأت بحثاً موجزاً جداً حول هذه الآيات، آيات العروج، وذلك قبل سنين طويلة، لكنني، مع نسياني لزمن هذه القراءة، نسيت أيضاً المرجع والباحث. ولا أستبعد أن تكون قرأتها في مجلة الرسالة التي كان يصدرها الأستاذ أحمد حسن الزيات، رحمه الله، في مصر.

## الظلم الدامس بين النجوم وال مجرات

(( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ [14] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بِلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ )) [الحجر: 14-15].

قبل الغوص في البحث يعرض سؤالٌ نفسه:

ماذا يفهم من عبارة ((لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا))؟

والجواب واضح من نص العبارة، التي تعني أنهم صاروا في ظلام دامس، وأن هذا الظلم لم يكون متوقعاً عندهم، فهو أمر غريب بالنسبة لهم، لا يجدون له تفسيراً يتفق مع تصوراتهم ومع منطق هذه التصورات إلا أن أبصارهم قد سكرت!

لكن الجملة الاستدراكية التي تأتي مباشرة بعد هذا التفسير ((بِلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ )) تدلنا على أن هناك شيئاً ما جعلهم يشعرون أن أبصارهم غير مسكرة، وأن وضعًا غريباً عليهم إلى جانب الظلم جعلهم يقولون إنهم مسحورون، لأن هذا هو التفسير الوحيد الذي يتفق مع تصوراتهم ومعلوماتهم المتشوهة.

فما قصة هذا الظلم؟

وما هو ذلك الوضع الغريب الذي يجعلهم يظلون أنهم مسحورون؟  
سنرى فيما يلي أن الآية تدلنا بوضوح على حقيقتين: حقيقة آفاقية، وحقيقة نفسية<sup>(7)</sup>. مما هاتان الحقيقتان؟

نعود إلى الآيتين:

(( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ [14] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بِلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ )).

(7) – في اللغة العربية، لا يلحقون باء النسبة باسم الجمع، وإنما يفردون الاسم ثم يلحقون به باء النسبة، فيقال "أفقية" و"نفسية"، ويجب الالتزام بهذه القاعدة في المواضيع الأدبية، أما في المواضيع العلمية فدقة التعبير تفرض علينا بعض الخروج على قواعد اللغة، مثل حالتنا هذه التي تعالجها.

لكلمة "السماء" معانٍ كثيرة.

فكل ما ارتفع وعلا فهو سماء، والسماء ما نشاهده فوقنا كقبة زرقاء محاطة بالأرض، وما يحيط بالأرض من الفضاء، وكل ما علاك فهو سماء، والسموات السبع (أي الكون كله) سماء، وما فوق الكون من جميع جهاته من الالانهاية سماء، وسقف كل شيء وكل بيت سماء، والسماء ظهر الفرس، والسحب، والمطر، والعشب... ففضاء ما بين النجوم سماء، ففضاء ما بين المجرات سماء، والكون بجملته سبع طبقات كل طبقة سماء...

فما هو المعنى المقصود من كلمة "السماء" في هذه الآية؟

من قوله سبحانه: ((فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ)) نعرف ما هي السماء المعنية هنا؟

إنها السماء التي يُعرج فيها، أي هي الفضاء ما بين النجوم ثم ما بين المجرات، إذ هو السماء التي يضطر العابر فيها إلى العروج بين حين وآخر ليحيد عن النجوم التي تكون في طريقه، وقد رأينا تفصيل هذا قبل قليل، وطبعاً يجب أن تكون سرعة العروج عالية جداً، إذ لو كانت بسرعة الضوء لاحتاج العارج إلى مilliارات السنين مما نَعْدَ ليخرج من نطاق الكون.

ويجب أن ننتبه إلى أن المخاطبين المباشرين بهذه الآية هم معاصرو الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يعمّ معناها كل البشر الذين هم مثّلهم في تصوراتهم عن الكون والأرض وعن الليل والنهر.

كانوا يتصورون أن الأرض طبقة منبسطٌ سطحها، ذات طول وعرض وسمك، وكانوا يتساءلون كيف لا تسقط الأرض إلى الأسفل، لأنهم كانوا يتوهّمون أن جهة الفوق وجهة التحت بما من واقع الفضاء الالاهي الموجود فيه الكون. وكانوا يضعون لذلك النظريات التي كان بعضها من ترتيب بعض الدجالين، وبعضها من الكشف الصوفية، وبعضها من تصورات بعض المفكرين الذين يبنون تصوراتهم على أوهام يظنون أنها الواقع...

وكانوا، بناءً على ذلك، يتصورون أن النهار، عندما تطلع الشمس، يُعم الأرض وما علا من جوّها حتى سطح الطبقة الزرقاء التي كانوا يرونها قبة تظل الأرض ويرونها عنصراً آخر يختلف عن عناصر الأرض الأربع (النار والهواء والماء والتراب) أو الستة، التي هي العناصر الأربعة المذكورة مضاف إليها الملح والكبريت.

وعندما يأتي الليل كانوا يظنون أنه كذلك يمتد من الأرض حتى القبة الزرقاء التي عُلقت فيها النجوم المضيئة التي تضيء سطح القبة الزرقاء وما هو قريب منها من تحتها.

ولا يهمنا هنا أن نتوسع في ذكر تصوراتهم التي كانت تختلف من ثقافة إلى أخرى، وإنما نكتفي بما أوردناه وهو كاف لموضوعنا الذي نحن في صدده من جهة، ومن جهة ثانية هو الهيكل الذي كانت كل الثقافات تبني عليه تصوراتها.

وفي هذا العصر حيث أخذت علوم اليقين تتكشف للإنسانية، توضحت حقائق واقع هذا الموضوع الذي نحن في خوض فيه، منها:

— **الحقيقة الأولى:** هذه القبة الزرقاء التي تظل الأرض والتي كانوا يظنونها، أو يتصورونها طبقة من مادة تختلف عن مواد الأرض، وأن بعدها كذا، وسمكها كذا، هذه القبة ليست إلا طبقة من طبقات الهواء تكافف فيها الأوزون (03) تكاففاً كبيراً فأعطتها هذا اللون الأزرق، وهي تبعد عن سطح الأرض حوالي (15) كم، (فقط خمسة عشر كيلومتراً)، وسمكها يتراوح حوالي (25) كم (فقط خمسة وعشرون كيلومتراً)، والأقمار الصناعية التي أطلقت لليقان بدراسات مختلفة، تجاوزت هذه الطبقة وارتقت فوقها بمسافات تختلف حسب المهمة التي بُرمج لها القمر الصناعي.

— **الثانية:** عندما يطلع النهار وتشرق الشمس نرى ضوءها يعم كل شيء على الأرض وينتشر حتى داخل الغرف والأنفاق التي لها منفذ إلى الخارج.

وصرنا نعرف الآن أن انتشار الضوء هذا إنما يحدث بسبب الهواء. إذ أن الهواء هو الذي ينشر الضوء في كل الاتجاهات فينتقل النهار، وأما في الفضاء فيسيراً في

خطوط مستقيمة، لذلك لا تستطيع العين هناك أن تراه إلا إذا دخل فيها مباشرة، لأن العين لا ترى الضوء إلا إذا دخل فيها، وكذلك، لا ترى الأشياء إلا إذا سقط عليها ضوء وانعكس عنها ودخل إلى العين، فإنها عندها تراه.

وأثناء النهار في الأرض، لو صعد صاعد من مثل المعينين بالأيتين (( ولَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ [14] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بِلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ )) وارتفع فوق طبقة الهواء حتى يصل إلى حيث لا هواء، ويمكن أن يكون هذا على بعد مئات قليلة من الكيلومترات عن سطح الأرض.

هناك، لا يعود يرى النهار، بل يرى الظلام الدامس يحيط به، إلا إذا نظر مباشرة إلى الشمس فيرى ضوءها أشد بكثير كثير منه على سطح الأرض، وإذا نظر إلى النجوم يراها مختلفة الألوان.

لكن الآيتين لا تتحدثان عن هذا العلو الذي يصعد فيه (صعوداً)، وإنما تتحدثان عن باب من السماء يُعرج فيه (عروجاً)؟

إذن فهو ممر بين النجوم، ثم بين المجرات حيث العابر فيه، بسرعة طرف العين أو أسرع، يكون مضطراً إلى التعرج في مسيره لثلا يصطدم بالنجوم، وهناك يرى نفسه في ظلام دامس، وقد كان قبل قليل على الأرض في ضوء النهار؟! فبماذا يفسّر ذلك؟

يجب، هنا، ألا ننسى أن المعينين بهاتين الآيتين هم، أولاً، الناس المعاصرون لزمن نزول القرآن، ثم لبقية الناس بعدهم، ثم في عصورنا هذه (عصور معرفة العلوم اليقينية) لكل الناس الذين هم ما يزالون متلهّم في تصوراتهم الذهنية عن بناء الكون، وعن الليل والنهار...

كما يجب ألا ننسى أن الباب الذي يفتح لهم من السماء ليس كالآبواب الأرضية، إنما هو ممر فضائي عبر فضاء لانهائي تسبّح فيه التجمعات النجمية (المجرات) والمفردات النجمية التي تظهر وكأنها تائهة بين المجرات.

كما يجب أن نذكر تصوراتهم لبناء الكون الذي ذكرناها قبل أقل من صفتين. والتي لم تزل، حتى الآن، هي تصورات مئات الملايين من البشر، والتي كانت في الواقع هي تصوراتنا نحن، عندما كنا صغراًً وقبل أن نعرف حقائقها.

وهنا، نعيد الطرح:

قبل قليل جداً أو قبل دقائق قليلة، كانوا على الأرض في ضوء النهار، ثم انطلقوا بسرعة طرف العين عبر باب من السماء فتح لهم، وإذا بهم يرون أنفسهم في ظلام دامس!! فبماذا يمكن أن يفسروا ذلك؟؟

طبعاً، سوف يظنون أن أبصارهم قد سُكِّرت، إما بفقدان الإبصار، أو بشيء قد غشى بها فحجبها عن الرؤية.

لكنهم، إن كانوا لم يزدوا داخل المجرة، فسيرون نجوماً مختلفة الألوان، وإن كانوا قد صاروا خارجها، بين المجرات، فسيرون في سمائهم هناك بقعاً صغيرة منتشرة، بشكل سحابات شاحبة. وهذا يدلهم على أن عيونهم لم تسُكِّر، وأنهم يتصرون كما كانوا! إذن، فما هذا الظلام؟ وأين النهار؟ وأين الشمس؟ وما هذه البقع الشاحبة؟؟؟

كيف يفسرون هذا الواقع الغريب؟ أو هذه الألغاز؟

إنهم، بدون أي شك، سوف يظنون أنفسهم مسحورين! لأنهم لا يستطيعون أن يجدوا تفسيراً آخر لهذا الواقع الذي يجهلون كل شيء يتصل به جهلاً كاملاً، وتصوراتهم التي ينطليون منها تختلف اختلافاً كلياً عن هذا الواقع.

إنهم، بدون أي شك، ستكون مقولتهم ((سُكِّرتْ أَبْصَارُنَا)) ثم ((بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)) وهذا، نرى أن هاتين الآيتين ((وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ [14] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)) بكلماتهما القليلة توضح لنا حالتين من حالات الفضاء الكوني "العروج لعابر، والظلم المطبق"،

وَحَالَةٌ مِّنْ حَالَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ كُونُ النَّهَارِ مَحْدُودًا فِي جَوَّ الْأَرْضِ فَقَطْ، كَمَا تَبَيَّنَ حَالَةٌ مِّنْ حَالَاتِهِمُ الْذَّهَنِيَّةِ وَالنُّفُسِيَّةِ.

وَالسُّؤَالُ الْمُعْهُودُ:

كَيْفَ عَرَفَ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ؟ وَبِهَذِهِ الدِّقَّةِ؟

هَلْ هُنَاكَ احْتِمَالٌ آخَرُ غَيْرُ أَنَّهَا وَحْيٌ مِّنْ لَدُنِ عَلِيمٍ خَبِيرٍ؟؟

— أَبْدَأْ لَا يَوْجِدُ أَيْ احْتِمَالٌ آخَرُ.

— وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ وَحْدَهُما كَافِيتَانِ لِلْبَرْهَنَةِ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، فَكِيفُ وَمَعْهُمَا مِثْلَهُمَا عَشْرَاتِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، بَلْ مِئَاتِهَا.

## وأنزلنا الحديد

((...وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ... )) [الحديد:25].

تقول هذه الآية إن الحديد أُنزل إلى الأرض، وطبعاً أُنزل من السماء، وتدلنا الآية أن هذا الحديد الذي أُنزل إنما فيه منافع للناس.

إذن، فالحديد الذي ينفع به الناس هو الذي أُنزل من السماء. وهذا يعني أن الحديد الذي يشكل قلب الكره الأرضية خارج من مدلول الآية لتعذر الوصول إليه والانتفاع به.

وهذا الحديد الذي فيه منافع للناس مثبت في القراءة الأرضية (السيال) بالأماكن الكثيرة المعروفة، وبعضها لم يكتشف بعد، وقد يكون بعضها وصل إلى طبقة الرداء.

فكيف نزل هذا الحديد إلى الأرض؟

إنهم يقدرون عمر الأرض بحوالي (4.5) مليار سنة أرضية، وهو تقدير يتحمل الزيادة والنقصان، لكنني أظنه إن نقص فلن ينقص عن أربعة مليارات سنة أرضية وإن زاد فلن يزيد عن خمسة مليارات.

وهنا، لنقبل الرقم المتوسط الذي قرروه، أي 4.5 مليار سنة أرضية. وقد لا تخلو ساعة، بل قد لا تخلو دقيقة من نيزك يهبط إلى الأرض، وأكثر هذه النيازك يت弟兄 في الهواء (السفف المحفوظ) بسبب الاحتكاك فيشكل بعضه الشهب التي نراها، وبعضها تصل منه ذرات إلى الأرض لا نحس بها لصغرها، وبين حين وآخر تهبط كتل ضخمة، يت弟兄 قسم من سطحها المحيط، ويبقى رغم ذلك قسم كبير منها بحرارة أقل من حرارة الت弟兄، حيث يصطدم بالأرض ويغور فيها، وقد يسبب كوارث في البقعة التي يهبط فيها بسبب ما يشكله من زلزال ورياح وحرارة، هذا إن كان ضخماً، وقسم صغير أو كبير من الذرات التي تصل إلى الأرض هو من

الحديد. وكذلك الكتل الضخمة يكون قسم منها كبير أو صغير من الحديد. وطبعاً قد يكون بعضها خالياً من الحديد.

وفي زمن الأرض الأول، أي قبل 4.5 مليار سنة، كانت الأجرام الكونية أقرب إلى بعضها منها الآن بكثير كثير، لذلك كانت الحجارة السماوية والنيازك التي تهبط على الأرض أكثر منها الآن بكثير أيضاً، وكانت بذلك كمية الحديد التي تنزل من السماء في الدقيقة الواحدة أكثر منها الآن بكثير أيضاً، وكلما تقدم الزمن وزاد تباعد الأجرام عن بعضها تناقصت أعداد الحجارة والنيازك الهاابطة وكمياتها وتتناقص معها كمية الحديد النازل.

هذا، بشكل عام، هو سبب وجود الحديد (وغيره من المعادن الثقيلة) في القشرة الأرضية. لكن الآية الكريمة ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ)) تجعلنا نستشف منها أنه في وقت من أوقات الماضي البعيد البعيد، هبطت على الأرض، أو كانت تهبط كميات من الحديد كبيرة أكثر مما صارت تهبط بعد ذلك.

والآن، في هذا العصر، عندما توسيع معارف الإنسان اليقينية توسيعاً كبيراً، توضح لنا كثير من آيات الأفاق والأنسنة، ومنها آية الحديد هذه ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ)) التي صار مدلولها المذكور من اليقينيات.

وقبل إيراد السؤال المعهود، يحسن التذكير بأن الحديد الذي ينزل يكون في أكثره بحالة أكسيد مختلفة، وقد ينزل في أحيانٍ قليلة أو نادرة بشكل حديد صافٍ، وحتى هذا الذي ينزل بشكل حديد صافٍ لا يبقى صافياً عندما يصطدم بالأرض بسبب حرارته العالية التي اكتسبها من الاحتكاك بالهواء التي تجعله يتفاعل بسرعة مع المواد التي يهبط فيها، ومع ذلك فقد يبقى بعضه على حالته الصافية.

ثم نعود إلى إيراد السؤال المعهود: كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الحديد الذي ينفع به الناس كان قد أنزل من السماء؟

قد يقول قائل: إنهم، قبل الإسلام وبعده، كانوا يتناقلون مقولات عن قطع من الحديد نزلت من السماء وصنع بعضهم من بعضها سيفاً، وكانوا يرون أن الصواعق هي كتل من الحديد الحار جداً، أو أن هذه الكتل تكون مصاحبة للصواعق التي كانوا يجهلون كنهها، وإن محمداً صلى الله عليه وسلم أورد جملة ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ..)) انطلاقاً من هذه المقولات التي كانت تُتناقل؟

والجواب: لو كانت هذه الآية ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ..)) وحدها في القرآن الكريم، بل لو كان معها أيضاً مثلها (مثلها) ثانية وثالثة ورابعة، بل وخامسة أيضاً، لقلنا مع هؤلاء القائلين إن هذا احتمال وارد.

أما وهذه الآية هي واحدة من عشرات كثيرة من الآيات التي تذكر حقائق كونية من حقائق الأفق والأنفس كانت الدنيا كلها تجهلها، وبقيت تجهلها إلى ما بعد أكثر من ألف سنة من زمن محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تكشفت للباحثين شيئاً فشيئاً مع تطور أساليب البحوث العلمية ووسائلها، وبعد عشرات الألوف، بل مئات الألوف من التجارب.

عندما نعلم ذلك، نعلم أن هذه الآية وغيرها من أمثلتها (من أمثلتها) لم تكن من نوع مقوله القائل أو القائلين، وإنما هي صادرة من لدن عليم خبير.

فهي ليست ترديداً لمقولات، ولنست ضربة أعمى، ولنست صدفة عجيبة، وإنما هي من الأدلة القاطعة على أنها، كلها، لا يمكن أن تكون إلا وحيًا من لدن عليم خبير. حيث يتحقق لنا الآن أن نعيد إلقاء السؤال:

كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم ذلك؟

هل هناك احتمال آخر غير أنه وحي من عند الله سبحانه؟

ملاحظة هامة جداً: قال لنا القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً إن الكون يتسع، وفي القرن الميلادي العشرين، قالت لنا البحوث الفلكية إن الكون يتسع وإن المجرات تتبع عن بعضها بسرعات رهيبة (وقد مر هذا في كتابنا "براهين" ثم الذي بعده). وحتى الآن لم يلاحظوا أن النجوم داخل المجرة تبتعد أيضاً عن بعضها.

وأنا عندي يقين أنها أيضاً تبتعد عن بعضها، لكن ببطء شديد جداً، يصعب على أساليب البحث الحالية اكتشافه.

## لحم الخنزير

– ((إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ... )) [البقرة:173].

– ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ... )) [المائدة:3].

– ((إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمًا خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ... )) [الأعراف:145].

إن عشرات البراهين الفاطعة من آيات الآفاق ومن بعض آيات الأنفس التي مرت في كتب "الإعجاز العلمي في القرآن" السابقة وفي هذا الكتاب، هي أدلة شاهدة بحق أن القرآن هو الحق منزل من عند الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعندما يحرّم القرآن شيئاً، فنحن نجتبه ونحرمه دون أي تساءل لأننا علمنا أنه الحق منزل من لدن رب العالمين.

وإذا هدانا الله سبحانه لمعرفة الحكمة من هذا التحرير فهو زيادة في الخير تستوجب منا الشكر له سبحانه على ما هدانا، وعلى كل شيء من آله.

وقد حرم الله سبحانه لحم الخنزير، فنحن نحرمه ونجتبه.

وقد عرفت الحكمة من هذا التحرير؟ أو لعل الذي عُرف هو بعضها وليس كلها، أي إن من الممكن وجود حكمٍ أخرى.

والحكمة من تحريم لحم الخنزير هي نفس الحكمة من تحريم أكل الحيوانات اللاحمة، فالذى يدفع الحيوان اللام للفتاك بأى حيوان آخر يقدر عليه هو هرمونات تفرزها غدد في دمه، وتختلط هذه الهرمونات بلحمه ودهنه وأعصابه ودماغه، أي في كل جسمه.

وهذه الهرمونات إذا أكلها الإنسان فإنها تمتزج كذلك في كل جسمه، وتحيله إلى حيوان فتاك حيث تظهر هذه الحالة فيه عند الحاجة.

والخنزير حيوان يحتوي جسمه على غدد تفرز هرمون الفتاك هذا، فهو عندما يجوع يفتاك بأي حيوان أمامه يقدر عليه كالفار والأرنب وغيره، بل لو رأى هرّاً نائماً فقد يفتاك به قبل أن يحس الهر فيخشه بأطافره.

والخنزير في الأصل حيوان لاحم تحول إلى نباتي، نصف نباتي، وبقي فيه من صفات اللحم الهرمونات والأنياب في فمه والفتاك عند الجوع في أي حيوان ضعيف يستغله قبل أن ينتبه له فيهرب منه.

وعندما يأكل الإنسان لحم الخنزير يتركز في جسمه هرمون الفتاك هذا شيئاً فشيئاً، ويحيله إلى حيوان فتاك في شكل إنسان، فتكون حاله كحال الخنزير، حيوان فتاك في شكل نصف نباتي. أو ليس هذا مسخاً خنزيريَاً، وإن لم يكن مسخاً فما هو المسوخ؟ قد يقول قائل: إن المسوخ هو أن يمسخ كل جسمه شكلاً وموضوعاً، فأقول له: ليكن هذا مسخاً جزئياً إذن.

وهذا يفسر لنا القسوة الهمجية التي يتصرف بها الأوروبيون، وكاملة على قسوتهم، أو على قسوة آكلي لحم الخنزير بشكل عام، نبدأ بالروماني.

أذكر على همجية الرومان مثيلين فقط، أولئك كافيين وأكثر من كافيين.

أ - ساحة فسيحة في روما محاطة بمدرجات تتسع لألف كثيرة من المترجين، الذين يمتعون أنظارهم ونفوسهم بمشاهدة الأسود وهي تفترس العبيد أو الأسرى وهم عراة ليسهل على الأسود افتراسهم، أو يمتعون أنظارهم ونفوسهم بمشاهدة الأسرى أو العبيد أو المغضوب عليهم الذين يفرض عليهم النقاتل حتى يقتل أحدهم الآخر، الذي قد يكون أخاه أو قريبه أو صديقه.

ثم تكون هذه الهمجية حديث السمار في سهراتهم والأصدقاء في ندواتهم للتسليه، وقد يتراهن بعضهم على الفائز في الاقتتال، اقتتال المغلوبين على أمرهم، الذين إن أبووا الاقتتال بينهم، فسيكونون فريسة للأسود الجائعة بعد التعذيب الوحشي طيلة شهور.

ب — في الأبنية الأثرية، يميز البناء الروماني مباشرةً، حيث يُعرف بحجارته الضخمة التي يحتاج رفع الواحد منها إلى قوة رجالٍ كثيرين.

لرفع الحجر الضخم — وجل حجارتهم ضخمه — إلى مكانه في الجدار، يكبس الرمل إلى جانب الجدار ليشكل سطحاً مائلاً بين الأرض وأعلى الجدار، ويوضع على هذا السطح المائل صفائن من الألواح الخشبية من الأرض حتى أعلىه مخصصة ليسير عليها الرجال، وتكون هذه الألواح على شكل صفين بينهما مساحة كافية ممتدة بين الأرض وأعلاه الجدار ليسحب الحجر المراد رفعه فوقها.

يوضع الحجر الضخم على لوح خشبي يثبت عليه بطريقة أو بأخرى، ويربط اللوح الخشبي بحبال من جانبيه على عدد الرجال الذين سيجرّونه، ويمسك كل رجل منهم بحبال (غليط طبعاً)، ويكون الرجال صفَّين، على كل جانب صفٌ، وهم كلهم من العبيد الذين أُسرموا في حربٍ أو أثناء مرور كتيبة رومانية في قرية بعيدة نسبياً عن المدن، أو سرقهم تجار العبيد وعملاؤهم من أحياهم أو فراهم وهم صغار، وفي أحيان كثيرة وهم كبار.

يسير إلى جانب كل صف من هؤلاء العبيد مراقبٌ يحمل سوطاً أو عصاً طويلة، يلسع به أو بها الظهر العاري للعبد الذي يظهر منه أدنى تردد في الشدّ.

وإذا سقط أحد العبيد من الإعياء حرَّه المراقب جانباً لتأديبه سياط معدةً لمثل هذه الحالة تنهال عليه، احتياطاً، خوفاً من أن يكون متظاهراً بالمرض وتخويفاً للأخرين.

ويجب على القارئ هنا ألا ينسى أن هؤلاء العبيد يكونون مقيدين بالسلسل بأسلوب يسمح لهم بجر الحجر، وبمنع كل واحد منهم أن يثور بعد لسعة سوط على لاسعه فيسبب له أي أذى.

كما يجب ألا ينسى أن الدخول إلى المدرجات لمشاهدة افتراض الأسود للعبد المساكين ومشاهدة اقتتالهم حتى يقتل أحد المنفاثلين صاحبه لم يكن بالمجان، وإنما بثمن محترم.

وعلى هاذين المثلين يمكن قياس باقي حياتهم وقوتهم وحبهم لسفك دماء الضعفاء.

وفي الرابع الثاني من القرن الرابع الميلادي بدأت عقيدة التثليث تنتشر في أوروبا، ورغم أن هذه العقيدة تعتمد (العهد القديم) كتاباً مقدساً لها إلى جانب العهد الجديد، ورغم أن العهد القديم يحرم لحم الخنزير، لكن القديس بولس أحله في هذه العقيدة لأن تحريمها كان سبباً لخسائر طائلة جداً في الثروة الحيوانية للرومانيين ولكل أهل الغرب، وهذا يعيق كثيراً انتشار الدين الجديد، وهكذا بقي لحم الخنزير في المقام الأول بين اللحوم، ولذلك نرى القسوة عند الغربيين في ذروتها.

ومن الأمثلة على قسوة مسيحي الغرب:

— محاكم التفتيش، وهذا الاسم "محاكم التفتيش" هو في الأصل اسم أطلقوه في أوروبا في العصور الوسطى على المحاكم التي كانت مكلفة بمكافحة الهرطقة — وكان للهرطقة عندهم معانٍ واسعة — وفي عام 1199م أدخلها البابا إينوسانت الثالث في مهمات المحاكم الكنسية، وقد انتشرت أكثر شيء في إسبانيا وإيطاليا. ويقدر عدد الذين قتلتهم من المسلمين، لأنهم مسلمون، بما يزيد عن مئة ألف وعشرة آلاف مسلم، ومن المسيحيين الذين اتهموا بالهرطقة بما يزيد عن مليوني مسيحي، وقد تلاشت تقريباً في القرن الثامن عشر الميلادي، وبقيت موجودة في إسبانيا بعض الوقت بعد ذلك حتى قضى عليها جيوش نابليون بونابرت عندما احتلوا إسبانيا.

وكانت أساليب القتل عندهم متنوعة، منها حرق الإنسان وهو حي، وهو نوعان، نوع بالحرق السريع الذي يحيط بكل جسم المحكوم، ونوع بالشي على الجمر شيئاً فشيئاً حتى الموت، ومنها إغراق المحكوم عليه بأن تقييد بدهان ورجلاته ويربط فيه ثقل ثم يُعرق في الماء حتى يموت خنقاً داخله. ومنها تكسير عظامه وهو حي ثم يترك حتى يموت. ومنها التحبيط، وهو أن يوضع المحكوم عليه في مكان ما مقيداً أو غير مقيد، ثم يبني حوله جدار يترك له مكاناً ضيقاً لا يستطيع فيه أن ينام أو يمد رجليه، ويجعل لهذا الحيز سقف لثلا يحاول أحد إنقاذ من فيه، وبدهي أن السقف يكون ذا مثانة كافية، إلى غير ذلك من أساليب القتل بالتعذيب، وأهونها الشنق.

أما أساليب التعذيب فكانت ذوات فنون أيضاً، ورغم قسوتها البالغة جميعها، لكنها لا تصل إلى مستوى أساليب التعذيب الماركسية.

— وعندما احتلت جيوش نابليون بونابرت إسبانيا وجدوا فيها مئات المعتقلات، كل معتقل تابع لدير من الأديرة وله مدخل سري، وفيه مئات المعتقلين (فتح القاف) وكل واحد من هؤلاء المعتقلين محشور في زنزانة هي عبارة عن كوة غير نافذة (مشكاة) طولها الأفقي بطول الرجل الطويل، ومحيطها يكفي لإدخال الرجل أو المرأة فيه ممداً، أو ممددة، على ظهره، أو على ظهرها، على لوح خشبي يدخل في المشكاة ويغلق عليه حيث يبقى هكذا، وإن كان سميناً فقد لا يستطيع التقلب على جنبه لمدة لا تطول كثيراً، لأنه سرعان ما يضوئ جسمه وينحدر حيلاً.

وكان من هؤلاء المعتقلين من كان حديث الاعتقال ومنهم من كان له شهور، ومنهم سنوات، ومنهم من كان هناك منذ أكثر من عشر سنين أو عشرين سنة أو أكثر.

ولما أخرجهم الجيش الفرنسي من معتقلاتهم إلى الحرية، إلى النور، كانوا لا يصدقون أنهم حُرروا، وكان كثير منهم ينكرون على رجلي الجندي الفرنسي يقبلونها ويقبلون حذاءه، ومنهم من عشي بصره لأنه لم ير إلا الظلمة منذ سنوات طويلة ثم أخرج إلى النور فجأة...

إلى آخر أساليب التعذيب الفائقة الهمجية، والهدف هنا هو ذكر نماذج منها، أما تفصيلها فيستطيع من يريد معرفتها الرجوع إلى مكانها في الكتب التي ألفها الأوروبيون الذين استطاعوا الانفلات من تلك الروح العنصرية بسبب أو بآخر.

— ولعل الغالبية العظمى من القراء يجهلون أن المبارزة لأسباب قد تكون تافهة في أكثر الأحيان كانت قانونية حتى الحرب العالمية الثانية، بل قد تحدث بين صديقين، وقد تكون بسبب احتدام نقاش بينهما... يثور هذا فيطلب ذاك إلى المبارزة في موعد كذا وفي مكان كذا، وكانت أكثر الأحيان في ساحة من ساحات المدينة، وكانت قبل اختراع المسدسات تجري بالسيوف ثم صارت بالمسدسات، حيث في الموعد والمكان المحددين يأتي كل واحد من المبارزين ومعه شاهده،

ومعهم حكم يحمل مسدسين محسوين كل واحد بطلقة واحدة أو أكثر حسب الاتفاق، وكانت هناك نصوص قانونية تحدد المسافة التي يجب أن تكون بينهما والأسلوب الذي يجب أن يتبع.. وتكون النتيجة إما أن يقتل الاثنان أو يجرحا، أو يقتل أحدهما ويجرح الآخر، وهذا ما كان يحدث غالباً، وفي أحياناً أقل كانت تنتهي المبارزة بالجروح أو بغير ذلك...

— ولم تزل مصارعة الثيران تجري حتى الآن بما فيها من قسوة وحشية على الحيوان المسكين بتعذيبه طيلة مدة المبارزة حيث يقضيها متالماً أشد الألم بسبب السهام المغروزة في جسده، وألوف المتفرجين يسعون برؤية تعذيب هذا الثور المسكين.

وهنا يجب الإشارة إلى أن الذبح على الطريقة الإسلامية لا يسبب للحيوان أي ألم، إذ يجب قبل كل شيء أن تكون سكين الذبح مشحونة بأقصى ما يمكن، ويجب أن تكون الذبيحة بوضع لا يسبب لها ألمًا، وأن يكون الذبح بجرة أو جرتين حيث لا تشعر الذبيحة بأي ألم ما دام جرحها ساخناً. وهذا يعرفه كل إنسان أصيب بجرح في حياته حيث يعرف أن الشعور بالألم لا يكون إلا حين يبرد الجرح، حيث قد تحتاج المدة إلى أكثر من دقيقة، بل وأكثر من دقيقتين، وفي هذه الثناء يكون دماغ الذبيحة قد نزف دمه فتصاب الذبيحة بإغماء بعد ثواني من الذبح، ولا تشعر بأي ألم.

لقد حلّ لنا ذبح الحيوان المحلّ أكله وحرّم علينا تعذيبه، وهذا بعكس مصارعة الثيران.

— وفي هذا القرن العشرين الميلادي، خاض الأوروبيون حربين طاحنتين بين بعضهم قدر عدد القتلى في الأولى بأكثر من خمسة عشر مليوناً، أي بمعدل تسعة آلاف قتيل يومياً، وقدر عددهم في الثانية بأكثر من خمسة وعشرين مليوناً، أي بمعدل ثلاثة عشر ألف قتيل يومياً. وكل ذلك من أجل نهب الشعوب الضعيفة.

— وحروب المئة سنة التي راح ضحيتها الملايين.

— وفتك الكاثوليك بالبروتستانت وخاصة في فرنسا في زمن لويس الرابع عشر، والفرنسيون والبروتستانت — وهم أقلية — يعزون سبب تفوق الألمان الصناعي إلى أن النخبة الفرنسية هي التي اعتنت البروتستانية، ولما صار الكاثوليك يقتلونهم حيث أبادوا منهم عشرات الآلاف، هرب كثير من الباقيين إلى ألمانيا وقليل منهم إلى غير ألمانيا، وهذه النخبة الفرنسية التي تألمت هي وراء تفوق ألمانيا الصناعي.

— وفي الحروب الصليبية عندما احتلوا عكا بقيادة رишارد قلب الأسد قتلوا حوالي مئة ألف من أهلها.

— وعندما فتحوا القدس للمرة الثانية قتلوا حوالي سبعين ألفاً من أهلها حيث صارت الدماء تجري في الشوارع.

— وفي قسطنطينية في الجزائر، قتلوا في عيد النصر سنة 1945 حوالي خمسة وأربعين ألفاً في ثلاثة أيام أو أربعة، وذلك بأمر من فرنسو ميتران الذي كان وزيراً للداخلية.

\* هذه نماذج، ومن يريد الاستزادة فأمامه كتب التاريخ التي ألفها مؤرخون منهم تذكر من خضم قسوتهم ما يجعل ما ذكرناه آنفاً ثماداً ضحكة.

— ويجب ألا ننسى الثورة الفرنسية التي قدروا عدد ضحاياها بستة ملايين من الفرنسيين والفرنسيات.

نعم، لقد كانت القيادات الحقيقية في الثورة الفرنسية بيد يهود، وكانت أوامر القتل والتعذيب يصدر أكثرها عن يهود، لكن كان المنفذون من المسيحيين. وما يذكر من أحداثها حيث المقلولة التي أقيمت في ساحة الكونكورد في باريس، يحيط بها مقاعد تتسع لآلاف المتفرجين، أو بالأصح المتقرفات، لأن أكثرهم كانوا من النساء الجالسات يترثرن وينسجن بسناناتهن ويمتنع أنظارهن بعمل المقلولة في قطع الرؤوس المتواصل طيلة النهار.

وهنا لسائل أن يسأل أو يتتسائل: ما بال مسيحي بلادنا (بلاد العرب بل وبلاد المسلمين عامة)، ما بالهم بعيدين عن تلك الوحشية التي يتخبط بها مسيحيو

الغرب؟ ولم نرى مسيحيي بلاد المسلمين قريبين من تعاليم المسيحية الواردة في العهد الجديد وبعدين عن تعاليم العهد القديم، وهم بذلك على عكس مسيحيي الغرب الذين هم، كما هو واضح، متبعون لتعاليم العهد القديم التي تدعو إلى القتل والإبادة والعداء للآخرين، ويكانون يهملون تعاليم العهد الجديد التي من أقوالها: "أحبوا أعداءكم.. ومن ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر..".

لو حاولنا أن نجد الجواب بدراسة الفروق بين الفريقين، نرى في مقدمتها أن الغربيين يتعاطون لحم الخنزير أكثر من لحوم غيره بكثير، بينما مسيحيو الشرق الإسلامي يقل كثيراً لحم الخنزير عندهم حتى يكاد ينعدم. طبعاً، هذا إلى جانب الإرث الأخلاقي وفلسفة السلوك وغيرها مما هو خارج عن موضوعنا.

وأظن أن هذا دليل واضح على تأثير لحم الخنزير في السلوك الإنساني وفي النفسية.

وعلى كل حال، إن كون الخنزير يصطاد الفئران ويأكلها، وإن كان جائعاً وأمسك بأربن أكله، رغم مضيّ القرون الطويلة هو مفروض عليه أكل النبات والمنتجات النباتية، هذا الذي يدل على أن هرمون الفتاك موجود في دمه وبالتالي في لحمه وعظامه.

وهذا هو من حكمة تحريم لحم الخنزير، مضافاً إلى سبب آخر هو أن دهن الخنزير صعب جداً تفككه بفعل إفرازات الهرمون عند الإنسان، مما يجعله يسبب أمراضاً كثيرة.

وقبل الانتهاء أضيف أن من الخنزير علامة أخرى على وجود هرمون الفتاك في جسمه، هذه العلامة هي ناباه اللذان هما من صفات الحيوانات اللاحمة، وهذا يعني أن هرمون الفتاك هو الذي يسبب نموهما ونمو المخالب، لكن وجود الأظافر في أرجل الخنزير يمنع نمو المخالب بل يمنع وجودها.

كما أضيف أيضاً دليلاً على أن لحم الخنزير هو الذي يضخم النفسية الفتكتية الدموية مع الروح العنجيهية في مسيحيي الغرب، هذا الدليل هو أن مسيحيي لبنان

الذين يعيشون في مجتمعات يقل فيها وجود غيرهم أو ينعدم. وحيث يعتمدون لحم الخنزير مثل الغربيين نرى فيهم روح الفتاك الدموية وروح العنجوية نامبيتين مثل مسيحيي الغرب.

الذي يهمنا من كل هذا هو الحكمة البالغة في تحريم لحم الخنزير.

فهل كان البشر كلهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم وبعده حتى أكثر من ألف سنة يعلمون شيئاً من هذا؟

فكيف عرفه محمد صلى الله عليه وسلم؟!

قد يقول قائل هنا إن محمد صلى الله عليه وسلم حرم الخنزير تقليداً لتحريمه في التوراة!

فنقول: لو كان هذا وحده في القرآن والحديث لقلنا بقولهم. أما وهو واحد من عشرات كثيرة من الحقائق العلمية التي كانت الدنيا كلها تجهلها، فبذلك يخرج من كونه صدفة أو تقليداً، ولا يبقى أي تعليل إلا أنه وحي من لدن عليم خبير.

## المسخ

في سنن الترمذى، عن علی بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا فعلت أمتى خمسة عشر خصلة حل بها البلاء... إذا كان المغمى دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرماً.. وشربت الخمور، واتخذت القينات والمعازف.. فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو خسفاً أو مسخاً."

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا اتّخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرماً.. وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور... فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً...".

وفيه عن عمران بن حصين رضي الله عنه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "في هذه الأمة خسف ومسخ وقدف، قال رجل من المسلمين: يا رسول الله، متى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور".

— المعازف: الملائكة وألات الطراب.

— القينات: المغنيات.

في مكان آخر كنت قد ذكرت أن التجارب والدراسات النفسية تجري في مجتمعات مُسخة فيها النفوس، وتلك التجارب والدراسات تجري على تلك النفوس الممسوحة! فكيف ذلك؟ وما هو المسوخ؟

إننا نسمع بالمسخ ولم نره، لكننا نستطيع نظرياً، أن نعرف أنه يكون واحداً من أنواع عدة هي:

1 — مسخ كلي في الظاهر والباطن، أي في كل جسم الممسوخ وفي كل خلجاته النفسية من غرائز وعواطف وأفكار وإحساسات وغيرها..

2 — مسخ كلي في الظاهر، أي في كل الجسد، مع بقاء القوى النفسية من غرائز وعواطف وأفكار وإحساسات وهيجانات.. وغيرها سليمة صحيحة.

3 — مسخ كلي في الظاهر مع مسخ جزئي في الباطن، أي أن تمسخ بعض القدرات النفسية مع بقاء الباقي سليماً (باقي القدرات النفسية).

4 — مسخ جزئي في الظاهر، أي أن تمسخ بعض أعضاء الجسد الظاهرة، مع مسخ كلي في الباطن.

5 — مسخ جزئي في الظاهر وجزئي في الباطن.

6 — سلامه الظاهر كلياً، مع مسخ كلي في الباطن.

7 — سلامه الظاهرة كلياً، مع مسخ جزئي في الباطن.

هذه هي انواع المسخ التي يمكن أن نتخيلها.

والمسخ الذي وقعت فيه المجتمعات الإنسانية كلها، إلا من رحم الله، هو النوع السابع، أي سلامه الشكل الظاهري للجسد، مع مسخ جزئي في الباطن، أي في بعض القوى النفسية؟ والمسخ النفسي لا يرى بالعين ولكن ترى آثاره في سلوك الممسوخ. فما هو هذا المسخ؟

إنه مسخ في بعض الغرائز وما يتبعها عن عواطف وإحساسات.

فما هي هذه الغرائز التي مسخت؟

ابتداءً، أقول إن الغرائز هي عناصر الحياة؟

فلو جئنا بحجر وغرزنا فيه الغرائز يصبح كائناً حياً. ولو جئنا بأي كائن حيٍّ وجردناه من الغرائز يصير ميتاً لا حياة فيه.

ولو جئنا بعود خشبي وغرزنا فيه الغرائز النباتية، من امتصاص للماء والغذاء من التربة، ومن صعود هذا الماء والغذاء في جسم العود وتغذيته له، ومن إخراج أوراق له تأخذ في النهار غاز الفحم من الهواء وتحله إلى فحم تحفظ به للبناء، وإلى أكسجين تبعثه في الهواء، ومن تنفس، ومن إخراج للثمار... إلخ، يصبح هذا العود كائناً نباتياً حياً.

ثم لو عدنا فجردناه من كل هذه الغرائز يعود عوداً خشبياً لا حياة فيه.

وهكذا بقية الكائنات الحية.

وهنا، تهمنا الغرائز الإنسانية التي هي موضوعنا، ويمكن أن نسميها "غرائز" أو "طبائع" (مفردها طبيعة)، رغم أن لهم تصرفات في كلمة "الغريرة" وأن لكلمة "طبيعة" معنى إلحادياً الأصل بها منذ القرن الثالث عشر الهجري، وذلك لأن الكلمة المرادفة لها في الغرب وهي "Nature" كانت قد أخذت واقعياً هناك هذا المعنى الإلحادي، وصار كثير من الكتاب وغير الكتاب عندنا يستعملونها بهذا المعنى المترجم.

على أن الواقع هو أن لكلمة "طبيعة" في اللغة العربية معنى إيمانياً يجمع بين الخلق والأمر معاً. جاء في لسان العرب:

... الطّبُعُ والطّبِيعَةُ: الخلقةُ والسُّجْيَةُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا إِنْسَانٌ..

.. وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعاً: فطره. وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها وهي خلائقهم، يطبعهم طبعاً: خلقهم. وهي طبيعته التي طبع عليها، وطبعها، والتي طبع... إلخ. اهـ.

أقول: إنني عندما استعمل كلمة "طبيعة" والسبة إليها، فإنما استعملها بمعناها الإيماني الذي هو معناها الأصلي في اللغة العربية، وعندما استعملها عند الحاجة بالمعنى الإلحادي فسأنبه إلى ذلك.

نعود إلى الغرائز (بمعناها المستحدث وبعيداً عن تصرفاتهم) وهي من عالم الأمر، والأعضاء التي تقوم بهذه الوظائف الغيرية هي من عالم الخلق.

والصحة النفسية تكون متحققة عندما تكون الغرائز قائمة بوظائفها بأسلوب متوازن حسب الفطرة التي فطرها الله سبحانه عليها.

وعندما يحدث خلل ما في هذا التوازن، بأن تتضخم غريزة أو أكثر مقابل ضمور غريزة أخرى أو أكثر، وعندما تتحرف غريزة عن فطرتها أو أكثر من غريزة، يكون الفرد المصاب بهذا الخلل مريضاً نفسياً، ويكون هذا المرض شديداً بمقدار ما يكون الخلل كبيراً.

وطبعاً يكون هذا الخل مرضًا، ونسميه مرضًا، إذا كان المصاب به يعرف أنه مرض وأنه مريض به، وكان الآخرون يعرفون ذلك أيضاً، وكانوا يسعون للتداوي منه.

أما إن كان صاحب الخل يعتقد أن هذا هو الصحة النفسية، وكان المجتمع كله يعتقد أن هذا هو الصحة النفسية، وأنه التقدم والرقي والحضارة و... إلخ، ويسعون كلهم لتكريسه ويفتخرون به ويزرون الأصحاب منه متخلفين أو رجعيين أو ... الخ، فعندئذ لا يكون مرضًا، وإنما هو المرض.. وذلك لأن المرض يمكن الشفاء منه، أما هذا الخل فلا شفاء منه بل هو راسخ لا يسعى أحد للتخلص منه، بل كلهم يسعون للاستزادة منه وتربية الأجيال عليه، وتطويره..

وأبرز خلٍ حدث في نفسية الإنسان في كل المجتمعات في هذا العصر هو تضخم الغريزة الجنسية الذي صار مستقراً ومتجرداً في نفسيات كل البشر إلا من رحم الله، ونتج من هذا التضخم تشعبات تحت اسماء مختلفة يجمعها اسم "الفن" وبعض هذه التشعبات تدخل تحت اسم "رياضة" وبعضها تحت اسم "فلسفة" وبعضها لا أعرفه، وكلها طرق تؤدي إلى إشباع الغريزة الجنسية حتى التخمة، أو ما فوق التخمة.

وطبعاً، هذا التضخم في الغريزة الجنسية يكون على حساب غرائز أخرى كغريزة الأسرة وغريزة الأمومة عند المرأة وغريزة الأبوة عند الرجل وغريزة الدين وغريزة العبادة وغريزة الحياة... هذه الغرائز التي انكمشت بمقدار ما تضخم غريزة الجنس.

ومن الغرائز التي تضخت أيضاً وكان لها دور مشارك في ضمور الغرائز التي انكمشت، غريزة التملك، وقد أخذت أساليبُ الخداع والدجل عند الماركسيين، بالنسبة لهذه الغريزة، صوراً متناقضة صدقها، رغم تناقضها، الملايين الكثيرة من البشر وذلك بسبب الدعاية الماركسيّة المنهجية على أساس علم الدجل "agipro" وخاصة قاعدة "النكرار والزمن".

ولئلا يقودنا التشعب إلى الاستطراد المتشعب، نقف عند الغريزة الجنسية التي هي الغريزة التي أصابها التضخم الأكبر من بين الغرائز التي تضحمت، وفي كل المجتمعات الإنسانية.

وحق لها أن تتضخم، وحق لجاراتها من الغرائز أن تتكشم لفسح المجال لتضخمها، فقد صرنا نسمع بالثقافة والمتقين، ثم لا نرى في الثقافة والمتقين إلى ما يسمونه "الفنون" وفي مقدمتها الغناء، وفي أثنيتها الغناء، وفي آخرها الغناء؛ ويبدأ الغناء بالجنس، ويتحول بعد ذلك بالجنس، ثم ينتهي بالجنس، وإذا انتقل فإنما ينتقل من الجنس إلى الجنس، وعمل الراديو والتلفاز على إيصاله إلى كل زاوية في المدينة والقرية والبرية، فصار المتقمض، أو الذي يسمونه متقمضاً يغفو على الجنس المعنى، ويستيقظ على الجنس المغني، ويقضي فراغه في يقظته على الجنس المغني، بل ويقضي بعضاً من أوقاته العملية في الجنس المغني، أي أغاني الحب.

وهذا كله يثير في الفرد شهوة القيام بالعملية الجنسية وتكرارها، لكن المقدرة على تكرار هذه العملية لدى الفرد محدودة بقدراته العضوية المحدودة التي تختلف من فرد إلى آخر قوة وضعفاً، وفي جميع الأحوال تبقى محدودة لا يستطيع الفرد تكرارها كما يهوى.

وأكرر بصورة أخرى:

يكون الفرد، بتضخم غريزته الجنسية مدفوعاً دفعاً حيثياً لتكرار العملية الجنسية، ويكون بمحدودية قدراته العضوية والفيزيولوجية ممنوعاً من ذلك التمادي، فيكتب هذا الفائض من التضخم الذي لا ينقطع وتراكم نزواته وتتراكم واستمرار وتحاول الانفجار بصورة من الصور المتاحة أمامها، فتظهر في الفرد بشكل أمراض نفسية مختلفة، وبشكل أمراض اجتماعية، بل وبشكل أمراض جسدية أيضاً.

ومن أساليب التنفيذ عن هذا التضخم المتدفع لغريزة الجنس ما سموه الإبداعات الفنية، والتي هي تنفيذ عن الغريزة الجنسية الفائضة عن مقدرة الفرد الفيزيولوجية، تنفيذ بأساليب أخرى غير العملية الجنسية لكنها لا تخرج عن دائرة تضخمها.

وهكذا ظهرت الفنون الإباحية، كالرقص المختلط والغناء الجنسي، أو الجنس المغني، وكالأفلام الجنسية والصور والرسوم، وكالقصص والروايات الجنسية الغرامية، والنحت الإباحي.. وغيرها وكلها وسائل لإفراج النزوات الفائضة عن غير طريق العملية الجنسية المحدودة بحدود القدرات الفيزيولوجية.

وأكرر، وأركز على الغناء الجنسي الذي عمل الراديو والتلفاز على إيصاله إلى كل زاوية في المدينة والقرية، بل صار المتفق، أو الذي يسمونه متفقاً يغفو على الجنس المغني ويستيقظ عليه، ويقضي فراغه في يقطنه على الجنس المغني، بل ويقضي بعضاً من أوقات عمله في الجنس المغني، في أغاني الحب.

وتأتي بعد ذلك بقية "الفنون" وغالبها يدور حول الجنس وإثارة الجنس.

والنتيجة البدهية لكل هذا هو تضخم غريزة الجنس، وذلك لأن من الأمانة التي حملها الإنسان في قوله سبحانه: ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبْيَانِ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلُهَا إِنْسَانٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))<sup>(8)</sup> [الأحزاب: 72]، من هذه الأمانة مقدرتة على التصرف في الغرائز (ضمن حدود طبعاً) وذلك ضمن ما سخره الله سبحانه للإنسان من بعض مخلوقاته وبعض سننه فيها، حيث يستطيع الإنسان، بالتزرار والزمن، أن يضخم بعضها (بعض غرائزه) ويحرف بعضها، وقد كلف أن يكون أميناً على سلامتها وسيرها في الطريق السليم الذي فطرها الله سبحانه عليه، ولكنه خان الأمانة لأنه كان ظلوماً جهولاً.

والنتيجة البدهية لكل هذا هو تضخم غريزة الجنس. وأكرر: عندما تتضخم غريزة أو تتسع مساحتها فإنما تأتيها هذه المساحة الزائدة الجديدة من مساحات جاراتها الغرائز التي تضرر، أو تتقاس مساحتها بمقدار ما اغتصبتها منها الغرائز المتضخمة.

وهكذا صارت غرائز البشر، كل البشر، إلا من رحم الله سبحانه، في هذا العصر مشوهة غريبة عن الفطرة المتوازنة التي فطرت عليها في الأصل.

وأكرر، لو كان هذا التشويه موجوداً في بعض الناس، ويعرف أنه حالة طارئة يمكن شفاؤها إذا عرف دواؤها، عندئذ يكون مرضًا، ونسميه مرضًا.

---

(8) – مر بحثها في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

أما عندما يعم البشر كلهم، ويرون أنه هو الصحيح، ويرون أن المعافي منه هو المريض النفسي، حيث يذهب إلى عيادة الطب النفسي ليشفى – حسب وهمه – من مرضه، عندئذ لا يكون هذا مرضًا، بل يكون هو المسمى، لكنه مسمى في النفوس مع سلامة الظاهر.

ومن الغرائز التي تضخم، أو — بالأصح — من المسوخ الذي مسخت به النفوس تضخم غريزة التقليد الاجتماعي.

فالتقليد الاجتماعي هو في الأصل غريزة، لكن لها حدود فطرية، على أن من واقع المجتمعات البشرية الآن تضخم هذه الغريزة تضخماً يكاد يعادل تضخم غريزة الجنس، وهو في النساء في اوجهه، وفي الرجال أقل من النساء، وأجل مظاهره هو ما يسمونه "الموضة".

ولا أرى حاجة للتفصيل هنا، لأن أكثر القراء يعرفون عن الموضة ومدى هيمنتها أكثر مما يعرفه كاتب هذه الكلمات.

لكنني أقول إن التقليد هو من الطبائع المتأصلة في نفسيات الفرود، وهذا يعني أن الذين هيمنت عليهم "الموضة" وخضعوا لها هم من الذين مسخت نفوسهم إلى نفوس قردة، مع بقاء شكلهم الظاهري سليماً.

إنه المنسخ الذي أخبرنا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وأكرر قوله تعالى:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف". قال رجل من المسلمين: يا رسول الله، متى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعاذف وشربت الخمور... اهـ.

وأعيد القول هنا إن تجارب علم النفس التي يقومون بها إنما يقوم بها أناس مسخت نفوسهم، يجرونها على أناس مسخت نفوسهم أيضاً، وبذلك تكون النتائج غير صحيحة وغير صحيحة.

ملاحظة: مكان هذا المبحث هو في الواقع في "آيات الأنفس" لكن ضرورة البحث اقتضت أن يوضع هنا.

## الجن

((وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِنُوا فَلَمَّا قُضِيَ  
وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِ مُنْذَرِينَ{29}[قالُوا يَا قَوْمَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ  
يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ{30} يَا قَوْمَا أَجِبُّوَا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ  
وَيُجْزِئُكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ{31}))[الأحقاف: 29—31].

((قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا{1} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ  
فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا{2} وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا ولَدًا{3} وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ  
سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا{4} وَأَنَّا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ إِنْسُونٌ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذَبًا{5} وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ  
مِنَ الْإِنْسَانِ يَعْوِذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا{6} وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَّنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ  
أَحَدًا{7} وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْئَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهِيدًا{8} وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ  
فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَهِيدًا رَصِيدًا{9} وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرْبَدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ  
رَشِيدًا{10} وَأَنَّا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَ دُونِ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَّامًا{11} وَأَنَّا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي  
الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا{12} وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا  
رَهْقًا{13} وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحْرُرُوا رَشِيدًا{14} وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ  
فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا{15} وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ))[الجن: 1—16].

((وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدوُهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرْزَعُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ{12} يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ  
مَحَارِيبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُوْرِ رَاسِيَاتِ...))[سبأ: 12—13].

((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ))[الأنعام: 130].

((وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ))[النَّمَل: 17].

((...وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَّ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ... )) [فصلت: 25].

((...وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ )) [هود: 119].

(( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )) [الذاريات: 56].

((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسَانُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ.. )) [الإسراء: 88].

((ولَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِّا مَسْنُونٍ {26} وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِنْ نَارٍ السَّمْوُم )) [الحجر: 26 – 27].

من هذه الآيات، وهناك غيرها، لكن هذه كافية لموضوعنا، نأخذ معلومات عن الجن لا بأس بها، لكن قبل ذلك يجب أن نعلم:

أن كلمة "الجن" تعني "المستترین والمختفین" والفعل "حن" بمعنى "ستر وأخفى" يقال: جنّ، وجنّ عليه.

والمعلومات التي نأخذها من الآيات هي:

- الجن كائنات حية عاقلة، نعلم هذا من الآية ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسَانُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ.. ))، وغيرها مما هو في الآيات الآنفة وغيرها مما في القرآن الكريم.
- الجن مكلفوون بعبادة الله سبحانه مثل الإنس (( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )).
- الجن على أديان مختلفة: ((وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ.. )) .
- منهم الصالحون ومنهم دون ذلك: (( وَأَنَا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَ دُونِ ذَلِكَ كُنَّ طَرَائِقَ قَدَّادًا )) .
- لهم قدرة على الحركة والطيران في الجو كبيرة: ((وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْئَتْ حَرَسًا... وَأَنَا كُنَّا نَقْدُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ.. )) وغيرها.

لهم قدرة على القيام بأعمال صعبة: ((يَعْمَلُونَ لِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ رَأْسِيَاتٍ)).

بعث الله سبحانه لهم رسلاً منهم كما بعث للإنس: ((يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَمْ يَأْتُكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ))). وطبعاً، دين رسليهم هو الإسلام.

وقد يتبع بعضهم رسل الإنس ((... يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ  
مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ{30} يَا قَوْمَنَا  
أَجِبُّوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ)).

خلق الله سبحانه الجن على الأرض قبل خلق الإنسان بزمن يعلمه هو سبحانه ((ولقد خلقنا الإنسان من صلصال... والجَانَ خلقناه من قَبْلِ...)).

خلق الخالق سبحانه الإنسان من مواد صلبه إلى جانب الماء ((منْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَارِ )) ((منْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمِيرٍ مَسْتُونٍ )) وخلق الجن من إشعاعات أو من مواد غازية ناتجة عن اللهب ذي الحرارة الشديدة ((وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَارٍ )) ((وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِّنْ نَارٍ السَّمُومُ )) والماء داخل أيضاً في تكوي الجن.

والسموم من أسماء جهنم: ((فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ)). وفي هذا العصر حيث توسع عالم الشهادة كثيراً بالنسبة للإنسان، وصرنا نعلم كثيراً من علم اليقين، صرنا نرى الجحيم ((كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ{5} لَتَرَوْنَ الْجَحَّمَ))<sup>(9)</sup> وصرنا نعرف أن حرارتها العالية ناتجة عن انفجارات نووية اندماجية، وبناءً على هذا يكون معنى قوله سبحانه: ((وَالْجَانَّ خَلَقَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِّنْ نَارِ السَّمُومِ)) أي من نار الجحيم، وهي نار ناتجة عن انفجارات نووية! (وقد مرّ بحثها في كتاب "براهين"). كيف تم هذا الخلق؟ لا نعرف ((ما أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ...)).

(٩) — مرّ بحثها في هذا الكتاب في مكان آخر.

والجن كالإنس، سوف يبعثون يوم القيمة ويحاسبون على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر. وال مجرمون من الجن يدخلون جهنم مع مجرمي الإنس.  
((لَمَّا أَنْ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)).

والذين يدخلهم الله سبحانه في رحمته من الجن والإنس يدخلون الجنة، لكن للجن فيها جنان غير جنان الإنس. ((وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ)) يقول المفسرون هما جنة للإنس وجنة للجن، وذلك لأن سورة الرحمن كلها تخاطب الجن والإنس معاً.

### إبليس

— ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِلَّادَمَ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ.. )) [الكهف: 50].  
((فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ...)) أَنَّا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)).

هذا يعني بوضوح أن إبليس من الجن، كان ولم يزل، وعبارة ((كان من الجن)) تدلنا على أنه ليس أبو الجن، بل كان واحداً منهم، لكن كان له شأن ما مميز، وأن الجن وجدوا على الأرض قبل إبليس بزمن يعلمه الخالق سبحانه. والذي يهمنا هنا هو أن إبليس من الجن.

### الشياطين

— ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ.. )) [الأنعام: 112].  
((مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ [4] الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ [5] مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)) [الناس: 3-6].

— وفي سنن النسائي عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس، قلت أو للإنس شياطين، قال: نعم" اهـ.

وقد ورد هذا الحديث بنصه: "يا أبا ذر تعوذ..." في مسند أحمد بطريق آخر عن أبي أمامة رضي الله عنه.

هذه النصوص تدلنا على أن كلمة "شياطين" لا تعني شياطين الجن فقط، وإنما تعني شياطين الجن والإنس معاً، لكنها ترد في أكثر الأحيان للدلالة على شياطين الجن.

وفي الجن يوجد الصالحون والطالحون (( وَإِنَّا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ )) فهم في هذه النقطة مثل الإنس، وعليه تكون الشياطين هم خباء الجن وخباء الإنس. وخباء الجن هم موضوعنا هنا.

وهكذا يكون كل وصف خلقي لإبليس وللشياطين هو وصف للجن.

### الماء والجن

يقول سبحانه: ((...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا...)) [الأنبياء: 30].

وهذا يعني بوضوح أن الماء يدخل في تركيب كل الأحياء المخلوقة، ومنهم الجن، بل ولعل منهم الملائكة أيضاً.

والذي يهمنا هنا هو أن الماء داخل في تركيب أجسام الجن! فكيف ذلك.

لنقرأ الأحاديث التالية:

— يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه". (الترمذى — الأطعمة).

ونعلم علم اليقين أن رائحة الغمر في اليد، وفي غير اليد، تجذب الجراثيم والفiroسات. ثم هذا الوصف "حساس لحاس" الذي يصف به الرسول صلى الله عليه وسلم الشيطان هو وصف ينطبق على الجراثيم والفiroسات بدقة! فما هي العلاقة بين الشياطين والجراثيم؟

— يقول صلى الله عليه وسلم: "إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى ليأكلها ولا يدعها للشيطان..." (مسلم — الأشربة).

ونعلم علم اليقين أن اللقمة، واللقمات، من أي طعام كان، إذا سقطت أو كانت عرضة للهواء فستكون للجراثيم والفiroسات إن لم يلتهمها حيوان ما، ويقول

الرسول صلى الله عليه وسلم إنها تكون للشيطان! فما هي العلاقة بين الشيطان والجراثيم والفiroسات؟

— وعن أبي هريرة رضي الله عنه: "... فقلت ما بال العظم والروثة؟ قال صلى الله عليه وسلم: هما من طعام الجن وإنه أتاني وفد جنَّ نصبيين، ونعم الجن، فسألوني الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظام ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً" (البخاري – الاستجاء) وغيره.

— وفي حديث آخر يرويه الترمذى، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تستجووا بالروث ولا بالعظام فإنها زاد إخوانكم من الجن".

نعلم علم اليقين أن العظام والروث إن كان فيها بقية فهي طعام الجراثيم والفiroسات، ويقول صلى الله عليه وسلم إنها طعام الجن! فما هي العلاقة بين الجن وبين الجراثيم والفiroسات؟

— وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قدم وفد الجن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أنت ألمك أن يستجووا بعظام أو روثة أو حُممةٍ فإن الله تعالى جعل لنا فيها رزقاً، قال: فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. اهـ.

أقول: إن الجن الذين أسلموا صاروا، طبعاً، يلتزمون بتعاليم الإسلام، وقد تعلموا أن غائط الإنسان هو نجس شرعاً، لذلك صاروا يتتجنبونه وبطلابون مسلمي الإنس أن لا يؤذوهم به، والعظم والروثة والحممة هي من طعام الجراثيم والفiroسات.

— ويقول صلى الله عليه وسلم: "إذا استيقظ (أحدكم) من مقامه فتوضاً فليستتر ثلاثة، فإن الشيطان يبيت في خيشومه" (البخاري – بدء الخلق).

ونعلم علم اليقين أن الخيشوم بما فيه من رطوبة وإفرازات هو مرتع للجراثيم والفiroسات! فما هي العلاقة بين الشياطين وبين الجراثيم والفiroسات؟

— في مسند أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الطاعون فقال: "وخر من أعدائكم من الجن...".

ونعلم علم اليقين أن الطاعون هو وخذٌ من جراثيم الطاعون وإفرازاتهم. فما هي العلاقة بين الجن والجراثيم؟

— وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم". (البخاري: بدء الخلق، وأيضاً الاعتكاف).

ونعلم علم اليقين أن الجراثيم والفيروسات تجري من الإنسان مجرى الدم، فهل نستطيع أن نقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعني شيئاً آخر وجاء قوله متطابقاً مع الجراثيم بالصدفة؟

نعم، لو كان هذا الحديث وحده لكان ذلك لنا، أما ومعه ما رأينا من نصوص عجيبة عجيبة، فقوله لا يمكن أن يكون إلا عن بصيرة بما يقول، وأن الجراثيم والفيروسات بعض من الجن.

## الخلاصة

نفهم من هذه الأحاديث أن الجراثيم والفيروسات هي من الجن!  
وبجمع كل النصوص السابقة مع بعضها، بالإضافة إلى غيرها لم ذكرها هنا، يتوضّح لنا ما يلي:

الجن كائنات حية وهم شعوب وقبائل مثل بني الإنسان، لهم قدرات حركية أكبر من قدرات الإنسان وقدرات عقلية أضعف من قدرات الإنسان، لم يُسخر لهم ما في الأرض كما سخر للإنسان، يروننا ولا نراهم، وهم مكلفوّن بعبادة الله سبحانه.

خلقوا من نار السموّم، أي من نار جهنمية، وهي نار ناتجة عن انفجارات نووية، وعليه أستطاع أن أظن (ظنناً) أن أجسامهم مكونة في قسمها الأكبر من نوترونات متعادلة الشحنة مركبة تركيباً نجهله، وقد يكون في تركيبها فوتونات ساكنة تعمل كنسيج ضام، ويدخل الماء في تكوينها وذلك في الجراثيم أو الفيروسات التي تشتراك في تكوين أجسامهم، لكن بمساحات أصغر بكثير أو قليل من المساحات التي تشغّلها مبتغيات نار السموّم، ويكون لهذه الجراثيم، أو الفيروسات دور بالنسبة للجسم الجني لعله يقابل دور الكريات الحمر والبيض

بالنسبة للإنسان؟ أو شيءٌ نجهله، وعن طريق الجراثيم والفيروسات يدخل الماء في تركيب أجسام الجن.

وهنا، يجب أن أوضح أنني لا أظن أن كل الجراثيم وكل الفيروسات هي من مركبات أجسام الجن، لا أظن هذا، وإنما الذي أظنه أن منها ما هي من مركبات أجسام الجن، ومنها ما هي ذوات كيانات خاصة، مستقلة كل جرثومة أو فيروس عن أخواتها.

وأذكر أنني قرأت قبل أن تُتَهَّب مكتبتي في دمشق في أحد مراجع الحديث الشريف أن الجن في آخر الزمان سوف يتراون للبشر، والانطباع الذي أحمله أنه حديث صحيح، وأنا متيقن من معناه، لكنني لا أذكر ألفاظه بدقة.

وبما أنني ملتزم بـألا أفهم نصوص النبوءات حسب المفاهيم السحرية التي ترى أن هذه النبوءات سوف تتحقق بأسلوب خارق للعادة، ناسخ أو مبدل أو محولٍ لسنن الله سبحانه في خلقه التي لا تبديل لها ولا تحويل.

وبما أنني ملتزم بـألا أفهم النصوص إلا استناداً على ما عُلم من سنن الله في خلقه عِلْم اليقين، وهو الآن قد صار كثيراً جداً جداً بالنسبة لنا بني الإنسان، وبالنسبة لمعلومات البشر قبل قرون. لقد توسيع عالم الشهادة بالنسبة لنا توسيعاً كبيراً جداً.

بناءً على ذلك، فأنا أرى أنه سيفكش نوعاً من النواطير – أو الأجهزة – يمكن بواسطتها رؤية هذه الكائنات.

ولو كانت لدى إمكانات الالزمة لقمت بتجارب في هذا الاتجاه.

وفي الختام أضيف آية كريمة من نفس الموضوع، تركتها لآخر البحث لأن فيها احتمالين لو كانت وحدها، لكن نصوص الأحاديث الآنفة تجعلنا نأخذ بالاحتمال الموافق لها ونترك الاحتمال الآخر المخالف لها. هذه الآية هي:

(( وَذَكْرٌ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ )) [ص: 41].

لو كانت هذه الآية وحدها لكان في النصب والعذاب للذين أصاباً أياً عليه السلام احتمالان:

الأول: أن يكون النصب والعذاب بسبب الجراثيم أو الفيروسات.

الثاني: أن يكون من الأمراض غير الجرثومية.

لكن نصوص الأحاديث التي يظهر منها بوضوح تام – كمارأينا – أن مفهوم الشيطان يندمج مع مفهوم الجراثيم والفيروسات. لذلك يكون مرضه عليه السلام كان جرثومياً أو فيروسيأً من الأنواع المركبة لأجسام الجن.

وتصبح هذه الآية واحداً من النصوص الدالة على أن الجراثيم والفيروسات، أو بعضها، هي من مركبات أجسام الجن.

ومن كل هذا نستنتج أن الجن يتاثرون بالمواد الكيماوية أو بعضها. وحسب ما نرى من طبيعة الجراثيم والفيروسات، فإن بعضها يتاثر ببعض المواد الكيماوية أكثر من تأثره بغيرها مما يتاثر به، ولا يتاثر بمواد أخرى التي قد تتأثر بها جراثيم أخرى أو فيروسات.

وأعيد فأذكر بالأيات:

– ((وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِّنْ نَارٍ السَّمْوُمِ)).

– ((وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٌّ)).

وكذلك بالأحاديث "إن الشيطان حساس لحاس" وبقية الأحاديث التي وردت آنفاً بعد هذا الحديث.

أذكر بها لتوسيع صورة الكائن الجنـي المركـب جسمـه من شيءـ غير مـادي نـجهـلهـ، أو من مـادةـ غير مـرئـيةـ نـجهـلـ ماـهـيـتهاـ، وـمـنـ أـشـيـاءـ مـادـيـةـ يـشـكـلـ المـاءـ النـسـبـةـ الـكـبـرـىـ فـيـ تـكـوـينـهـاـ، وـالـتـيـ هيـ جـرـاثـيـمـ أوـ فـيـرـوـسـاتـ أوـ كـلاـهـماـ.

ثم ننتقل إلى الموضوع الذي ثار فيه الخلاف ويثير؟ الذي هو مـسـ الجنـ.

## المس الشيطاني

– ((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَّا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ )) [البقرة:275].

(( وَذَكِرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ )) [ص:41].

من هاتين الآيتين نعلم علم اليقين أن المس الشيطاني – والشيطان من الجن – هو حقيقة واقعية، وقد يجعل الممسوس يتخطى تخطياً، وقد يصيبه بالآلام والأمراض.

وهنا، وقبل متابعة الكلام، أقول للذين لا يؤمنون بهاتين الآيتين ولا بمضمونهما، لأنهم، أصلاً، لا يؤمنون بأن القرآن من عند الله سبحانه، أقول لهم أقرؤوا سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن المذكور على غلاف الكتاب. لتتيقنوا أن القرآن لا يمكن ولا يمكن أن يكون إلا وحياً من لدن عليم خبير، وبالتالي ستتيقنون أن ما قررته الآيات المذكورتان هو حق لا ريب فيه. ونعود إلى موضوعنا.

هذا المس الشيطاني الوارد في الآيتين هو من النوع الذي تظهر آثاره في الجسم، في الأعضاء والجوارح مباشرة بشكل أمراض أو بشكل تخطي، وهناك النوع الثاني وهو نفسي يحس به الممسوس ما بين وسوسة أو ميل نحو فعل ما أو هوى... إلى غير ذلك. والآيات الدالة عليه في القرآن كثيرة، منها:

(( وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ [200] إِنَّ الَّذِينَ انْفَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ )) [الأعراف:200-201].

(( يَعْذِهُمْ وَيُمْنِيْهُمْ وَمَا يَعْذِهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا )) [النساء:120].

(( إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعُدَاوَةَ وَالبغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ )) [المائدة:91].

وغيرها كثير، وهي ليست من موضوعنا هنا.

وموضوعنا هنا هو المُسّ المرضي ذو النُّصب والعذاب والتخطّط.

وأذكر هنا أنني أبني دراستي لنصوص الوحي على حقائق العلم التي صارت يقينية كلياً، وقد يكون في تفصيلات بعضها بعض النظريات التي لا تؤثر شيئاً على المفهوم الكلي، وأضرب لذلك مثلاً "الكرة الأرضية" فكونها كروة هو حقيقة يقينية، ولكن هل هي كروية على البيكار، أو بشكل انجاصة، أو بشكل برتقالة...، الخ، حيث قد يختلف فيها بين هذا الشكل أو ذاك، وهذا كله لا يؤثر على كونها كروية بشكلها العام، ولا يؤثر أبداً على نصوص الوحي التي تدل على كروية الأرض، لكن هذه الدلالات لا تُعنى بتعيين الشكل الدقيق لهذه الكروية، سواءً كانت كرويتها بهذا الشكل أو ذاك أو ذاك.

وعلم النفس، والطب النفسي الحاليان لا مكان لهما في دائرة الحقائق العلمية اليقينية، فقد يوجد فيما بعض الحقائق: لكن كثيراً مما فيهما من معطيات وقواعد ما هي إلا استنتاجات مبنية على ظواهر نفسية في مجتمعاتٍ نفوسُ أهلها مشوهة ممسوحة؟ وبيان ذلك:

يكون الإنسان في صحة نفسية — بعد الصحة الجسدية — إذا كانت غرائزه باقية على شكلها الفطري الطبيعي<sup>(10)</sup> الذي طبعها الله سبحانه عليه حين فطرها، وإذا كانت تقوم بأدوارها بأسلوب متوازن بينها بحيث لا تطغى غريزة على أخرى، ولا تتحرف غريزة عن السلوك الفطري الذي وُجدت من أجله، أي أن لا تتحرف غريزة عن فطرتها، ولا تتضخم غريزة على حساب غريزة أو غرائز أخرى.

لكن الواقع في المجتمعات الإنسانية الآن أن هذا غير موجود، فالإنسان الآن في كل الأرض مُسخت نفسيته وتشوهت غرائزه بتضخم بعضها على حساب أخرى، وبانحرافها عن الفطرة.

فغريزة الجنس مثلاً قد تضخمت وصار لتضخمها تشعبات، أو تدرّبات تضخمت أيضاً، وكانت هذه التضخمات على حساب غرائز أخرى ضمرت بمقدار

---

(10) – حسب قواعد اللغة يجب أن نقول "طبيعي" لكن الدقة في التعبير عن معنى مختلف عن آخر صار، مع توسيع المعرفة، يضطرنا للخروج على بعض قواعد اللغة.

ما تضحمت غريزة الجنس، ومن الغرائز التي ضمرت غريزة الأمومة والأبوة، وغريزة الأسرة، وغريزة التدين وغريزة العبادة. وغريزة التملك أيضاً تضحمت على حساب هذه الغرائز وغيرها.

وإلى جانب تضخم الغرائز التي تضحمت فقد أضيف إليه الانحراف، أي انحراف الغريزة عن سلوكها الطبيعي إلى سلوك شاذ، كالشذوذ الجنسي بأنواعه.

وبحوث علم النفس والطب النفسي الحالية إنما تجري مع أناس من مجتمعات فقدت طابعها الفطري المتوازن الذي يجب أن يكون المنطلق لبحوث علم النفس والطب النفسي، فهم يدرسون ظواهر هي في الواقع ظواهر نفسية مرضية وبينون عليها استنتاجات تكون في كثير منها مبنية حسب المنطق الصوري، لأن المنطق الرياضي لا مكان له في كثير من الحالات هنا، ومزداق المنطق الصوري كثيرة، وعلى كل حال، ما بني على باطل فهو باطل.

يضاف إلى هذا ما هو أهم منه، وهو أن مساحات كبيرة من النفس الإنسانية والحيوانية لم تزل مجهولة، أما النفس النباتية فالظاهر أنه لم يُشعر بوجودها حتى الآن.

ونعود إلى ظواهر مس الجن، وبعدها منها هنا ظاهرتا التخبط والأمراض والإيتان الدالثان عليهما الواردتان في أول هذا المبحث.

فالمعطيات التي يسمونها علمية في علم النفس والطب النفسي، لا يمكن ولا يجوز أن يُنطلق منها في تفسير نصوص الوحي، لأنها لم تزل نظريات، وأقول "نظريات" لئلا أقول "توهمات". وهذا فقط في علم النفس والطب النفسي، بل وفي علم الاجتماع أيضاً.

وبما أن نصوص الحديث الشريف التي رأيناها آنفًا تبيّن بوضوح أن بعض الجراثيم والفيروسات هي من مركبات أجسام الجن، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم عين لنا جراثيم الطاعون أنها من مركبات أجسام الجن في الحديث الذي مر آنفًا. لذلك نستطيع أن نكون على يقين أن بعض الأمراض سببها الشياطين الذين هم خبثاء

الجن، وذلك بسبب الجراثيم الموجودة في تركيب أجسامهم، ومن هذه الأمراض الطاعون. وهذا أمر يقيني تبيّنه بوضوح الأحاديث الشريفة والواقع الملموس.

اما الجزء الآخر غير المائي، أو غير الجرثومي (لا فرق) من جسم الجن، ولنسمه تجاوزاً، أو مؤقتاً "الجزء الروحاني" فلم تزل الإنسانية تجهل عن طبيعته كل شيء، أضف إلى هذا الجهل بمساحة واسعة لا يعرف مدى سعتها عن ساحات النفس الإنسانية، كل هذا يجعلنا لا نستطيع أن نطلق حكماً أو قاعدة عن تأثير الجزء الروحاني من الجن بالنفس الإنسانية، وليس أمامنا إلا الحقيقة التي يبيّنها القرآن الكريم بأيات كثيرة منها التي مرت في أول هذا البحث.

وهذا يذكرني بحوار جرى في التلفاز الأردني حول موضوع مس الجن، وكان المتحاورون عالمين في الشريعة وعالم اجتماع وطبيباً نفسياً، وكان الطبيب النفسي يورد تفسيراته على أنها تفسيرات علمية، ويقبلها الآخرون منه، وما هي في حقيقتها إلا ما يمكن أن نسميه تجاوزاً "نظريات".

وبناء على قوله سبحانه: ((سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْاَفَاقِ وَفِي اَنْفُسِهِمْ...)).

وقوله سبحانه: ((وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأً بَعْدَ حِينٍ)).

بناءً على هاتين الآيتين وغيرهما نعلم أننا، أو أنهم (فقد لا نكون مع الأحياء) سيعلمون بما هذه الآيات، ويعلمون تأويلها (بالمعنى القرآني لكلمة التأويل)، بعد حين يعلمه الله سبحانه، قد يقصر وقد يطول.

ويجب أن ننتبه هنا إلى أن الآيات العلمية كانت من المشابهات، بل لعلها كانت هي المشابهات، والآن صارت، أو صارت كثير منها من المحكمات الإعجازيات.

وهاتان الآيتان: ((...الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...)) و ((...مَسَنِّيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ...)) هما الآن لم تعودا من المشابهات، بل توضح معناهما الحقيقي وصارتا من المحكمات لأننا صرنا نعلم أن بعض الجراثيم والفيروسات تدخل في تركيب أجسام الجن، وهذه الجراثيم والفيروسات هي التي تسبب النصب

والعذاب والتخبط، أو بعض النصب والعذاب والتخبط، وذلك لأننا لا نعرف الآن الدور الذي يلعبه الجزء من الجني الذي سميـناه "روحـانياً" وهذا يعني أنـني أترـاجـع عن قولـي قبلـ ثلاثةـ أـسـطـرـ أنه توضـحـ معـناـهـماـ الحـقـيقـيـ، وـأـقـولـ: لـقدـ توـضـحـ معـناـهـماـ فيـ بـعـضـ الـحـالـاتـ التـيـ هيـ جـرـثـومـيـةـ أوـ فـيـرـوـسـيـةـ، وـلـمـ يـزـلـ غـيرـ وـاـضـحـ فيـ الـحـالـاتـ الأـخـرـىـ غـيرـ الـجـرـثـومـيـةـ وـالـفـيـرـوـسـيـةـ، وـنـسـتـطـيـعـ أنـ نـقـولـ إـنـهـاـ فـيـ الـحـالـاتـ غـيرـ الـجـرـثـومـيـةـ وـغـيرـ الـفـيـرـوـسـيـةـ لـمـ تـزـالـاـ مـنـ الـمـتـشـابـهـاتـ، لـكـنـ سـوـفـ يـتـوـضـحـ تـأـوـيلـهاـ (بـالـمـعـنـىـ الـقـرـآنـيـ لـكـلـمـةـ التـأـوـيلـ)ـ بـعـدـ حـينـ لـأـظـنـهـ طـوـيـلـاـ، وـعـنـدـئـ تـصـبـانـ وـبـقـيـةـ الـآـيـاتـ التـيـ تـذـكـرـ الـمـسـ الشـيـطـانـيـ مـنـ الـمـحـكـمـاتـ.

## مقاعد الجن في استراق السمع

يقول سبحانه في سورة الجن على لسان الجن:

(( وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْئِتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا [8] وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَصَادًا )) [الجن: 8—9].

التصور الذي كان يتصوره المسلمون عن هذه المقاعد هو التصور المستند على تصور الناس الموهوم لبناء الكون، وللسماة الزرقاء التي كانوا يرونها قبة تغطي الأرض، وببعضهم كان يؤمن أنها من دخان استناداً إلى الآية الكريمة: (( ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ إِنْتُنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا... ))<sup>(11)</sup> [فصلت: 11].

وببعضهم، وخاصة الذين كانوا يسمونهم "أرباب الهيبة" كانوا يرونها من عنصر يختلف عن عناصر الأرض الأربع "النار والهواء والماء والتراب"، أو الستة، لأن المسلمين أضافوا إليها الملح والكبريت. فصارت العناصر عندهم ستة.

وكانوا، كلهم، يرون أن النجوم معلقة بالسماء، وأن كل نجم منها هو كالجبل العظيم. وكان المؤمنون بالقرآن أنه من عند الله سبحانه يؤمنون أن الجن يتذدون من أماكن هناك بين النجوم أو فوقها، مقاعد للسمع.

وفي هذا العصر، عندما توسع كثيراً عالم الشهادة، وعرف الكثير من حقائق الكون القريبة منا حتى أبعد يمكن أن تقاس بملائين كبيرة من السنين الضوئية، وعرف بيقين أن هذه الطبقة الزرقاء التي نراها فوقنا هي طبقة الأوزون (O<sub>3</sub>) التي هي إحدى طبقات الهواء<sup>(12)</sup>.

من هنا صار الكثيرون يتساءلون عن مقاعد الجن في السماء؟ وأين هي؟ وصاروا يتذدونها وسيلة من وسائل التشكيك بالإسلام.

(11) – مضى شرحها في كتاب "براہین".

(12) – مضى شرحها في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد شرح لنا هذه الحقيقة في حديث يرويه البخاري:

عن عائشة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم: "الملائكة تتحدث في العنان [أي الغمام] بالأمر يكون في الأرض، فتستمع الشياطين الكلمة فتقرُّها في أذن الكاهن كما تقرُّ القارورة، فيزيدون معها مئة كلمة"<sup>(13)</sup>. اهـ.

إذن فأماكن مقاعد السمع هي في منطقة السحاب الذي يكون حيناً ملاصقاً للأرض فيسمى الضباب، وقد يرتفع بعضه إلى حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً.

إذن فمقاعد سمع الجن هي في الطبقات التي يوجد فيها السحاب، وهي بشكل عام الطبقة الأولى المسماة "المناخية"، وقد توجد في الطبقة الطخورية "الطبقة الثانية" بعض السحب الرعدية والصدفية، حيث يمكن أن تكون فيها مقاعد سمعهم، وإن ارتفعت فلن تتجاوز الطبقة الوسطى (الثالثة) التي قد يتواجد فيها بعض السحب الليلية، وأقصى ارتفاع لسطح الطبقة الوسطى الأعلى هو 80ك م<sup>(14)</sup>، ويكون بذلك أقصى ارتفاع يمكن أن يبلغه مسترقو السمع من الجن هو أقل من ثمانين كيلاً في العلو.

وهنا ملاحظة يمكن أن تؤخذ بالاعتبار، هي أن الطبقة الطخورية شديدة البرودة جداً حتى أن بعضهم سماها طبقة الزمهرير، وعليه أظن أن الجن لا يستطيعون القيام فيها لأن ذلك يسبب تجمد الخلايا المائية في أجسامهم، حيث يمكن أن يسبب هذا لهم ضرراً ما، لذلك أظن أنهم لا يتجاوزون الطبقة المناخية التي يبلغ أقصى ارتفاع لها 18 ك م وتكون درجة حرارتها حوالي (75-).

إن صح تجمد خلاياهم فيكون ارتفاعهم لاسترافق السمع لا يزيد عن بضعة كيلومترات في الجو الذي يستطيعون تحمل برودته.

---

(13) – صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، صفة إبليس وجندوه.

(14) – مرّ موجز من تفصيلها في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

## من الإعجاز (الجرائم)

لنعد قراءة الأحاديث التي مرت في بحث الجن السابق:

— إن الشيطان حساس لحساس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه.

— إذا سقطت لقمة أحدهم فليمط عنها الأذى وليرأكلها ولا يدعها للشيطان..

— ... فقلتُ ما بال العظم والروثة؟ قال صلى الله عليه وسلم: هما من طعام الجن..

— إذا استيقظتْ (أحدكم) من منامه فليتووضأ فليستنشر ثلاثةً فإن الشيطان بيبيت على خishومه.

— ... أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الطاعون فقال: "وخرٌ من أعدائهم من الجن...".

— إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم. اهـ

مررت هذه الأحاديث في مبحث الجن لتقول لنا، أو لتعلمنا أن الجرائم والفiroسات أو بعض الجرائم والفiroسات هي من مركبات أجسام الجن.

أما هنا، فنوردها لنرى ما فيها من حقائق علمية واقعية كانت الدنيا كلها تجهلها قبل محمد صلى الله عليه وسلم وبعده بحوالي ألف وثلاثمائة سنة، حيث بدأت حقائقها تتكتشف شيئاً فشيئاً، وقد رأيناها في مبحث "الجن".

ولأنني ألمح أن كلمة "الجن" تعني "المستورين أو المخفين".

— فلما جنَّ عليه الليل، أي فلما ستره الليل وأخفاه.

— وسميت الجنة (من جنان الدنيا) جنة لأنها بشرها ونباتها، تستر ما تحتها وتحفيه. وعليه، نستطيع أن ندرج كل الجرائم وكل الفiroسات تحت اسم "الجن". لأنها مستورة عن أعيننا ومحفية عنها رغم أنها تحيط بنا وتحط على أجسامنا.

ثم لنقرأ الأحاديث التالية:

— عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "نَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأَسْقِيَةِ" (صحيح البخاري: الأشربة) وغيره  
(اختتاث الأسيقة = الشرب من أفواهها).

وفيه أيضاً:

— عن أبي هريرة رضي الله عنه: "نَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْشَّرْبِ مِنْ فِيمَنْ قَرَبَةً أَوْ سَقَاءً...".

[وفيه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه].

وفيه أيضاً:

— عن أبي قحافة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا شَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ...".

— وعن سهل بن سعد: نهى صلى الله عليه وسلم أن يُنْفَخْ في الشراب وأن يُشَرَّبَ من ثلمة القدح.

(خرجه الألباني في صحيح الجامع وفي الأحاديث الصحيحة 288).

قبل قراءة الإعجاز في هذه الأحاديث يحسن بنا أن نتذكر أننا عندما نقرأ في الأحاديث الشريفة نهياً عن أمرٍ ما، فهذا يعني أن الناس كانوا يفعلون هذا الأمر وكانوا يرون فعله شيئاً مأولاً فاماً أو غير مستغرب.

ولنعد إلى الأحاديث:

الحديث الأول معناهما واحد، هو النهي عن الشرب من فم القرابة أو السقاء. والسقاء هو كل ما يحفظ به كمية محدودة من الماء ويمكن حمله ونقله والشرب منه.

فأباريق الشرب، سواء كانت زجاجية أو فخارية أو بلاستيكية هي من أنواع السقاء، والقناei التي توضع في البرادات لتبريد مياهها هي من الأسيقة، بل حتى

صنابير الماء المتفرعة عن مواسير تمدidات الماء في البيوت يمكن أن تعدّ من الأسبقيّة، رغم ثباتها في أماكنها.

وكان من الطبيعي أن يتسائل العلماء وغيرهم عن علة هذا النهي، وقد فعلوا، وبدهي أن ما رأوه ما كان ليخرج عن معارفهم و المعارف كل البشر في تلك الأزمنة، وفيما يلي أنقل فقرةً أوردها ابن حجر العسقلاني في الفتح تکاد تلخص أقوالهم، يقول:

... وقال الشيخ محمد بن أبي جمرة ما ملخصه: اختلف في علة النهي فقيل: يُخشى أن يكون في الوعاء حيوان، أو ينصب بقوة فيشرق به، أو يقطع العروق الضعيفة التي بإزاء القلب فربما كان سبب الهلاك، أو بما يتعلق بفم السقاء من بخار النفس، أو بما يخالط الماء من ريق الشارب فيتقذره غيره، أو لأن الوعاء يفسد بذلك في العادة فيكون من إضاعة المال. قال: والذي يقتضيه الفقه أن لا يبعد أن يكون النهي عن مجموع هذه الأمور، وفيها ما يقتضي الكراهة وفيها ما يقتضي التحريم، والقاعدة في مثل ذلك ترجيح القول بالتحريم. وقد جزم ابن حزم بالتحريم لثبوت النهي وحمل الرخصة على أصل الإباحة، وأطلق أبو بكر الأثرم صاحب أحاديث النهي ناسخة للإباحة لأنهم كانوا أو لا يفعلون ذلك الخ...<sup>(15)</sup> اهـ.

أما في هذا العصر، عصر توسيع عالم الشهادة، فنعرف أنها الجراثيم والفiroسات التي تسبب أنواع الأمراض. وهذا شيء كانت الدنيا كلها تجهله، هذا بالإضافة إلى ريق الشارب.

وكذلك النهي عن التنفس في الإناء أثناء الشرب، والنفخ في الشراب، وهذا أخف ضرراً من الشرب من فم السقاء إن كان الشارب يشرب من إناء خاصٌ به لا يشرب منه غيره، أما إن كان يشرب منه آخرون اضطراراً أو لا مبالاةً كما في بعض المجتمعات فالتنفس في الإناء حينئذ أو النفخ فيه يدفع الجراثيم أو الفiroسات من فم

الشارب إن كان مريضاً بمرض، إلى الإناء وما فيه، بل حتى إن لم يكن الشارب مريضاً فالجراثيم موجودة دائماً، أو في أكثر الأحيان في فمه.

ثم نصل إلى النهي عن الشرب من ثلمة القدر التي هي مركب للجراثيم والفيروسات في كل الحالات أو في غالبيها.

وأذكر أني منذ حوالي ربع قرن أو تزيد تذكرة مرأة هذا الحديث مع صديق لي (أنسيت الآن اسمه) فقال لي إنه قرأ في أحد الكتب هذا الحديث بالنص "ولا تشربوا من ثلمة القدر فإنها مركب للشياطين"، فإن كانت هذه الجملة الزائدة (إنها مركب للشياطين) واردة فعلاً في أصل الحديث ف تكون عندئذ توكيداً لمعنى الذي تحمله جملة "ولا تشربوا من ثلمة القدر" التي نعرف الآن العلة في هذا النهي والتي هي وجود الجراثيم والفيروسات في الثلمة.

## الخلاصة

هذه التعليمات والأوامر والنواهي التي تدور كلها حول الوقاية أو الحذر مما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم "الشياطين" في بعض هذه الأحاديث ولم يسمه في بعضها، والتي ندرك في عصرنا الحاضر أنها الوقاية من الجراثيم والفيروسات، تجعلنا نسأل السؤال:

هل جاءت هذه التعليمات الصحيحة على لسانه صلى الله عليه وسلم صدفة؟ أو ضربة أعمى؟ رغم كثرتها وتعدد وجوهها؟!

لو كان حديثاً واحداً لقلنا ذلك، بل لو كانا اثنين أيضاً، لكن عشرة أحاديث تدل بصورها وحالاتها المختلفة على أمر واحد، ثم تكون بعد ذلك صدفة أو ضربة أعمى!!؟؟

لا، لا، لا، هذا غير معقول ولا مقبول.

أما المعقول والمقبول الذي لا يوجد غيره معقول ومقبول فهو أنها وهي من لدن عليم خبير. لأن الدنيا كلها كانت تجهل هذا الموضوع وبقيت تجهله حتى أكثر من ألف سنة ومئات من نزول هذه الأحاديث والآيات.

## من يبني بيوت النحل

(( وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ))  
[النحل:68].

نلاحظ في هذه الآية، أنه يخاطب النحل بصيغة المؤنث ((اتَّخِذِي منَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...)).

ومن المعلوم علم اليقين الآن، أن شغالات النحل، وكلها إناث، لكنها غير مكتملة الأنوثة، هي التي تبني الخلايا التي هي بيوت النحل، وهي التي تجني العسل، وليس للذكور دور إلا تلقيح الملكة التي هي أنثى مكتملة الأنوثة، وهي فقط التي تبيض البيض الذي يفقس البيروقات.

والشغالات، أو بعضها ينتج العسل الملكي الذي تخزنه في بعض النخاريب، فالليرقة التي يكون قدرها أن تتغذى بالعسل الملكي تصير ملكة، أو أنثى مكتملة الأنوثة، والتي تتغذى بالعسل العادي تكون أنثى ناقصة الأنوثة. فتكون شغالات، أما الذكور منها فلا يغير الغذاء منهم شيئاً. وبعد تلقيح الملكة، تأخذ الإناث الشغالات بقتل الذكور.

والملاحظة أن الآية تخاطب إناث النحل بقولها ((اتَّخِذِي منَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...))؟؟؟

فهل كان هذا الخطاب صدفة؟؟؟

قد يقول قائل: إن الجمع في اللغة العربية يعامل معاملة المؤنث، وفي هذا المعنى يقول أحد النحويين الشعراء:

إن قومي تجمعوا وبقتلي تحدثوا

لا أبالي بجمعهم كل جمع مؤنث

وفي الآية المذكورة، يوجه الخطاب، أو الأمر الكوني، إلى جماعة النحل، لذلك جاء الخطاب بصيغة المؤنث.

فالجواب: لو كانت هذه الآية وحدها في القرآن الكريم، بل لو كان معها أيضاً مثُلُها (مثُلُها) ثانية وثالثة ورابعة، بل وخامسة أيضاً، لقلنا هذا الاحتمال وارد، أو واجب.

أما وهذه الآية تأتي ضمن خضم من الآيات التي تذكر حقائق من حقائق الأفاق والأنفس، كانت الدنيا تجهلها. ولم تعرف إلا بعد نزول القرآن بأكثر من ثلاثة عشر قرناً، ففي هذه الحالة لا يمكن أن تكون وردت بهذه الصيغة إلا عن تصميم يقيني من عليم بالواقع اليقيني.

ملاحظة: الدكتور جفري لانغ، أميركي هداه الله سبحانه للإسلام، له كتاباً ترجمة إلى اللغة العربية هما "الصراع من أجل الإيمان" و "حتى الملائكة تسأل. رحلة إلى الإسلام في أمريكا".

وقد ذكر هذه الآية والآية التي تليها: ((كَمَنَّلَ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)) في أحد كتابيه، ويُفهم منه أنه ذكرهما نقلأً عن مسلمين هناك كانوا قد انتبهوا، أو نبهوا إلى هاتين الآيتين.

## من يبني بيت العنكبوت؟ ذكره؟ أم أنثاه؟

يقول سبحانه:

(( مَّلِئُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَّلَ الْعَنْكَبُوتَ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ  
لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ )) [العنكبوت:41].

كلمة "العنكبوت" تؤنّث وتذكر.

ونرى الآية الكريمة أنتتها، فقالت: ((اتَّخَذَتْ بَيْتًا)).

ونرى الآية أيضاً تقول: ((اتَّخَذَتْ بَيْتًا)) بالفرد، أي بيتاً واحداً. والبيت الواحد لا يبنيه إلا عنكبوت أنثى واحدة.

وهذا يعني بوضوح أن العنكبوت الأنثى هي التي تبني بيت العنكبوت، وهذا الواقع اكتشف في العصور الأخيرة، ولا أظن ذلك حدث قبل القرن التاسع عشر الميلادي، بل لعله بعد ذلك.

ونعود إلى السؤال الذي اعدنا عليه في النصوص الكثيرة السابقة:

— كيف جاءت هذه العبارة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة الصحيحة؟  
التي كانت الدنيا كلها تجهلها قبل محمد صلى الله عليه وسلم وفي زمنه وبعده بأكثر من ألف سنة؟  
كيف؟

الليست دليلاً على أنها تنزيل من عليم خبير؟

— بلى، إنها لدليل.

ثم نعود أيضاً إلى ما يمكن أن يقوله القائل المعارض بأن هذا يمكن أن يكون جاء صدفةً على لسان محمد صلى الله عليه وسلم.

فنقول له أيضاً القول المعهود: لو كانت هذه الآية وحدها في القرآن، بل ولو كان معها مثلها ثانية وثالثة ورابعة، بل وخامسة أيضاً، لقنا هذا احتمالاً وارداً.

أما وهي واحدة من أكثر من مئة نص، وقد تبلغ المئتين، وقد تزيد، غالبيتها العظمى لا يوجد لها إلا احتمال واحد لا غير، هو أنها وهي من لدن عليم خبير.

وقليها، وهذا القليل قد يتجاوز العشرين نصاً، وقد يقترب من الثلاثين، هو آيات أو نصوص فيها احتمالان، أو أكثر.

وبحسب قانون الاحتمالات، إن احتمال أن تكون هذه النصوص الثلاثين أو أكثر التي يحمل كل واحد منها احتمالين أو أكثر، أن تكون كلها جاءت على الوجه الصحيح بالصدفة، هذا الاحتمال هو احتمال واحد من عشرات الملايين، وأي عاقل عنده علم بقانون الاحتمالات يعرف أن هذا يكاد يكون من المستحيل.

وللتوسيح هذه النقطة، أضرب المثل الآتي:

لنأت بقطعة نقود معدنية، وهي، كما هو معروف ذات وجهين، ولنسمّ أحد الوجهين "طُرْةً" والوجه الثاني " نقش" وذلك حسب اللعبة التي يلعبونها.

إننا نحتاج إلى عشرات الملايين من هذه القطعة أو أكثر، وإلى عشرات الملايين من الأشخاص أو أكثر، يمسك كل شخص قطعة منها ويضعها داخل كأس واسع، ثم يرجّها فيه ويقذفها في الهواء حتى تسقط على الأرض.

ثم يعيدون كلهم هذه العملية ثلاثين مرة (أو على عدد النصوص التي نحن بصددها)، فقد يحدث مع واحد من هؤلاء كلهم أن تقع قطعة نقدة في الثلاثين مرة على وجه واحد.

وإن لم يحدث، فتتعاد التجربة بأن يقذف كل واحد منهم قطعته في الهواء لتسقط على الأرض، فقد يحدث في هذه التجربة لواحد أن تقع قطعته في المرات الثلاثين على وجه واحد.

وهذا يعني أن تلك النصوص الثلاثين أو أكثر، والتي قد تصل إلى الثلاثين وقد تزيد، والتي يحمل كل منها احتمالين أو أكثر، جاءت كلها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم على الوجه الصحيح، كان ذلك بالصدفة! هو قوله عاقل عنده علم بقانون الاحتمالات.

— ولا تعليل إلا أنها وهي من لدن عليم خبير.

## الفصل الرابع

### هل اليوم الآخر آت؟

(( وَتِلْكَ الْأُمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) [العنكبوت: 43].

"العالمون" في هذه الآية، تعني العالمين بموضوع المثل، مع العلم باللغة العربية، وذلك ليفهم المثل حسب لغته العربية الواضحة المباشرة دون تأويل ولا تحريف للكلم من بعد موضعه. وبقية العلوم لا مكان لها هنا، بما في ذلك علم الشريعة، لذلك لا يسأل عنها عالم بالشريعة إلا إن كان قد درس ما يكفي من العلم الذي يتعلق به موضوع المثل المضروب.

والبحث التالي عن اليوم الآخر لا يعقله إلا عالم بما يكفي من علم الفلك، الذي يحوي بناء الكون وفيزياءه وقوانينه وتاريخه الذي صار من اليقينيات، هذا مع علم اللغة العربية لفهم النص.

أنا (كاتب هذه الكلمات) عندي ما يقرب من اليقين أن هذا العالم عندما يقرأ الآيات والأحاديث التي تصف مسيرة الكون وكيف أنها متوافقة بشكل عجيب مع الواقع الذي صار يقيناً، سوف يؤمن دون أي شك اليوم الآخر آت لا ريب فيه.

وقلت: "ما يقرب من اليقين" ولم أقل "يقين"، لأن العناد المستكبر، أو الاستكبار العنيد، لا تنفع معه الأدلة والبراهين ولو كانت بالملايين.

## اليوم الآخر

مرّ بحث عن اليوم الآخر في كتاب "براهين" وكان الدليلان المقدمان فيه على أنه حق هما:

1 — الآيات العلمية الكثيرة في القرآن المعروضة في الكتاب، والتي يستحيل أن تكون من قول بشر لأنها تذكر حقائق علمية فيزيائية وفلكلية وجيولوجية كانت الدنيا كلها تجهلها منذ أن وجد البشر على الأرض حتى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده بأكثر من ألف سنة، وتذكر حوادث مستقبلية بالنسبة لزمن نزول القرآن، طبيعية واجتماعية حدث كثير منها رغمًا عن المسلمين وعن كل البشر، أي لم يكن تحقيقها بالأساليب الجاسوسية والتافيقية والدجلية مثل الآخرين.

هذه الآيات — وهي بعض من كل — التي وردت بلسان عربي مبين واضح يستحيل أن يوجد تعليل لورودها في القرآن بتلك الدقة وذلك الوضوح إلا أن القرآن وحي من لدن عليم خبير. وهذا القرآن الذي هو وحي من الله سبحانه هو الذي يقول لنا إن اليوم الآخر حق وإن الساعة آتية لا ريب فيها. وهو في الحقيقة، دليل كافٍ.

2 — مبدأ الزوجية "ومن كل شيء خلقنا زوجين" الذي يشمل كل المخلوقات والذي أصبح الآن يقينياً نراه في كل ما يقع تحت حواسنا العادلة وما يقع تحت حواسنا المضخمة، أو المقوأة بالأجهزة الحديثة، وهذا يجعلنا نعلم أن الحياة لا تكون وحدتها هي الشاذة، وأن هناك حياة تشفعها، هي الحياة الثانية.

هذان الدليلان ورداً في كتاب "براهين".  
ولا أرى هنا أساساً من إيراد صورة واحدة صغيرة، لكنها تدل على مدى شمولية قاعدة الزوجية في المخلوقات:

فالجزيء الكيميائي، أي جزيء، الذي نرى له صيغة كيميائية ثابتة، سواء الصيغة المجملة أو المنشورة، هو، كما أظهرته بحوث العلماء زوجي.

فقد رأوا أن قسماً من الجزيئات في مادة ما (ولتكن، مثلاً، السكر أو النشا...) جزيئاته متشابهة تماماً ومتطابقة، والقسم الآخر أيضاً جزيئاته متشابهة تماماً ومتطابقة، لكن الجزء من هذا القسم، وإن كان يشبه الجزء من القسم الآخر لكنه لا يتطابق معه، وإنما هو مثل صورته في المرأة. ويمكن أن نضرب مثلاً لهما الكفين في الإنسان، فهما يشبهان بعضهما تماماً، لكن أحدهما هو مثل صورة الآخر في المرأة.

فقانون الزوجية "ومن كل شيء خلقنا زوجين" يشمل حتى الجزيئات فهل تستثنى منه الحياة الدنيا؟!

ونعود إلى الآيات الكونية:

ففي مراجعة لما ورد منها في كتاب "براهين" وما ورد في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن" نرى فيها دليلاً قوياً على أن اليوم الآخر حق، لكن لا يعقله إلا العالمون في موضوع البحث، العالمون بما يكفي من القوانين الفيزيائية (دون ضرورة التعمق)، مع تصور صحيح، أو قريب من الصحيح، لحركة الأجرام الكونية في توسعها ذي السرعات الرهيبة.

(( وَتَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) .

وفي ما يلي سأعيد استعراضاً لآيات الآفاق، أو لبعض آيات الآفاق مما له علاقة بموضوع اليوم الآخر، ومن خلال استعراضها سيترسخ انتظام عند العالم بموضعها أن اليوم الآخر هو آت لا ريب فيه، وذلك لتوافقها الدقيق مع واقع بناء الكون ومع واقع قوانينه.

## الخطوط الكبرى في مسيرة الكون

المبدأ:

— ((أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَا هُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّهُ شَيْءٌ حَيٌّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ )) [الأنباء: 30].

مررت هذه الآية ودرستها في كتاب سابق "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن". وهنا نوردها للسير مع مراحل الكون.

وقد مر في كتاب (براهين) توضيح لمراحل الكون التي ذكرها القرآن الكريم مع شيء من التفصيل. وهنا نذكر الآيات دون تفصيل.

— إذن، فقد كان الكون كتلة واحدة فُتقت. وقد صارت الآن هذه المقوله يقينية. وقد أطلقوا على عملية الفتق اسم "الانفجار العظيم".

— حركة الكون في الطور الذي نعيشه (الحياة الدنيا):

— ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ )) [الذاريات: 47].

ومررت هذه الآية أيضاً في ما سبق، ومنها نعرف أن الكون الآن في توسيع مستمر، يقدره علماء الفلك بسرعة الضوء، أي إن الكون يزداد قطره في كل ثانية بمقدار ستة ألف كم. والذي أظنه أن الزيادة أكثر من ذلك بكثير. وعلمه عند الله سبحانه وعند من يريده من خلقه. والله أكبر.

وتبيّن آيات القرآن الكريم المراحل الكبرى التي مر بها هذا الطور، وقد مر تفصيلها في كتاب "براهين".

نهاية هذا الطور:

((يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِكُتُبٍ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ )) [الأنباء: 104].

كل هذه الآيات مررت دراستها في الكتب السابقة حيث هناك تفصيلها.

والذي يهمنا هنا من هذه الآية هو أن هذا التوسيع الحالي في الكون سوف ينتهي لتعود أجرام الكون القهقرى في اندفاع نحو مركز الكون لتجتمع في كتلة واحدة كما كانت قبل الفرق عند بدء الخلق.

وبحسب سنة الله سبحانه في خلقه التي لا يريد أن يغيرها، لا بد من إحدى حالتين ليتم هذا التراجع:

أ – إما أن تتوقف هذه الأجرام عن اندفاعها المبتعد عن مركز الكون، وبعد ذلك تعود إلى الاندفاع باتجاه المركز. وهذا أيضاً يقتضي – حسب سنة الله سبحانه في خلقه – أن يكون التوقف إما فجأة، وإما بتناقص السرعات شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى التوقف، وكلا الأمرين يحتاج إلى مؤثر خارجي؟ فما هو؟

ب – وإنما أن تبطئ سرعتها كثيراً جداً جداً دون الوصول إلى التوقف، ثم ترسم مجرياتها نصف دائرة لتعود إلى سيرها المستقيم في اتجاه المركز. وهذا أيضاً يقتضي أحد أمرين: إما أن يحدث التباطؤ شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى البطء المراد، أو أن يحدث البطء بغتةً. وهذا أيضاً يحتاج إلى مؤثر خارجي؟

والقرآن الكريم يخبرنا أن الأجرام لن تتوقف إلا عندما تجتمع في كتلة واحدة كما كانت قبل الفرق بدليل قوله سبحانه: ((وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلٍ مُسَمَّى)) [الرعد:2]، وقوله سبحانه: ((وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ)) [إبراهيم: 33]، و ((مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجْلٍ مُسَمَّى)) [الروم: 8]، ((وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) [يس: 38].

والمستقر، هو الذي تستقر فيه فلا تغادره أبداً، ويبين لنا هذا المستقر قوله سبحانه: ((إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)) [الأنباء: 98] ونعلم أن أكثر الأشياء التي عبدت من دون الله سبحانه هي الشمس والقمر ثم بقية النجوم فهي كلها في جهنم، وهناك الحديث الشريف: "الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيمة"، وهناك آيات وأحاديث غيرها أكفي بهذه التي أوردتها لأنها كافية.

إذن فالمستقر هو جهنم عندما يطوى الكون كله في كتلة واحدة مثل كتلة البدء: ((يَوْمَ نَطَوَ السَّمَاءَ كَطَيًّا السَّجْلَ لِكُتُبٍ كَمَا بَدَانَا أَوْلَ حَلْقَ نُعِيدُهُ وَعُدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)) [الأنباء: 104]، وذلك يوم القيمة حيث يبدأ تراجع الأجرام الكونية في اتجاه المركز مع النفخة الثانية، وتبقى مندفعة (بأمر الله سبحانه طبعاً) حتى تجتمع في كتلة واحدة كما كانت في البدء، وهذه الكتلة هي جهنم، وهذا هو الأجل المسمى، وهو المستقر.

ونستفيد من هذه الآيات والأحاديث أن الأجرام لا تتوقف فجأة، وإنما تبطئ فجأة ببطء كبيراً جداً، لكنها تبقى مدحورة لكن بسرعات أصغر من السابق ب什رات الآلوف من المرات أو بمئات الآلوف.

وهذا البطء المفاجئ، لم يرده الله سبحانه أن يكون خاضعاً لسنة من سننه في خلقه؟ بل أراده سبحانه أن يكون حدوثه بأمر منه يجيئه في وقته الذي قرره عندما شاء، والذي لم يطلع عليه أحداً من خلقه.

وإنما هو أمر يأمره الله سبحانه عندما يريد، بدليل قوله سبحانه: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي...)) [الأعراف: 187]، قوله سبحانه: ((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزَلُ الْغِيْثَ...)) [لقمان: 34]، قوله: ((إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ...)) [فصلت: 47]، وغيرها آيات.

وهي تأتي بأمر واحد يصدر عنه سبحانه، بدليل قوله سبحانه: ((وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلْمَحٌ بِالْبَصَرِ)) [القمر: 50]، قوله سبحانه: ((فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ [13] فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ)) [النازعات: 13—14] وآيات غيرها.

ويكون الانتقال من السرعات الحالية إلى السرعة الطبيعية جداً جداً، بزمن يقاس بجزء من الثانية بدليل قوله سبحانه: ((وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْمَحٌ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...)) [النحل: 77] وغيرها.

والله سبحانه يصدر هذا الأمر بعترة دون مقدمات كونية بدليل قوله سبحانه: ((تَقْلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيْكُمْ إِلَّا بَعْتَهُ...)) [الأعراف: 187] وآيات غيرها.

والآن نسأل العالمين بما يكفي من علم الفلك ومن الفيزياء الفلكية ومن بناء الكون، ماذا يحدث للأجرام السماوية بشكل عام، وللأرض، أرضنا، بشكل خاص عند ذلك؟ ثم ليقرؤوا الآيات التالية التي تصف ما يحدث:

– ((إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ [1] وَإِذَا الْكَوَافِرُ انتَرَتْ [2] وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ [3] وَإِذَا الْقُبُورُ  
بُعْثِرَتْ ))[الانفطار:1 – 4].

– ((يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ))[المزمول:14].

– ((إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ [1] وَأَذَنْتُ لِرِبَّهَا وَحَقَّتْ [2] وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [3] وَلَقْتُ مَا فِيهَا  
وَتَخَلَّتْ ))[الإنشقاق:1 – 4].

– ((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا [1] وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَقْلَالَهَا [2] وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ))  
[الزلزلة:1 – 3].

– ((إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ [1] لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَادِيَّةً [2] خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ [3] إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ  
رَجَّاً [4] وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسَّاً [5] فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْنَىً ))[الواقعة:1 – 6].

– ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زِلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ [1] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ  
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاتٍ حَمَلَ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ  
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ))[الحج:2].

– ((فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً [13] وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً  
[14] فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ [15] وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَّةٌ ))[الحاقة:13 – 16].

أقول: لقد مرّ شرح هذه الآيات وتفصيلها في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن" وفي كتاب "براهمين". والآن:

نُسَأَلُ العالَمين بما يكفي من علم الفلك والفيزياء الفلكية: هذه الأوصاف العلمية الدقيقة لـما يحدث عندما ينتقل اندفاع المجرات في الفضاء الالهائي بعنة من سرعاتها الهائلة إلى سرعات بطئية!! ألا تدل هذه الأوصاف العلمية الدقيقة على أمرٍ مثير؟

– الأمر الأول: أنها لا يمكن أن تكون من قول بشر، لأن كل البشر كانوا يجهلون جهلاً كاملاً كل هذه المواضيع وما يدور حولها جملة وتفصيلاً؟

– الأمر الثاني: أنها ستحدث؟

بلى: إن هذا هو الأثر الذي تركه في النفس العالمية.

((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقُلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ))

## – الطور الثاني: طور الطي:

((يَوْمَ نَطَرَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِكُتُبٍ كَمَا بَدَانَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِدُهُ )) [الأبياء: 104].

بنفحة الصور الأولى، انتهى طور التوسيع، طور ((والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍِ وَإِنَا لَمُوسِعُونَ)), وبعد مدة علّها عند الله سبحانه، لعلّها المدة التي تحتاجها المجرات الكونية لتدور نصف دورة حسب السرعة الجديدة التي قدرها الخالق سبحانه.

ثم ينفع في الصور النفحة الثانية، فتبداً المجرات بالتسارع شيئاً فشيئاً حتى تبلغ السرعة القصوى التي يريد بها الله سبحانه، ويبعث الله سبحانه من في القبور، وهذا لا يهمنا هنا (هذا فقط) وإنما الذي يهمنا هو ما يحدث للأجرام الكونية في هذا الاندفاع نحو التقارب من بعضها شيئاً فشيئاً حتى تجتمع في كتلة واحدة.

وهذا أيضاً: نعيد السؤال للذين يعلمون ما يكفي من علم الفلك والفيزياء الفلكية:

حسب القوانين الطبيعية، حسب سنن الله سبحانه في كونه، ماذا يحدث للأجرام السماوية والأرضية التي حدث لها ما رأيناها عند النفحة الأولى؟ ماذا يحدث لها الآن مع تقاربها من بعضها؟ بعد النفحة الثانية؟

أيها العالم بما يكفي من علم الفلك والفيزياء الكونية. اقرأ ما يحدث لها:

– ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ )) ((وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ )) ((وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ)) ثم تذكر أليس هذا ما يحدث.

– ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ)), لا ننسى أنها كانت قد انتشرت مع بقية الكواكب عند النفحة الأولى.

– ((وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)), لا ننسى أنها كانت قد فجرت عند النفحة الأولى، وسُجِّرت هنا بمعنى "امتلأت".

وقد مر تفصيل كل هذا في كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

– ((وَإِذَا النُّجُومُ انكَرَتْ)), لا ننسى ما يحدث للنجوم الملتهبة عندما تقارب من بعضها. (وقد مر تفصيله في الكتاب السابق).

— ((وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ)) عندما تقارب من بعضها فتشتد حرارتها التي كانت قبل ذلك  
تنتهي في الفضاء الواسع، ثم هنا صارت تسعّر بعضها.

ونعود إلى السؤال، لكنه هنا موجه فقط إلى العالم علم اليقين بما يكفي من علم الفلك  
والفيزياء الفلكية:

— أليست هذا الأوصاف الدقيقة جداً جداً هي ما يحصل للأجرام عندما تقترب من بعضها  
ثم تجتمع في كتلة واحدة؟

— وهل يمكن أن يكون هذا صادراً عن رجل أمي في أمة أميّة، في إنسانية كانت كلها  
تجهل كل شيء عن هذه الحقائق جملة وتفصيلاً؟

وهل يوجد أي تعليل لهذا إلا أنه وهي من لدن عليم خبير؟  
لا، لا، لا يوجد غير هذا التعليل.

ثم، ألا يبعث كل هذا في نفس العالم علم اليقين بهذه الأمور أن كل ذلك سوف يحدث، كما  
هو وارد؟

بلى إنه يبعث بقوة هذا الاحساس.

## الصراط

في البخاري – الرفاق (81) – باب الصراط جسر جهنم (52):

قال صلى الله عليه وسلم: "... ويُضرب جسْرُ جَهَنَّمَ... فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُ... وَبِهِ  
كَلَّا يُبَدِّلُ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ.. غَيْرُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرُ عَظَمَهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتُخْطَفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ  
الْمُوَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخْرُدُّلُ ثُمَّ يَنْجُو...".

وفي حديث آخر – التوحيد (97) – باب: وجوه يومئذ ناصرة (24):

".. ويُضرب بالصراط بين ظهري جهنم.. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان.. غير  
أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم..".

وفي حديث آخر (الباب ذاته):

" .. ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم. قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مَرْلَة، عليه خطاطيف وكاللاب.. المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وأجاويد الخيل ولركاب، فناجِ مسلم، وناج مخدوش، ومكوس في جهنم.." .

— وما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: " .. وفي حديث ابن مسعود: .. ثم يقال لهم انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كطرف العين ثم كالبرق ثم كالسحاب<sup>(16)</sup> ... . وفي رواية حذيفة وأبي هريرة: وفي حافتي الصراط كاللاب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به".

... وفي رواية سهل: "وعليه كاللاب النار".

— وما أورده أيضاً: .. ووقع عند مسلم: "قال أبو سعيد: بلغني أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة"<sup>(17)</sup>.

— وفي صحيح مسلم وسنن الترمذى وغيرهما:

.. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل: ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ)) [إبراهيم: 48] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله. فقال: على الصراط. ولا ننسى أنهم يكونون حينذاك كالفاراش المبثوث ((يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)).

— ويضرب جسر جهنم.

— ويضرب الصراط بين ظهري جهنم.

— ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم.

— قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة..

— وعليه كاللاب النار.

أولاً: أكرر هنا ما كررته سابقاً، أنه يظهر من أوصاف يوم القيمة وأحداثه أن الله سبحانه يغير هناك بعض سننه في خلقه ويبقى بعضها دون تغيير.

---

(16) — فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مجلد 11 ص 461.

(17) — نفسه ص 462.

ومن السنن التي يظهر أنَّه سبحانه يبقيها السنن التي يمكن أن يُعبر الفضاء الكوني للخروج منه إلى فضاء ما بين الكونين، كون الدنيا الذي هو كون جهنم والكون الثاني الذي هو كون الجنة.

في المبحث السابق (المعارج) رأينا أنَّ الطريق عبر الكون للخروج منه (بل وللانطلاق في داخله أيضًا) ذات معارج كثيرة يمكن أن تعدد بـملايين التعرجات أو أكثر.

وبحسب هذه السنة التي — من الواضح — أنَّه سبحانه لا يريد أن يغيرها هنا، وبناءً على أن الانطلاق العروجي للكائن البشري ذي الجسم المادي هو مسير بهذه السنة وأنَّ هذا الكائن المنطلق به لا يملك من أمره شيئاً بتة (والامر يومئذ لله)، بناءً على ذلك يجب أن يكون انطلاقه العروجي بطريقاً نسبياً ليستطيع أن يحيد عن ملايين الأجرام أو ملياراتها التي ستتعارضه في انطلاقه ويترعرع حولها، وهذا يتضمنه — حسب سنة الله سبحانه التي لم يشاً تغييرها — زمناً طويلاً قد يصل إلى مليارات السنين مما نعد في دنيانا. ومن الواضح هنا أنَّ المولى سبحانه لم يقتضِ مشيئته أن يرسل لهم من نجد الجنة لتعرج بهم بسرعة الطرف، وإنما أراد سبحانه أن يكون خروج أهل الجنة من المحشر إلى خارج كون الدنيا بطريق الجسر بين ظهري جهنم، ينطلقون فيه كل حسب نوره.

وهنا يجب أن نذكر أنَّ هذا الجسر ليس من جسور الدنيا، وإنما هو جسر كوني طوله يمكن أن يكون بـمليارات السنين الضوئية، وأنَّه لن يكون مبنياً من حجارة منحوتة أو لبن أو إسمنت مسلح أو شبكات حديدية.

ومن نصوص الأحاديث المذكورة آنفًا ومن واقع بعض الحقائق الكونية التي صارت الآن معروفة ومن سنن الله سبحانه فيها نستطيع أن نبني تصوراً عن الصراط أظنه صحيحاً، والقرآن يدعونا إلى التفكير في مخلوقات الله سبحانه في آيات كثيرة، وهذا الجسر هو من مخلوقاته سبحانه ومن أوامره.

إنه تصور منتبثق من الرابط بين نصوص الوحي والمعروف من حقائق الكون والقوانين الفيزيائية، ثم من عدم وجود نص من الوحي يجعل هذا التصور متعارضاً معه.

بما أنه جسر كوني ذو أبعاد فلكية، فلبناته ستكون، بدھياً، هي الأجرام الكونية الملتهبة والباردة وما يحيط بها من ساحات تجازبية وكهربائية ومغناطيسية.

هذه الأجرام الكونية (الشموس ورفاقها)، أثناء تراجعها لتطوى في كثلة واحدة كما كانت في أول خلقها، يجعل سبحانه بعضها، في الوقت الذي يريد، أثناء جريها مندفعة نحو المركز في الفضاء الواسع الذي يفصل بينها، وعندما تكون لم تزل متباعدة عن بعضها تباعداً لم يزل فلكياً، ولكنها تكون آخذة بالتقارب، يجعلها المولى سبحانه مندفعة نحو مركز الكون بشكل يجعلها، في قطاع منها، محطة بفجوة واسعة ممتدة بخط مستقيم بين المحشر الذي هو أول الصراط وبين خارج الكون في اتجاه الكون الآخر، كون الجنة.

وأقول إن المحشر هو أول الصراط، بناءً على قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله عائشة رضي الله عنها: "أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على الطراط" (الحديث أعلاه)؛ وتلك الفجوة الواسعة هي الصراط، هي جسر جهنم.

وبما أنه يظهر من النصوص التي تصف الصراط والانطلاق عليه أن الله سبحانه وتعالى لا يغير السنن التي كانت تسير أمثالها في طور الحياة الدنيا، لذلك يجوز لنا أن نقيس ذلك الواقع على السنن المعروفة الآن، فنقول (والعلم عند الله سبحانه):

إن تلك الفجوة الواسعة التي هي الجسر الفلكي الذي يعبر عليه، أو خلاه الناجون من النار، تكون محاطة بالأجرام الفلكية المختلفة الحجوم (منها ما هو أكبر من الشمس بمئات الملايين من المرات)، وال مختلفة الأبعاد.

وكما هو معروف، لكل جرم من تلك الأجرام الفلكية ساحة جاذبية ممتدة في كل الاتجاهات، والساحات منها الممتدة في الفجوة تتلاقى عند محورها ( عند محور الفجوة ) وحوله، وتكون هنا متعادلة على طول خط المحور المستقيم الممتد بين المحشر وخارج الكون.

ونعلم أيضاً أن لكل جرم من تلك الأجرام ساحة مغناطيسية ذاكرة في كل الاتجاهات، وقطاعاتُ هذه الساحات المغناطيسية الذاكرة في داخل الفجوة، تتلاقى أيضاً عند محور الفجوة، وتكون متعادلة عند المحور وحوله.

وكذلك الساحات الكهربائية الموجودة في كل جرم، تتلاقى عند محور الفجوة.

إن قوله بوجود هذه الساحات هناك هو مبني على واقعها في وجودها الحالي، ثم على سنن الله سبحانه فيها، وبناءً على عدم وجود نص من الوحي يوحى بتبدلها.

وبناءً على قوله سبحانه: (( وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَنَا زَوْجَيْنِ )) [الذاريات: 49] أستطيع أن أقول، أو أظن أن ساحة رابعة من طبيعة يعلمها الله سبحانه يضيفها سبحانه إلى تلك الساحات الثلاث لتصير أربعة.

ومحصلة هذه الساحات الأربع التي تلتلاقى كلها على طول محور الجسر الفلكي وحوله تشكل فجوة صغرى داخل الفجوة الكبرى وحول محورها الذي هو محور لكليهما، وهي ممتدة على طول الفجوة الكبرى، والله أعلم كم يكون طول قطرها، لكن نستطيع أن نظن أنه مئات الكيلومترات، أو ألفها، وعلمه عند الله سبحانه، وهي الممر فوق الجسر، فوق الصراط، وهذه المحصلة، محصلة الساحات الأربع يمكن أن نسميتها "الساحة الصراطية" أو "الساحة الجسرية".

وقد يعجب بعضهم من قولي "الممر فوق الجسر، أو فوق الصراط" بينما هو حسب الوصف، في قلب الفجوة وعلى طول محورها، في قلب النفق الكوني المحاط من جوانبه بالأجرام المختلفة الحجم، الملتهب بعضها وبعضاها الآخر لم يزل بارداً، ولم يزل الأبعاد بينها أبعاداً فلكية رغم كونها تقارب كثيراً بالنسبة لأبعادها في أول يوم القيمة.

وفي الحقيقة هو، فعلاً، فوق الجسر، فوق الصراط، لأنه كما صار معلوماً لا يوجد في الفضاء الكوني واللانهائي فوق وتحت، ولا يكون هناك فوق ولا تحت إلا بالنسبة لجسم، لكوكب أو نجم يجذب إلى مركزه الأشياء القريبة نسبياً منه.

وفجوتنا هذه محاطة بالأجرام الكونية من كل جانب، بعضها يبعد عن محور الفجوة دقائق ضوئية أو أقل، وبعضها ساعات ضوئية، وبعضها أياماً ضوئية ثم أكثر حتى السنين الضوئية وعشراها ومائتها وما الله أعلم به.

والاتجاه مع اتجاه قوة الجذب هو الاتجاه نحو الأسفل، والاتجاه بعكس قوة الجذب هو الاتجاه نحو الأعلى.

فمثلاً، نحن على سطح الأرض محاطون بجهة العلو، بجهة الأعلى، إحاطة تامة، وجهة الأسفل تتجه نحو نقطة واحدة في مركز الأرض.

بينما هناك، على الصراط، تكون محاطين بجهة الأسفل، بجهة "التحت" إحاطة دائرة حول فجوة واسعة بشكل إسطوانة ممتدة بخط مستقيم، فالتحت هناك يحيط بالجسر من جميع جوانبه الدائرية. والأعلى هناك هو الاتجاه العمودي على المحور نحو أي نقطة من نقاطه (أي من نقاط المحور).

فإذا قلنا إن الجَسْر هو فوق جَهَنَّم، أو على جَهَنَّم، فهو قول صحيح؛ وإذا قلنا إنه بين ظهري جَهَنَّم فهو قول صحيح، وإذا قلنا إنه ممر مستقيم بين أَجْرَام جَهَنَّم المندفعه في طريقها لُطُوي في كتله واحدة، فهو صحيح.

وقد يخطر، هنا، على البال سؤال؟

إن نصوص الْوَحِي تذكر دائمًا جَهَنَّم بصيغة المفرد، بينما نراها الآن مجزأة إلى مليارات مليارات الأَجْزَاء، أَجْزَاء بعضها أَضْخَم من بعض، ومختلف بعض الشيء بعضًا عن بعض! فكيف ذلك؟

والجواب : إن جَهَنَّم في الواقع، هي كتلة واحدة منذ أن خلقها الله سبحانه ((أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّا هُمَا ))[الأَنْبِيَاء: 30]، وبقيت كتلة واحدة زمناً مديداً يعلم الله وحده مدتها (ويُعلَّمُها لمن يشاء سبحانه).

ثم حدثت النسبة العابرة، التي وإن كانت تقاس بعشرات المليارات من السنين الأرضية، أو أكثر، وهو زمن مديد بالنسبة لنا، لكنه بالنسبة لعمر الكتلة يمكن أن يكون كدقيقة واحدة بالنسبة لعمر النسبة ((إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا [6] وَنَرَاهُ قَرِيبًا ))[الْمَعَارِج: 6-7]، ثم تنتهي النسبة وتُطُوي الأَجْرَام وتبقى مطوية إلى الأبد، أو إلى أَبْدٍ قدره الله سبحانه ((هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ...)). إذن فهي كتلة واحدة، كانت وستكون، لذلك، هي بالنسبة للناظرة المحيطة بالوجود زماناً ومكاناً، تشكل وحدة واحدة.

ومثلها في الناظرة الشمولية، كمثل البحار في الأرض، حيث نرى القرآن الكريم يجمع البحار الملحة المحيطة والداخلية في واحدة واحدة، ويجمع المياه العذبة الموزعة بين الأنهر الكثيرة والبحيرات والمياه الجوفية وبخار الماء والسحب في الهواء، في وحدة واحدة ((وَهُوَ الَّذِي مَرَّاجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجُ...)) [الْفَرْقَان: 53].

— لكن، لم يُضرب الصراط؟

يجب أن نعلم، أولاً، أنه من رحمة الله سبحانه ورأفتة بالمؤمنين، وليس من نعمته أو ابتلائه أو امتحانه. وتوضيح ذلك:

يقول سبحانه: ((وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ))[الْتَّكَوِير: 13]، ((وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ )) [اق: 31]

وهذا يعني أن الله سبحانه يقرب كون الجنة من كون الدنيا، حيث المحشر، كما يقربه أيضاً من المحشر ذاته.

والمسافة الآن بين كون الدنيا (الذي هو كون جهنم) وبين كون الجنة هي مسافة ليست فلكية، وإنما هي فوق الفلكية، إنها أبعد ما بين الأكوان، ويمكن أن تفاصي بمئات مليارات الفراسخ الفلكية<sup>(18)</sup> أو بألوافها، وعلمهها عند الله سبحانه وقد يعلمها كثير من الملائكة.

ونحن لا نعرف أين موقعنا من الكون، لكننا، يقيناً لسنا في مركزه.

فمن المعلوم يقيناً أن مجموعتنا الشمسية ليست في مركز المجرة ( مجرتنا ) بل هي تبعد عن مراكزها بحوالي ثلثين ألف سنة ضوئية وتبعد عن طرفها القريب منا بحوالي عشرين ألف سنة ضوئية.

ولا يعرف أين موقع مجرتنا في الكون لكنها يقيناً ليست في مركزه بل هي بعيدة عنه بمسافات يعلمهها الله سبحانه، وقد يعرفها كثير من الملائكة، وظناً، يمكن أن تفاصي هذه المسافات بمئات الملايين من السنين الضوئية<sup>(19)</sup>، أو أكثر.

وهذا يعني أن هناك طرفاً من أطراف الكون (أي من محيطه) هو أقرب إلينا من بقية الأطراف. يقابلها في الجهة الأخرى من الكون، بالنسبة للأرض، طرف هو أبعد الأطراف.

وبناءً على هذا، وبناءً على قوله سبحانه: (( وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلَفَتْ )) و (( وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ )) نعرف أن كون الجنة في ذلك اليوم يكون في جهة طرف كوننا القريب منا، ويكون الصراط أقصر طريق مستقيم، أو نفق كوني مستقيم متندب بين المحشر وبين هذا الطرف القريب.

ولا يكون المحشر في الأرض، بل في كوكب آخر، يمكن أن يكون "عطارد"، وقد مر تفصيل ذلك في كتاب "براهين".

والمسافة بين المحشر وطرف الكون القريب يمكن أن يفاصي بمئات الملايين من السنين الضوئية أو أقل؟؟ وعلمهها عند الله سبحانه.

---

(18) – الفرسخ الفلكي يساوي 3.26 سنة ضوئية، وهو يساوي المسافة التي يجب أن تبتعد عنها عن الأرض لنرى البعد بينها وبين الشمس من زاوية قدرها ثانية واحدة.

(19) – يجب أن نذكر دائماً أن السنة الضوئية ليست زمناً، وليس مقياساً زمنياً، وإنما هي مسافة، إنها وحدة الأبعاد ما بين الشموس وما بين المجرات، وتساوي حوالي 9.46 ترليون كم.

نعود إلى السؤال:

— لم يُضرب الصراط؟

يُضرب الصراط ليكون الجسر الذي ينطلق عليه، أو فيه، الناجون من النار للخروج من كون جهنم إلى فضاء ما بين الكوين، ثم بعد ذلك إلى كون الجنة، كما ينطلق فيه أيضاً الجنميون أو بعضهم الذين يتسلطون في جهنم هنا وهناك، بسبب نقص نورهم أو انعدامه، أو تلاقفهم كلاليبيها النارية.

إن الساحة الصراطية التي هي محصلة الساحات "التجاذبية والكهربائية والمغناطيسية وساحة رابعة علمها عند الله سبحانه" يكون فيها، بأمر من أمره سبحانه خاصية خاصة تجعل المؤمنين والمؤمنات ذوي النور التام يمرون فيها (أو عليها، أو فوقها) كطرف العين، وفئات أخرى من ذوي النور غير التام دون ذلك، وفئات بسرعة الضوء ثم دون ذلك، وفئات كالريح.. وهكذا كل حسب نوره.

لكن، ما هو هذا النور الذي يكون تماماً عند الأنبياء والصديقين والشهداء وثلة من المؤمنين الصالحين، وغير تام عند آخرين حسب درجاتهم في الإيمان والعمل الصالح، ومعدوماً عند من حق عليهم القول من أهل الشرك بالله؟ ما هو هذا النور؟

نعرف وجوده من الآيات الكريمة:

((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَأْكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ...)) [الحديد: 12].

((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمَسُوا نُورًا...)) [الحديد: 13].

((وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ وَنُورٌ هُمْ...)) [الحديد: 19].

((يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمَمْ لَنَا نُورًا...)) [التحريم: 8].

ومما أورده ابن حجر في الفتح ج 11 ص 460:

.. وقع في حديث ابن مسعود: .. "فيعطون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل ودون ذلك، ومثل النخلة ودون ذلك، حتى يكون آخرهم من يعطي نوره على إبهام قد미ه... اهـ.

وفيه نفسه ص 461:

... وفي حديث ابن مسعود: "... ثم يقال لهم: انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كطرف العين ثم كالبرق ثم كالسحاب... الخ". اهـ

إذن، فأهل الجنة، الذين سينجون من النار، يكونون، بأمر من الله سبحانه محاطين بساحة من نور "نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم". وعلم طبيعة هذا النور عند خالقه سبحانه.

وهذه الساحة النورية، إذا وجدت (بأمر من الله سبحانه طبعاً) في شخص موجود في الساحة الصراطية، تجعله ينزلق فيها منطلاقاً، للخروج من الكون باتجاه الجنة، بسرعة متناسبة مع تمام ساحتها النورية أو نقصها.

ولكننا الآن نعرف أن الخروج من الكون، إن كان الانطلاق بسرعة الضوء فهو يحتاج إلى مليارات السنين الأرضية، أما هناك، فأظن أن الذين ينطلقون بسرعة البرق سيكونون من المخدلين في جهنم أثناء انطلاقهم مرات كثيرة، ومع ذلك يبقون منطلقين حتى الخروج من كون الدنيا الذي هو كون جهنم.

لذلك، وبرحمة من الله سبحانه، يكون انطلاق الناجين من النار بسرعة طرف العين، ثم دون ذلك حسب نور المنطلق.

ونكاد سرعة طرف العين أن تكون بلا حدود؟!

فتلاً، هناك مجرة المرأة المسلسلة، وهي تظهر للعين العادية، بشكل سحابة باهتة صغيرة في كوكبة المرأة المسلسلة، وتبعد عنا بأكثر من مليون ونصف من السنين الضوئية، وقد تصل إلى المليونين، لكننا نستطيع أن ننقل طرفاً من الأرض إليها في أقل من ثانية.

أي إن سرعة عيننا هنا، تقترب من مليوني سنة ضوئية في الثانية، وطبعاً يمكن أن تكون أسرع من هذا بكثير.

بناءً على هذه المعطيات المأخوذة من نصوص الوحي ومن واقع سنن الله سبحانه في خلقه التي يسمونها "القوانين الطبيعية" ومن واقع ما عُرف من حقائق الكون، نستطيع أن نظن، أو أن نعتقد:

أن الأنبياء سوف يحتاجون إلى عشرات الثواني، أو إلى دقائق قليلة ليخرجوا من نطاق الكون إلى فضاء ما بين جهنم والجنة (إلى فضاء ما بين الكوين).

وأن الصديقين والشهداء قد يحتاجون إلى عشرات الدقائق أو إلى ساعات قليلة، ثم يأتي الآخرون من الناجين، كل واحد سرعته حسب نوره، حيث يكون من دعائهم. ((ربَّنَا أَنْتَمْ لَنَا نُورٌ نَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).

وحيث يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ((انظُرُونَا نَقْبِسْ مِنْ نُورِكُمْ )) فيقال لهم : ((قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا )) يقولون لهم ذلك لأنهم كانوا في الحياة الدنيا يعيشون معهم بالرياء، فيظنون أنهم سوف يخدعونهم هناك، لكن الأمر هناك الله الواحد القهار الذي لا يغيب عنه شيء في السماوات والأرض وفي أنفسهم.

يقولون لهم: ((انظُرُونَا نَقْبِسْ مِنْ نُورِكُمْ )) فيقال لهم: ((قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا )) حيث لا يوجد نور، وهذا يعني أنهم لا يتقدمون شيئاً في الصراط.

أما طبيعة هذا النور فعلمها عند الله سبحانه، ولا أظنه من طبيعة النور الذي نعرفه الآن في حياتنا الدنيا، والمكون من ضوءونات (أو، فوتونات)، والضوءون مكون من اتحاد كهروب موجب مع كهروب سالب، حيث يصبح معتدل الشحنة، ينطلق بالسرعة المعروفة (300 ألف كم في الثانية)، وهو في انطلاقه يتحرك حركتين حرقة اهتزازية وحرقة انسابية، والحركة الاهتزازية هي التي تفسرها لنا ألوان المتدرجة بين ما فوق البنفسجي (بل ما فوق فوق فوق...) حتى ما تحت الأحمر (أو ما تحت تحت تحت... تحته).

وحينما تجتمع هذه الألوان كلها بالنسبة المتعادلة بينها حسب ما قدره الخالق سبحانه يكون اللون الأبيض، وعندما تزول كلها يكون اللون الأسود.

أقول: لا أظن أن نور المؤمن على الصراط هو مثل هذا النور الذي نعرفه الآن في حياتنا الدنيا، وأظنه نوراً من نوع آخر، إما أن يكون موجوداً الآن في مكان ما في هذا الوجود، في غير طبقتنا السماوية التي نحن جزء منها، أو أن الله سبحانه سوف يخلقه في ذلك اليوم الموعود.

على كل حال، نسأل الله سبحانه أن يكون حظنا منه في ذلك اليوم من أوفر الحظوظ؟

— .. وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة.

أما كون الصراط مدحضة مزلة، فهذا يعرفه أي عارف بأبسط قواعد الهندسة، فهذا الطريق، أو هذه الفجوة المستقيمة المنفرجة بين مئات المليارات من النجوم الملتهبة والباردة، والتي يمكن أن يكون طولها بالغاً مئات الملايين أو المليارات من السنين الضوئية. والسنة الضوئية تساوي حوالي (9.46) تريليون (رباعيأ) كيلومتراً.

هذا الطريق المستقيم بطوله الفلكي. عندما ينطلق فيه منطلق بالسرعة المناسبة ليخرج منه بسرعة يجب أن يكون مساره موازياً لمحور هذا الطريق على طول المسار، وعندما ينحرف عن الموازاة ولو بجزء من ألف مiliار من الدرجة فإنه سوف يصطدم بجسم من الأجرام المحيطة أو سوف يتغلغل في فضاءٍ بين أجرامٍ من تلك الأجرام المحيطة ثم سوف يصطدم بجسم ملتهب أو بارد ثم الغاية جهنم.

والأجرام الباردة سوف تلتهب عندما يُطوى مع الملتهبة.

لن يطول مسیره حتى يصطدم بجسم محيطي أو داخلي، فلو كان انحرافه صغيراً جداً جداً جداً.. حيث اجتاز مسافة مئة سنة ضوئية<sup>(20)</sup> دون أن يصطدم، فإنه سوف يصطدم قبل اجتيازه بضع سنوات ضوئية بعد ذلك أو أكثر قليلاً أو كثيراً.

فهذا هو كون الصراط مدحضة مزلة، وهذا هو معنى كونه أحدَّ من السيف وأدق من الشعرة، بينما هو واسع واسع تمر فيه الزمر تلو الزمر.

ثم الكلاليب من النار التي كشوك السعدان لا يعلم عظمها إلا الله سبحانه، ما هي؟  
أنا لا أعرف السعدان ولا شوكيه.

لكن الكلاليب من النار عُرفت وصُورت، وقد مرّ في كتاب "براھین" عدة صور لبعضها كانت قد أخذت صورها سنة 1947 وبعدها أثناء اندفاعها من باطن الشمس، التي هي (أي الشمس) جزء من جهنم المجزأة الآن إلى مليارات مليارات الأجزاء الملتهب بعضها والبارد بعضها الآخر، والتي تشكل بمجموعها الكون، كون الدنيا والتي ستطوى في اليوم الآخر في كتلة

(20) — السنة الضوئية هي وحدة المسافات الكونية وليس زمناً، وسميت "سنة ضوئية" لأن الضوء يحتاج إلى سنة ليقطعها من أولها إلى آخرها.

واحدة هائلة هائلة كما كانت في بدء خلقها ((يَوْمَ نَطُوي السَّمَاءَ كَطَيِ السَّجْلِ لِكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقَ نُعِيْدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ))[الأنباء: 104]، حيث الأجرام التي كانت باردة، تحول إلى ملتهبة مثل بقية جهنم ((وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ )).

وقد مر بحثها في كتاب "براهين" مع بعض الصور لبعض تلك الكالابيب التي هي (أكبر) اندفاعات نارية تتبثق من داخل الشمس ترتفع في جوها إلى مسافات بعيدة نسبياً، وكان أعلى ارتفاع رصد وصور حتى أواسط القرن العشرين يبلغ حوالي أربعين ألف كيلومتراً، وأننا أعتقد أن هناك في الشمس اندفاعات أعلى من ذلك كما يوجد، طبعاً، اندفاعات أدنى وأدنى حتى تصل إلى شرر كالقصر.

هذا بالنسبة للشمس ذات الحجم الذي يمكن أن يقال عنه إنه عادي بالنسبة لما عرف من النجوم.

أما بالنسبة للشموس العملاقة وفوق العملاقة، فأنا أعتقد أن الاندفاعات الكبرى على سطحها ترتفع إلى ملايين الكيلومترات أو إلى عشرات الملايين، وهذا، طبعاً، مع اندفاعات أصغر وأصغر حتى تصل إلى شرر كالقصر كأنه جمالة صفر.

وإذا كانت الاندفاعات الكبرى على سطح الشمس يمكن أن يصل قطر عمودها إلى ألف الكيلومترات أو أكثر أو أقل، فإني أظن، أو أعتقد أن الاندفاعات الكبرى على سطح الشمس العملاقة وفوق العملاقة يمكن أن يصل قطر عمودها إلى مئات الآلاف من الكيلومترات أو أكثر.

ومدة هذه الاندفاع (أو الكلوب الناري) على سطح الشمس في صعوده حتى يصل إلى أوجه ثم هبوطه بشكل أو باخر حتى يصطدم بسطح الشمس ويفتح فيه فجوة تتناسب سعتها مع عظمها، قد يصل إلى أشهر أرضية أو أكثر، أما استمراريتها فعلمها عند الله سبحانه.

وظناً، أن مدتها على سطح النجم العملاق وفوق العملاق قد تصل إلى سنين كثيرة من السنين الأرضية، وعند الله سبحانه علم استمراريتها.

ويظهر من الأحاديث الشريفة أن هذه الاندفاعات النارية التي سماها الرسول صلى الله عليه وسلم كالابيب من نار، وهي كذلك، هي من سنن الله سبحانه في كون الدنيا التي لن يغيرها سبحانه وتعالى يوم القيمة.

وهكذا، يكون الصراط، أو تلك الفجوة الواسعة المستقيمة التي يقاس طولها بـملايين السنين الضوئية أو بمئات الملايين أو أكثر، تكون ملأى بالاندفاعات النارية المنبعثة من هذا النجم الملتهب أو ذاك أو ذاك، بعضها أكبر من بعض، يجتاز كثير منها محور الفجوة المستقيمة، محور الصراط، محور جسر جهنم.

وقياساً على ما نعرفه الآن من أوضاع النجوم وال مجرات، سوف تكون المسافات في الصراط بين كلاليبها مختلفة، فبعضها يكون بعيداً عن جاره ببعض سنين ضوئية، وبعضها بعشرات السنين الضوئية، وبعضها بمئات ألفها وبمئات ألفها وبملايينها وبأكثر من ذلك، وقد يكون أقل من كل هذا حيث يمكن أن يقاس بـملايين الكيلومترات أو أقل.

وهذا يعني أن المنطلق في الصراط سوف يصطدم بأعداد يعلمها الله سبحانه من تلك الاندفاعات النارية يتخردل فيها من كان من أهلها وتسحبه إلى داخل مصدرها، ويمرق منها الناجون بعد أن يمروا من داخلها، وقد يتخردل (يتمزق) بعضهم من ذوي النور الناقص، ثم يعيده الله سبحانه حتى يخرج من الصراط، أما ذوو النور التام، فيظهر أن الله سبحانه يغير لهم سنته في الاصطدام بالكتلة النارية بحيث يجعلهم ينجون دون أن يشعروا بالألم ودون أن يتخردوا.

وهذا يعني أن كل الذين يمررون في الصراط، حتى الأنبياء، سوف يمررون في هذه الكلاليب، هذه الاندفاعات الجهنمية وهذا هو تأويل قوله سبحانه: ((وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا )) [مريم: 71].

وهذا الجسر، أو الصراط، هو من رحمة الله سبحانه ومن رأفته بالمؤمنين، وليس من غضبه، فهو جسر يهياً لهم لينطلقوا فيه بالسرعة التي تخرجم من كون جهنم.

أما الذين يتخردون (أي يتمزقون أو يتفتتون) عند مرورهم بكلاليب النار، بالاندفاعات النارية المنبعثة هنا وهناك وهنالك، من هذه الشموس أو تلك فهم أصلاً من أهل جهنم، وسيبقون فيها سواءً ضرب هذا الجسر أم لم يضرب، فهو لا يضرهم ولا ينفعهم، ولكنه ينفع أهل الجنة الناجين من النار فقط، لذلك، فهو رحمة وليس نقمة. وطبعاً، الذين يتخردون يجمع الله سبحانه مزقهم التي صارت كحب الخردل أو أصغر، بل تحولت إلى ذرات أو بلازما، ويعيدهم إلى الحياة بالسرعة التي يريد لها سبحانه، لينزقوها العذاب.

وككب الدين حق عليهم القول في جهنم.

ونجا الناجون، وخرجوا من نطاق كون الدنيا الذي هو الكون الجهنمي، إلى فضاء ما بين الكونين، فضاء ما بين جهنم والجنة.

وهنا يأتي السؤال، أو الأسئلة؟

أ — كلاليب النار، شكلها كشوك السعدان، لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله سبحانه. كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الكلاليب وقد كانت الدنيا كلها تجهلها وتتجه كل ما يحيط بها، وتتجه كل ما يمكن أن يؤدي من قريب أو من بعيد إلى توهّمها، ولا أقول إلى تصوّرها؟؟ حتى جاء توسيع المعارف الإنسانية، فرؤيت هذه الكلاليب وصورت<sup>(21)</sup>.

كيف عرف صلى الله عليه وسلم هذا؟

هل يوجد تعليل له إلا أنه وحي من لدن عليم خبير؟؟؟  
لا، لا، لا... لا يوجد أي تعليل إلا أنه وحي من الله سبحانه.

ب — ثم هذا الوصف الدقيق للجسر: "مدحضة مزلة"!

إذ إذا انحرف المنطلق فيه عن الخط المستقيم أقل انحراف يمكن أن يتتصور، ولو كان بزاوية قدرها واحد من مليارات أجزاء من الدرجة، فهو بعد فراسخ فلكية قليلة أو كثيرة، حسب زاوية انحرافه، يبتعد عن المنحى المستقيم المنجي، ويتجه نحو الخروج عن الجسر إلى الهاوية التي يتوجه نحوها، فهو عندما ينحرف عن الصراط المستقيم، فحيثما اتجه فهناك الهاوية. وإن مدحضة مزلة.

هذا الوصف الدقيق لذلك الواقع "مدحضة مزلة"! كيف جاء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم؟

قد يقول قائل: إنه جواب غير مسؤول، أجابه على سؤال كان يجب أن يجب عليه، فنقول: لو كان هذا وحده، بل ولو كان معه أيضاً مثله ثان وثالث ورابع وخامس أيضاً، لقلنا: نعم إنه كذلك.

أما وهو واحد من عشرات كثيرة غالبيتها العظمى نصوص علمية واضحة المنطوق بينة المفهوم كانت الدنيا كلها تجهلها، ومعها نصوص قليلة جداً مثل هذا النص الذي يرد فيه احتمال

(21) — مر تصييلها وصور منها في كتاب "براهين" في مبحث "جهنم" والصور في الصفحتين (18 – 121) من الطبقة الرابعة.

يضعفه إلى جانب الاحتمال الصحيح، ففي هذه الحالة لا يمكن لهذا النص وأمثاله إلا أن يكون صادراً عن عليم خبير يعلم ما يقوله، أوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أن الوجه الصحيح فقط هو المراد من النص، وهو الذي يجب أن نفهمه منه.

كيف؟ كيف؟ كيف؟

ج - ثم هذا التناجم العجيب بين الأوصاف والأحداث التي تذكرها نصوص الوحي من جهة، وبين واقع بناء الكون وسفن الله سبحانه فيه من جهة ثانية!! بحيث عندما نتصور تطبيقها على هذا الواقع، تظهر، كما رأينا آنفًا، منسجمة انسجاماً كاملاً مع الواقع حسب المنطق الرياضي الفيزيائي، أي حسب سفن الله سبحانه في خلفه.

والسؤال: هل كان هذا التناجم والتطابق صدفة، أو ضربة أعمى جاءت على لسان محمد صلى الله عليه وسلم بكل هذه الدقة العلمية؟!

لا، لا، بل هو وحي من لدن عليم خبير، ولا تعليل له بقبله عالم عاقل غير ذلك.

((وَتِلْكَ الْأُمَّالُ نَصَرْبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقُلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ)).

- إن الإنسان لفي خسر -

((وَالْعَصْرٌ [1] إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [2] إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ)) [العصر: 1-3].

نصوص الوحي، بلغتها العربية المبينة الواضحة وبأسلوبها الموجز وكلماتها القليلة، رسمت لنا بوضوح صورة واضحة عن الكون: كيف كان؟ وماذا حدث له؟ وماذا يحدث له؟ وكيف سيكون؟

- كيف كان؟ وماذا حدث له؟:

((أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَا هُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا)).

- ماذا يحدث له بعد ذلك؟:

((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْمَدٍ وَإِنَا لَمُوسِعُونَ)).

- ثم ماذا سيحدث له؟:

((إِذَا زُلْزِلتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا [1] وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا)).

(( إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ [1] وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَرَتْ [2] وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ [3] وَإِذَا الْقُبُورُ  
بُعْثِرَتْ [4]).

(( إِذَا السَّمَاءُ اشْقَطَ [1] وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ [2] وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [3] وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا  
وَتَخَلَّتْ [4] وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ )) [الانشقاق: 1—5].

أقول: كنت قلت في كتاب "براھین" وفي كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن" إن زلزلة الأرض وانفطار السموات... يحدث بسبب التوقف المفاجئ، أو البطء المفاجئ للأجرام الكونية. لكنني، بفضل الله سبحانه انتبهت إلى الآيات: ((وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلٍ مُسْمَى...)) (وقد تكررت هذه الآية في القرآن أربع مرات في أربع سور) – ((وَالشَّمْسُ تَجْرِي  
لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)).

فالآية التي تكررت أربع مرات في القرآن: ((وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلٍ مُسْمَى...)) والآية: ((وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ... )) تبين لنا واحدة من صفات الأجل المسمى؟ فهو المستقر الذي تستقر فيه الشمس فلا تبرحه أبداً.

والحديث الشريف "الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيمة" (وغيره مما في معناه) يبين لنا ما هو ذلك المستقر؟

إنه جهنم، إنه الكتلة الكونية التي طويت كطي السجل للكتب.

هذه الآيات تبين لنا أن الشمس والقمر يجريان، ولا يتوقفان عن الجري إلا في الأجل المسمى، في المستقر الذي تستقران فيه، ومثلهما،طبعاً، بقية الأجرام السماوية.

وهذا يعني أن الأجرام عند نفخة الصور الأولى لا تتوقف عن الجري، وإنما تنتقل فجأة من الجري بسرعات فلكية، إلى الجري بسرعات بطيئة جداً جداً بالنسبة للسرعات الأولى، فتكون زلزلة الساعة العظيمة. نعود إلى موضوعنا.

– ثم بعد ذلك، ماذا سيحدث؟:

(( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِكُتُبٍ كَمَا بَدَلْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ... )) .

حيث تجتمع الأجرام الكونية كلها في كتلة واحدة هي جهنم.

عندما ينفخ في الصور النفخة الثانية تبدأ الأجرام الكونية بالعودة القهقرى في اتجاه مركز الكون، وعندما يبعث الأموات ليعودوا في الحياة الثانية "يوم ينفخ في الصور (النفخة الثانية) فتأتون أفواجاً – ونفخ في الصور (النفخة الثانية) فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسرون".

يبعثون في حياة أبدية لا موت معها ما دامت السماوات والأرض التي تكون قد اجتمعت في كتلة واحدة.

ويبعث الإنسان مع من يبعث، في عمق من أعماق الكون يبعد عن أقرب طرف له من أطراف الكون مئات ملايين السنين الضوئية، أو ألف ملايينها، أو أكثر. وحيث يُبعث في حياة أبدية ليس فيها موت.

وحيث أجرام الكون الملتئبة والباردة آخذة بالتقارب بسرعة قد تكون أسرع من الضوء، حتى تُطوى كطي السجل للكتب، ويكون الإنسان محصوراً في هذا المحيط ينتظر اللحظة التي يهوى بها إلى جرم يقترب منه أو يسحبه كلوب من كالابيه.

إنه المصير الحتمي، إن جهنم وليس غير جهنم. هذا هو واقع الإنسان.

((والْعَصْرِ [1] إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [2])).

لا مجال للخلاص من هذا القدر المحظوم إلا بالخروج من الكون، ولا سبيل إلى هذا الخروج إلا بسلطان.

((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِّي أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ )) [الرحمن: 33].

فما هو هذا السلطان؟

إنه تلك الساحة النورية التي تحيط بالمرء، والتي قضى الله سبحانه أن تكون منبقة أو متحولة من إيمانه وعمله الصالح، والتي طبعها الله سبحانه على الانزلاق في الساحة الصراطية بسرعة تتناسب طرداً مع ضخامتها (مع ضخامة الساحة النورية)، فإن كانت تامة كانت سرعتها بسرعة طرف العين حيث يمكن أن تجتاز في الثانية الواحدة مسافت يمكن أن تقاس بـ ملايين السنين الضوئية أو بـ عشرات ملايينها أو بمئات ملايينها أو أكثر، وإن كانت ناقصة تكون أبطأ بقدر نقصها.

هذا هو واقع الإنسان، إنه مقيد بقيود العجز المطلق داخل هذا الكون ذي الأبعاد الذاهبة في اللانهاية، وعندما يعود إلى الحياة الثانية الأبدية، يعود بعجزه المطلق نفسه، وليس أمامه إلا المصير الرهيب.

إنه الخسر الذي لا مفر منه ولا مخرج، إنه الخسر الأبدى. إلا؟!

(( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ )) حيث يتحول إيمانهم وعملهم الصالح إلى ذلك النور الذي قضى الله سبحانه أن يكون الوسيلة الوحيدة للانزلاق فوق ذلك الجسر الوحيد الذي يصل بين المحشر وبين الفضاء اللانهائي خارج الكون.

ثم من هناك إلى الكون الآخر، كون الجنة.

وهنا، قد يقول قائل: بل إن كثيرين سيقولان لا يوجد إعجاز في هذه الآيات! لأن الأدعية أيضاً يقولون مثل هذا؟ يقولون إن النجاح في دعوتهم والخسر في البعد عنها. والجواب:

— لو كانت هذه الآيات وحدها في القرآن وصحيح السنة، بل لو كانت معها أيضاً مثلها (في الدرجة) ثانية وثالثة ورابعة وخامسة أيضاً، لقلنا مثل قول المعارضين، لكن، عندما نرى خضم الآيات العلمية بلغتها العربية الواضحة المبينة، ودلالاتها على حقائق كونية ونفسية كانت الدنيا كلها تجهلها، وبقيت تجهلها بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر من ألف سنة، ونرى معها الآيات التي تصور ما سيحدث للكون تصويراً يتواافق بدقة مع ما صار معروفاً بيقين من واقع الكون وواقع سنته، ثم تأتي هذه الآيات ((إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ...)) لتجمل واقع الإنسان في هذا الكون ومصيره بجملتين ((إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ )) ثم نرى التطبيق العملي الذي يمكن أن يتصوره الفكر العلمي المستند إلى الواقع وإلى سنن الله سبحانه في خلقه (لا إلى ألوهام) نراه منسجماً تماماً مع نصوص الولي !!

عندما نرى ذلك كله، نرى أن هاتين الآيتين لا يمكن أن تكونا بوضعها المذكور، إلا وحيًا من لدن عليم خبير.

طبعاً، لا حيلة لأي منطق، ولا لأي آية ألم العnad المستكبار أو الاستكبار العنيد.

(( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ))

## أبواب جهنم

يقول سبحانه:

(( وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ [43] لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ))  
[الحجر: 43 – 44].

(( فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِسْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ )) [النحل: 29].

(( قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثوى المتكبرين )) [الزمر: 72].

(( قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثوى المتكبرين )) [غافر: 76].

من البدهي الذي لا يحتاج إلى دليل أن أبواب جهنم هي المداخل التي يدخل منها أهل جهنم إلى جهنم، ومع ذلك، وتأكيداً لتأكيد، وزيادة في توكيد التوكيد، أوردت الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك: (( فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا )) . وكل باب من أبوابها السبعة له جزء مقسوم من أهلها (من أهل جهنم) يدخلون منه (( لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ )) .

و قبل كل شيء، يجب أن نعلم، أو نتذكر أننا هنا أمام أجرام كونية بعضها أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة، وبعضها أكبر منها بعشرات الملايين من المرات، وبعضها أكبر بمئات الملايين وبعضها أكبر وبعضها أصغر، وكلها سوف تطوى كطي السجل للكتب لتكون كتلة واحدة كما كانت عند بدء خلقها.

وأبواب جهنم ليست كما تتصورها العقول الفاسدة التي تتبثق في تصوراتها من واقع حياتنا في هذه الدنيا، وليس كما كانت تصورها الصحف الماركسية كاريكاتوريًا استهزاءً بالأطروحة الإسلامية، ولا كما تصورها لنا الإسرائييليات التي تسربت إلينا وقبلها كثيرون منا والتي نرى بعضها، او كلها في كتب التفسير وغير كتب التفسير؟

إنما هي أبواب تتوافق بأشكالها وطبعها واتساعاتها مع الواقع الكوني لجهنم المفتوحة الآن إلى مليارات الأجرام وملحقات الأجرام وغيرها.

ولقد بيّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الأبواب التي يدخل منها أهل جهنم إلى جهنم في أحاديث مرت في فصل سابق وأعيدها هنا أيضاً:

قال صلى الله عليه وسلم: "ويُضرب جَسْر جَهَنَّم.. وبه كَلَالِيب مثُل شوَّك السَّعْدَان.. غير أنه لا يعلم عظمها إلا الله فتختطف الناس بأعمالهم.." .

".. ويُضرب الصِّرَاط بين ظهري جَهَنَّم.. وفي جَهَنَّم كَلَالِيب مثُل شوَّك السَّعْدَان.. غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تختطف الناس بأعمالهم.." .

".. وفي حافتي الصِّرَاط كَلَالِيب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به.." .

في هذه النصوص الواضحة يصف لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أحد المداخل إلى جَهَنَّم والتي هي الكَلَالِيب النارية العظيمة الضخامة التي تختطف الناس بأعمالهم.

إذن، فهذه الكَلَالِيب هي مداخل إلى جَهَنَّم، فهي أبواب لها. ولم يحدّد الرسول صلى الله عليه وسلم عدد هذه الكَلَالِيب، والمفهوم من النصوص بوضوح أنها كثيرة كثيرة وليس سبعة كَلَالِيب!

وأكرر ذكر الآية: ((لَهَا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ )) مع الحديث الوارد قبل أسطر "كَلَالِيب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به" أي بأخذ جزئها المقسوم.

والصِّرَاط كما أخبرنا الحديث الشريف هو جسر على جَهَنَّم، أو بين ظهريها، وهو يمر بمئات الملايين من الشموس الملتهبة، أو بالمليارات وكَلَالِيب النار منتشرة بأعداد يعلمهها الله سبحانه في كل جزء من أجزاء جَهَنَّم، التي هي الشموس قبل أن تُطوى على بعضها في الكتلة الأبدية. فلو وُجد في كل ألف شمس كَلَوب واحد يصل إلى أعلى الجسر، لكان في الجَسْر مئات الآلاف، أو الملايين من كَلَالِيب المأمورة بأخذ من أمرت بأخذها. فعددها، على الأقل، بمئات الآلاف، وليس سبعة، ولكنها كلها من نوع واحد وعمل واحد، وكلها مدخل إلى جَهَنَّم متشابهة.

ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم عندما يقول إن لجَهَنَّم سبعة أبواب، فهو لا يعني بذلك عدد أفرادها، وإنما يعني عدد أنواعها.

وكَلَالِيب هي واحد من تلك الأنواع السبعة، بَيْنَها لنا الحديث الشريف بوضوح.

وـالـكـلـوـبـ الـذـيـ لاـ يـعـلمـ مـقـدـارـ عـظـمـهـ إـلـاـ اللـهـ سـبـحـانـهـ (ـكـمـاـ يـقـولـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ)ـ يـمـكـنـ أـنـ يكونـ قـطـرـ بـعـضـهـ بـقـدـرـ قـطـرـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ،ـ وـبـعـضـهـ أـصـغـرـ،ـ وـبـعـضـهـ أـكـبـرـ بـمـرـاتـ أـوـ بـعـشـراتـ المـرـاتـ أـوـ أـكـثـرـ..ـ وـقـدـ يـرـتـقـعـ (ـكـمـاـ رـأـيـنـاـ قـبـلـ قـلـيلـ)ـ إـلـىـ مـئـاتـ الـأـلـفـ مـنـ الـكـيـلـوـمـتـرـاتـ أـوـ إـلـىـ مـلـاـيـنـهـ،ـ وـعـنـدـمـاـ يـهـوـيـ وـيـصـلـ إـلـىـ سـطـحـ النـجـمـ الـمـلـهـبـ الـمـائـعـ يـفـتـحـ فـوـهـةـ فـيـ سـطـحـهـ وـيـنـدـفـعـ فـيـ

داخله إلى أعمق بعيدة يعلمها الله سبحانه، لكن يمكن أن نقدرها بألف الكيلومترات، أو بعشرات ألفها أو مئاتها.. حسب عظم الكلوب.

وطبعاً، يبقى الموقون فيها معها في هذا الولوج داخل جهنم.

هذه الفوهات وكلاليبها هي النوع الأول من أبواب جهنم وقد بينه لنا الحديث الشريف.

وهناك نوع ثانٍ من أبواب جهنم عُرف من دراسة سطح الشمس برصدها بالمنظير الخاصة في الحالات العادية؟ وبأي نظارة فلكية أثناء كسوفها الكلي أو القريب من الكلي.

إنها ما سُمِّوه "الكلف الشمسية"، أو البقع الشمسية وهي بقع مظلمة نسبياً، تصل من الكبر أحياً بحيث يمكن رؤيتها بالعين المجردة من خلال زجاجة ملونة، وهي انخفاضات في سطح الشمس يحدث فيها امتصاص للغازات. وقد لوحظ أن هذه البقع مراكز لدوانات عنيفة تظهر فيها الحركة الحلوונית للغازات بوضوح قربها، مما يدل على أنها تُمتص إلى داخلها، وهذا هو الشهيق الذي يخبرنا عنه القرآن الكريم ((إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ))[الملك: 7]، ونستطيع أن نتصور شدته إذا علمنا أن متوسط سعة البقعة قد يصل إلى (40) ألف كيلومتراً مربعاً. أما البقعة الكبرى فقد تجاوزها بملايين المرات، حتى إنه بالمستطاع سماع شهيقها على ارتفاع 250 – 350 كم عن الأرض بواسطة آلات الرصد.

ومن قوله سبحانه: ((إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ )) نعلم أن هذا الشهيق هو من السنن التي لن يغيرها الله سبحانه يوم القيمة.

وعندما سُئل صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَسْرِ، قَالَ: "مَدْحُضَةٌ مَزَّلَةٌ" فَكَيْفَ ذَلِكَ؟

إذا زلَّ الموقِّع أثناه انطلاقه عبر الجسر عن الخط المستقيم ولو جزءاً من مليارات أجزاء الدرجة، فسيأخذ بالابتعاد عن محور الصراط شيئاً فشيئاً مقترباً إلى حيث تأثير جاذبية الأجرام المحيطة بالجسر، حتى إذا دخل في جاذبية أحد الأجرام، وهنا تهمنا الملتهبة منها، جذبه هذا الجرم ليهوي فيه حيث تتلقفه الغازات المحيطة به والتي قد يبلغ سمكها ملايين الكيلو مرات، وقد تزيد، والتي قد تبلغ سرعة رياحها مليون كيلومتر في الساعة أو أكثر، فتحرف هذه الرياح خط سقوطه بسحبها إياه معها، ويحصل له من الأحوال ما يحصل لأي جسم يسقط مثل ذلك السقوط، وهي مناظر أرعب من أن يقال لها رهيبة، حتى إذا اقتراب من إحدى البقع الموجودة في تلك الشمس، حيث تتجنب الغازات من حولها إلى داخلها بشدة أشد من شديدة، فینجذب معها ليدخل في أعمق ذلك الجزء من جهنم إلى الأعماق التي قدرها الله سبحانه له حسب سيئات أعماله.

وبما أنه يوجد في كل شمس عدد من البقع، لذلك يكون في الشموس المحيطة بالصراط ميلارات البقع، يدخل في كل منها من قدره الله سبحانه لها.

هذا هو النوع الثاني من أبواب جهنم الذي صار الآن معلوماً علم اليقين.

أما بقية الأبواب فعلمها عند الله سبحانه، ومع توسيع المعارف الإنسانية، فقد يُعرف بعضها أو كلها. أعادنا الله سبحانه منها.

وإنني أعتقد أنها ستُعرف كلها مع اتساع المعارف الإنسانية، وأبني اعتقادي هذا على قوله سبحانه: ((سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)) وعلى قوله سبحانه أيضاً: ((وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاهَ بَعْدَ حِينٍ)). وهذان النصان (وهناك غيرهما) يدللان بوضوح أن كل آيات القرآن ستُصبح معلومة علم اليقين في هذه الدنيا، قبل يوم القيمة. والذي يهمنا هنا منها هو آيات الآفاق والأنفس.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَأَمْثَالُهَا هِيَ الْآيَاتُ الْمُتَشَابِهَةُ، أَوْ التِيْ كَانَتْ مُتَشَابِهَةً، ثُمَّ عِنْدَمَا يُعْلَمُ عِلْمُ نَبَأٍ  
الْقُرْآنَ تَغْدُو مُحْكَمَةً، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

و هنا قد يقول قائل: هناك احتمالان في السبعة أبواب أن تكون سبعة أفراد:  
الأول: عندما تنتهي النسبة الكونية العابرة وتطوى السماوات في كتلة واحدة جهنمية،  
يسكون بهذه الكتلة سبعة أبواب أفراد.

الثاني: يمكن أن يكون موجوداً الآن في مركز الكون جرم ملتهب حجمه أكبر من حجم الشمس بترليونات المرات أو بعشرات الترليونات أو أكثر، وهذا الجرم يكون هو جهنم الأم التي تأوي إليها بعد يوم القيمة كل الأجرام الكونية، وأن هذا الجرم هو الذي له سبعة أبواب أفراد، وهو الذي تطبق عليه عبارة "أسفل سافلين".

والجواب: في الواقع، مثل هذا هو ما يمكن فهمه مباشرة من النص لكن الذي يجعلني لا أخذ به هو قوله سبحانه: ((سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)) وقوله سبحانه: ((وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاهَ بَعْدَ حِينٍ ))، وهذا يعني أننا ستعلم علم آيات القرآن ونراها في هذه الدنيا حتى يتبين لنا وللنبي كلها أن القرآن هو الحق.

وهذا المعنى الذي يمكن أن يفهم مباشرة من النص، أي لها سبعة أبواب أفراد، لا يمكن أن يعلم عنه شيء في حياتنا الدنيا ولا يمكن أن يراه أحد من بني البشر، وبناء على هذا لا يكون هو المعنى المقصود.

ويكون المعنى المقصود هو ما يمكن رؤيته أو علمه في هذه الحياة، وهو ما ذهبنا إليه، والذي علم منه علم اليقين نوعان، هما اللذان ذكرنا آنفًا. والعلم عند الله سبحانه. وإلى جانب هاتين الآيتين يوجد أيضًا ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد مداخل جهنم بوضوح كامل، وهي الكلايلب.

وإذا فهمنا أن أبواب جهنم هي المداخل التي يدخل منها إلى جهنم، عندئذ تكون هذه الكلايلب، أو الفوهات التي تفتح بسبب سقوطها هي من أبواب جهنم.

وفي جميع الأحوال، نسأل الله سبحانه أن يعيذنا منها و يجعلنا من الناجين.

(( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) .

### ما بعد الجسر

سلم الله سبحانه و عبرنا الجسر بسلام، و خرجنا من نطاق كون الدنيا الذي هو جهنم، فماذا هناك؟

قبل كل شيء يجب ألا ننسى أبداً أننا أمام أبعاد فلكية، وحدة الطول فيها هي السنة الضوئية أو الفرسخ الفلكي، و الفرسخ الفلكي يساوي (3.26) سنة ضوئية.

ويجب ألا ننسى أيضاً أن السنة الضوئية هي وحدة طول، وحدة مسافة، وسميت سنة ضوئية لأن الضوء بسرعته يحتاج لكي يجتازها إلى سنة من سني الأرض في الدنيا، بينما قد يقطعها جبريل عليه السلام بثانية أو أقل، كما يحتاج الصوت إلى أكثر من (950) ألف سنة، أي ما يقرب من مليون سنة أرضية للكي يجتازها.

وظناً، وقياساً على أبعاد ما بين الشموس ثم على أبعاد ما بين المجرات، أستطيع أن أظن أن البعد بين كون الدنيا و كون الجنة يمكن أن يقايس بألف كثيرة من مليارات السنين الضوئية، أو الفراسخ الفلكية.

أما في ذلك اليوم الموعود، يوم القيمة، عندما تكون الجنة قد أزلفت ((وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ  
لِلْمُتَّقِينَ)) – ((وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلَفَتْ)) فسيقتربان من بعضها كثيراً كثيراً بما لا يعلمه الآن إلا الله  
سبحانه.

وخرج الناجون من نطاق الجهنمي إلى فضاء ما بين جهنم والجنة، فماذا يحدث لهم؟

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: .. يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة  
بين الجنة والنار، فيقتصر لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا... .

فما هي هذه القنطرة في تلك الأبعاد السحرية السحرية..؟؟

إنها أجرام تظهر وكأنها تائهة في ذلك الفضاء الممتد في اللانهاية، ويظهر من الحديث  
الشريف أنها أجرام باردة تلك التي يحبسون عليها، وقد يكون إلى جانبها أجرام ملتهبة، وقد تكون  
مفرودة، وقد تكون جزءاً من مجرة صغيرة أو كبيرة؟ نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يرونها  
عين اليقн.

ويظهر أن الأعراف التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة الأعراف، هي هذه  
الأجرام.

هذه القنطرة، أو هذه الأعراف تشكل للناجين من النار محطة استراحة وتصفية حساب، ثم  
يساقون إلى الجنة زمراً.

((حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين ))  
[الزمر: 73].

بالنظر السريعة إلى هذه الآية وإلى الآية السابقة لها ((وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً  
حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل ... )) نرى أن حرف الواو  
أضيف في هذه الآية قبل كلمة "فتحت"!  
فالآية السابقة تقول: ((... حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها)).

وهذه الآية تقول: ((... حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها...)). فما هي الدلالة في هذه الواو؟  
نقرأ قوله في ذلك من تفسير ابن كثير، يقول في : ((... حتى إذا جاءوها فتحت  
أبوابها...)): أي بمفرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة..اهـ

وفي ((...حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا..)) يقول: لم يذكر الجواب هنا (أي جواب إذا): وتقديره: حتى إذا جاؤوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراماً وتعظيمها وتلقفهم الملائكة... فتقديره: إذا كان هذا سعدوا وطابوا وسرروا.. وإذا حذف الجواب هنا هنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل. ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى: (وفتحت أبوابها) واو الثمانية<sup>(22)</sup> واستدل بها على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع... اهـ.

أقول (المؤلف): إن هذه الواو هي حرف عطف تعطف جملة على جملة، وتقدير الكلام: "حتى إذا جاؤوها وحتى إذا فتحت أبوابها" وهذا يعني أن هناك ترتيباً قبل دخول الجنة! فلم هذا الترتيب؟

أقول: قياساً على ما نراه في دنيانا من الزوجية في المخلوقات، حيث يرى الذكر والأنثى، والوجب والسالب، والنواة والكهروب.. وبقية الأزواج وقد طبع الله سبحانه في كل زوجين من هذه الأزواج طبيعتين متشابهتين، معهما طبيعتان غير متشابهتين، وإنما متكاملتان.

وبما أن كون الدنيا وكون الجنة هما زوجان في الفضاء اللانهائي، ونعلم من الوحي علم اليقين أنهما غير متشابهين وإنما هما متكاملان، وقياساً على أزواج الدنيا، نستطيع أن نظن، لكنه ظن قوي، أن الذرات في أحدهما لا تشبه الذرات في الآخر.

وكون الجنة هو مثل كون الدنيا، من مخلوقات الله سبحانه، والتفكير في مخلوقاته سبحانه مطلوب منا، والوصول في هذا التفكير إلى تصور أو إلى حكم ما، لا إثم فيه إلا إن كان مخالفًا لنص من الوحي، أما إن كان مخالفًا لسنة من سنن الله سبحانه في خلقه فهو هذيان.. إن كان قائله من أهل هذا العصر، عصر توسيع المعارف الإنسانية، أما إن كان من أهل القرون السابقة فهو معذور لأنهم، وكل أهل الدنيا، كانوا يجهلون كل الحقائق التي صارت الآن معروفة بيقين.

بناءً على كل هذا أستطيع أن أظن أن الذرات في كون الجنة تختلف في تركيبها عن الذرات في كون الدنيا، ففي كون الدنيا تكون الشحنة الموجبة في نوى الذرات، والسالبة في

---

(22) — اعتاد العرب أن يضيفوا حرف الواو إلى كلمة "ثمانية" فإذا عذوا قالوا: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، تسعه، عشرة، أحد عشر... سبعة عشر، وثمانية عشر، تسعة عشر.. ستة وعشرون، وبسبعين، وثمانية وعشرون، تسعه وعشرون، ثلاثون.. الخ. وقد سمى النحويون هذه الواو "و او الثمانية"، ومنها الآية القرآنية: ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَّجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ ..)).

الكهارب التي تدور حولها، بينما في كون الجنة تكون النوى سالبة الشحنة، بينما تكون الشحنة الموجبة في الكهارب التي تدور حولها.

هذا ظن، أما اليقين فهو أن طبيعة المادة في كون الجنة تختلف عنها في كون الدنيا، نعرف هذا قياساً على ما نعرفه من الفروق بين كل زوجين في كون الدنيا، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، بناء على حديث يرويه ابن عباس رضي الله عنهم، وهو في حكم المرفوع، يقول: "ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء" ثم بناءً على اختلاف الأوصاف الواردة في القرآن و السنة.

وبناءً على هذا كله، نستطيع أن نخمن سبب الترثي الذي يسبق مباشرة دخول كون الجنة؟ إنها عملية تجري، حسب تقدير الله سبحانه ويرادته، لهؤلاء البشر الذين لم تزل أجسامهم ذات طبيعة دنيوية، تحول فيها هذه الطبيعة إلى الطبيعة التي عليها كون الجنة، ثم يدخلون. والعلم عند الله سبحانه.

وَهُنَا يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَأْنِسُ بِحَدِيثَيْنِ، أَنْقُلُ أَوْلَاهُمَا مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ لِآيَةٍ: ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا)) يَقُولُ:

... وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حاتماً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: (( وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمِرًا )) قال سبقوها حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا إلى أحداها فتطهروا فيها فجرت عليهم نصرة النعيم... ثم عمدوا إلى الأخرى كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى..

ثم قال (أبي ابن أبي حاتم) حدثنا أبو غسان عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ... فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إداهما فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً.. إلخ، اهـ

يُعلق ابن كثير عليه بقوله: هذا حديث غريب وكأنه مرسى والله أعلم.

يهمنا من هذا النص قوله بوجود عينين خارج الجنة يغسلون من إحداهما ويشربون من الأخرى ثم يدخلون الجنة.

وفي صحيح البخاري.. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول صلى الله عليه وسلم: " .. وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً.. فيخرجون من النار وقد امتحنوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تبت الحبة في حميل السيل..." اهـ

وفي صحيح مسلم: "... أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس..." اهـ.

يهمنا من هذه الأحاديث وجود نهر أو ماء يغتسلون به قبل ولو جهنم الجنة. ويمكن أن نستأنس بها بقولنا إن عملية تجاري لتغيير البشر من طبيعتهم الأولية التي هي من جنس طبيعة كون الدنيا إلى الطبيعة الجديدة التي هي من جنس طبيعة كون الجنة.

ولا تفتح لهم أبواب الجنة حتى تتحول طبيعة أجسامهم التي كانوا عليها في كون الدنيا إلى الطبيعة التي تلائم الحياة في كون الجنة، ثم يدخلون الجنة.

وقد قلت آنفًا "ستأنس" بهذه الأحاديث، ولم أقل نبني عليها جازمين، وذلك لأن حديثي البخاري ومسلم يتكلمان عن قوم يخرجون من النار وقد امتحنوا، واحتمال وارد أن يكون وضعهم مختلفاً عن وضع الناجين أصلاً من جهنم. أما الحديث (أو الحديثان) المنقولان عن ابن أبي حاتم فيقول ابن كثير عنه إنه غريب وكأنه مرسل، ثم فيه من التناقض مع نصوص القرآن الكريم وصحيح السنة ما سنراه في مبحث لاحق.

ولذلك يُستأنس بهما ولا يُبني عليهما.

## الجنة

(( وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ [12] وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلَفَتْ )) [التكوير: 12 - 13].

(( وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَقْبِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ )) [اق: 31].

المطلب من هذه الآيات هو قوله سبحانه: (( وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَقْبِينَ .. )) و (( وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلَفَتْ )) .

ومعناهما واحد هو أن الجنة سوف تُدنى وتُقرَّب. وطبعاً سوف يستفيد من دنوها من هم من أهلها، أما أهل النار فهم عنها مبعدون.

إن العجيب في هاتين الآيتين هو التوافق العجيب بين الواقع الذي كانت الدنيا كلها تجهله جهلاً كاملاً، واقع الكون الذي نحن الآن جزء منه، مع واقع كون الجنة الذي هو الرفيق، أو الرفيق الأسمى لكون الدنيا، الذي يجهله كل أهل الأرض حتى الآن، وقد يبقى مجهولاً إلى زمن يعلم الله سبحانه.

هو واقع معلوم مجهول، فالملعون هو ما صرنا الآن نعلم عن كون الدنيا وهو كثير بالنسبة لنا، وأقل من قليل بكثير بالنسبة للكون، والمجهول هو ما نجهله حتى الآن من كون الدنيا وهو كثير كثير، ومن كون الجنة الذي لا نعلم عنه إلا ما نزل به الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، وما يمكن أن تستتبه من ربط بعض نصوص الوحي ببعض آخر.

قلت: إن العجيب هو التوافق العجيب بين هذا الواقع المعلوم المجهول مع قوانينه المعلومة وبين ما تذكره الآية، أو الآيات، من أن الجنة سوف تُزَل يوم القيمة.

وتقسيل هذا التوافق العجيب:

نقرأ قوله سبحانه: ((سَابِقُوا إِلَيْ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) [الحديد: 21].

((وَسَارِعُوا إِلَيْ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)) [آل عمران: 133].

إننا نعلم من نصوص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الاكتشافات التي نجمت عن البحوث الكثيرة التي قام بها العلماء المختصون، أن الكون في توسيع مستمر ((وَالسَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدِٰ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)) وهو توسيع بسرعات قد تصل إلى سرعة الضوء وقد تزيد عنه.

وعندما نزل القرآن ونزل فيه ((...وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...)) و ((وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ...)) كان الأمر كذلك في ذلك الوقت، أي إن الكونين كانوا متساوياً في الأبعاد في زمن نزول القرآن.

ونحن الآن نقرأ ونعلم أنهما صحيحتان أيضاً، والكون والجنة متساويان.

وهذا يعني بكل وضوح أن كون الجنة أيضاً يتسع بالسرعة التي يتسع بها كون الدنيا.

وبناءً على سنن الله سبحانه التي صارت معلومة، نعرف أن هذا التوسيع للكونين يجعلهما يقتربان من بعضهما في الثانية الواحدة ضعف سرعة الضوء أو أكثر، وهذا يعني أنهما سوف يلتقيان، أو سوف يقتربان من بعضهما قريباً يحدث، حسب سنة الله تعالى في خلقه التي لا تبدل لها، خللاً في أنظمتها، هذا إن لم يلتقيا ويتداخلاً حيث يكون ما يعلمه الله سبحانه من خل أو من دمار.

وسيكون هذا من أحداث الكون الكبرى، التي هي: كونه في البدء كتلة واحدة، ثم فُتق، ثم هو في توسيع مستمر، ثم انتهاء هذا التوسيع بغترة وما يحدث لأجرامه عندما ينتهي فجأة ذلك التوسيع، ثم عودة أجرامه لتجتمع في كتلة واحدة كما كانت في البدء.

لقد ذكر القرآن الكريم كل هذه الأحداث الكبرى، الماضية والحاضرة والآتية، فلو كان ذلك الخل والدمار الناتجان عن تقارب الكونين أو التقائهما قد حصل، أو سيحصل، لذكره القرآن مع ما ذكر من هذه الأحداث الكبرى، لأنه سيكون واحداً منها.

ومن هنا نعلم أن الكونين يبتعدان عن بعضهما كل ثانية بعدها يتناسب مع توسيعهما بحيث تبقى المسافة بينهما ثابتة أو متناسبة مع توسيعهما، وهذا مما تقتضيه القوانين الطبيعية المعروفة التي هي من سنن الله سبحانه في خلقه.

وبما أن كون الدنيا (أو كون جهنم) وكون الجنة يشكلان المزدوجة الكونية في اللانهاية، نعرف ذلك مع قوله تعالى: (( وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ )) [الذاريات: 49].

ومن التماثل بين الأرض وكون الدنيا (السماءات السبع) الذي تقرره الآية ((اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبَعَ سَمَوَاتٍ وَمَنْ الْأَرْضُ مِثْلُهُنَّ .. )) [الطلاق: 12] نعرف أن الكون (كون الدنيا) وكون الجنة يدوران حول بعضهما، كما تدور الأرض والشمس حول بعضهما.

— (استطراد): قد يعجب القارئ من عبارة "تدور الأرض والشمس حول بعضهما" لأن الظاهر أن الأرض هي التي تدور حول الشمس.

لكن الواقع هو أن الأرض والشمس تدوران حول مركز مشترك بينهما تحدهه المعادلة التالية التي يجب أن يضاف إليها تأثير نوابع الشمس الأخرى (ولا نهمنا هنا):  
نرمز لكتلة الأرض بـ (ك ض). ولمركزها بـ (م ض).  
ولكتلة الشمس بـ (ك س). ولمركزها بـ (م س).

فتكون المعادلة:

$k \cdot s \times \text{المسافة بين م و المركز المشترك} = k \cdot s \times \text{المسافة بين م و المركز}$   
المشترك.

وبعملية حسابية نرى أن هذا المركز المشترك يقع قريباً جداً من مركز الشمس، حيث يكون البعد بينهما يحوم حول مئة كيلومتراً قد تزيد وقد تنقص، وهي مسافة تكون، حسب الظاهر، مهملة بالنسبة لكتلة الشمس الهائلة.

والعملية الحسابية المطلوبة حسب المعادلة المذكورة هي عملية بسيطة لو كانت الأرض وحدها هي التي تدور حول الشمس، لكن تأثير توابع الشمس الأخرى يعقدها ويجعل البعد بين مركز الشمس ومركز الدوران المشترك متذبذباً تذبذباً يسيراً جداً يمكن إهماله.

— ثم، لا بأس من أن نعرف بشيء من التفصيل، كيف عرفنا أن كون الدنيا وكون الجنة يدوران حول بعضهما، أو يدور أخفهما كتلة حول أثقلهما.

بناءً على القاعدة "التعيم ولا تخصيص إلا بدليل" التي التزم بها في فهم نصوص الوحي، أفهم من الآية ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الارْضِ مِتْلِهِنَ)) أن هذه المثلية بين الكون وبين الأرض هي مثالية شاملة. منها مثيلات معروفة هي:

— الكون ذو سبع طبقات أو سماوات، والأرض مثله ذات سبع طبقات.

— الطبقة الأرضية مؤلفة من كتل مختلفة الحجوم، والكون مثلها مؤلف من كتل مختلفة الحجوم هي المجرات.

— الكتل الأرضية مؤلفة من ذرات، كل ذرة مؤلفة من نواة تدور حولها كهارب.

— المجرات مؤلفة من مجموعات شمسية بمثابة الذرات، والمجموعة الشمسية مؤلفة من شمس هي بمثابة النواة، تدور حولها توابعها بمثابة الكهارب.

— في الذرات، طبيعة النواة تختلف عن طبيعة الكهارب. وفي المجموعة الشمسية، طبيعة الشمس تختلف عن طبيعة التابع.

— الأبعاد بين الذرات بالنسبة لكتلها المختلفة وحجومها المختلفة هي مثل الأبعاد بين المجموعات الشمسية بالنسبة لكتلها وحجومها المختلفة.

— وكذلك الأبعاد في الذرات بين النوى والكهارب بالنسبة لكتلها وحجومها المختلفة، هي مثل الأبعاد بين الشموس وتواجدها بالنسبة لكتلها المختلفة وحجومها.

وهناك تماثلات لم تكتشف بعد، نستطيع أن نعرفها بناءً على المفهوم الشامل للمثلية بين السماوات السبع (الكون) وبين الأرض، هي:

— بما أن الأرض كروية، إذن فالكون (السماوات السبع) مثلاً كروي.

— الطبقتان المحيطيتان من الكون (أي السماء السادسة والسابعة) هما مثل الطبقتين المحيطيتين من الأرض (الطبقة المائية والطبقة الهوائية، غير مؤلفتين من كتل وإنما السادسة من مائة والسابعة من غازات) والعلم عند الله سبحانه، ويعلمه أيضاً العاقلون من مخلوقات الله سبحانه الموجودون في تلك السماوات.

— بما أن الأرض تدور حول الشمس، أو تدوران حول بعضهما، فيكون الكون الأدنى (السماوات السبع) يدور حول كون الجنة إن كان أخف منها كتلة أو العكس، أو يدوران حول بعضهما إن كانت كتلتاهم متساوين أو متقاربين..

\*بها نعرف، أو — على الأقل — نظن، لكنه ظن قوي، أن الكون الأدنى يدور حول كون الجنة أو حول مركز مشترك بينهما، أو العكس.

— وحالة خاصة أخرجها القرآن من المثلية، وذلك في الآيتين: (( وجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .. )) و (( وجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ .. )) بينما عرض الأرض هو أصغر من عرض الشمس بكثير كثير.

\*وهنا ملاحظة يجب الانتباه لها:

يظن البعض أن كلمة "عرض" في الآيتين المذكورتين تعني أن هناك طولاً، وهذا خلط، لأن من معاني كلمة "عرض" السعة، ويكون المعنى في الآيتين "جنة سعتها كسعة السماء والأرض"، والكون كروي ليس له طول وعرض.

— وحالة خاصة ثانية أخرجها القرآن من المثلية، وذلك في آيتين:

الآية الأولى هي (( وَالسَّمَاءَ بَنَيَنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ )) التي تدل على أن الكون في توسيع مستمر، والآية الثانية، أو الآيتان هما: (( أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

أطْرَافُهَا..)) و ((أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتَيْ الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ..)) وهذا يعني أن الأرض تتناقص.

فالكون يتتوسّع، والأرض تنقص.

إن هذه المعطيات المستتبطة من آيات القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من مقابلة آياته ببعضها، تدلنا على أن كون الجنة وكون الدنيا هما في تباعد مستمر عن بعضهما.

ومن الحقائق المكتشفة عن واقع الكون، ومن السنن الإلهية المهيمنة، نعرف أن البعد بين الكونين، أو بين طرفيهما هو كبير كبير.. يمكن أن يقاس بمئات المليارات من السنين الضوئية، أو بالأحرى، من الفراسخ الفلكية، أو بألف مiliarاتها، أو أكثر، وعلم ذلك عند الله سبحانه أو عند من شاء أن يعلمه من مخلوقاته.

وو يوم القيمة، عندما يأخذ الكون الأدنى (الكون الدنيا) بالانقلاب بتراجع أجرامه لتجتمع في كتلة واحدة كما خلقها الخالق سبحانه في البدء، حيث يتضاعف البعد بين الكونين، حينئذ يأمر الله سبحانه كون الجنة وكون الدنيا بالتقارب من بعضهما، ليجعل الجنة قريبة من المتقين حسب تقديره وإرادته سبحانه. ((وَأَزْلَفْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَقِّنِ – وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلَفَتْ)).

المهم في هذا البحث في الآيات العلمية القرآنية، أننا نراها، بمفرداتها ومجموعها، تصف أحداثاً جرت وأحداثاً تجري وأحداثاً ستجري، وكلها تتفق بدقة مع واقع الكون وحركات أجرامه من جهة، ومع حقائق القوانين الطبيعية (سنن الله في خلقه) من جهة أخرى، وقد كانت كلها مجهولة منذ وُجد الإنسان على الأرض حتى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك بأكثر من ألف سنة، ثم أخذ الإنسان يكتشفها شيئاً فشيئاً، وهو الآن يسير بسرعة متتسارة في الطريق إلى ((حتى إذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا)) [يونس: 24].

وهذا كله يدل على أن هذه الآيات لا يمكن أن تكون من عند بشر في ذلك الزمن، كائناً من كان، ولا تعليل لها إلا أنها وهي من لدن عليم خير.

وهذا كله يبيّث في نفس العالم علم اليقين بحقائقها شعوراً مطمئناً أن ما تذكره هذه الآيات أنه سيحدث، إنه سيحدث.

وهذا يعني أن اليوم الآخر حق لا ريب فيه.

وأن الجنة حق لا ريب فيه.

أما جهنم فنحن نراها منذ أن علمنا علم اليقين ((كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [5] لَتَرَوْنَ  
الْجَحِيمَ ))[التكاثر: 5 – 6].

(( وَتَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )) .

## أبواب الجنة

قال صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلى الصائمون" البخاري ومسلم (عن سهل بن سعد رضي الله عنه).

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" مسلم (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

وفي الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه: "... والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصارعين من مصاريع الجنة، ما بين عصادي الباب لكما بين مكة وهجر — أو هجر ومكة — وفي رواية: مكة وبصرى. اهـ

وفي صحيح مسلم عن عتبة بن عزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها: ولقد ذكر لنا أن ما بين مصارعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة...

وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله. اهـ.

وقال عبد بن حميد حدثنا الحسن بن يونس.. عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن ما بين مصارعين في الجنة مسيرة أربعين سنة" اهـ.

نقلت هذه الأحاديث من تفسير ابن كثير آية ((حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها)).

ولو كان في إسناد بعضها ضعف لذكره ابن كثير، حسب عادته في تفسيره.

فهي كلها صحيحة من حيث السند.

لكن فيها ملاحظة هامة جداً، بل وخطيرة؟

ففيها نص يقول إن ما بين المصارعين من مسافر الجنة كما بين مكة وهجر، وفي روایة "مكة وبصرى". وهذا وارد في الصحيحين.

والنص الثاني يقول: "بينهما مسيرة أربعين سنة"! وهذا وارد في صحيح مسلم وفي المسند. وهذا يشكل تناقضًا صارخاً مع القول في النص الأول، وتوضيح ذلك:

أولاً، إن القول "ما بين المصارعين من مسافر الجنة كما بين مكة وهجر" هو مثل قول "ما بينهما كما بين مكة وبصرى" حيث يمكن أن تقال كل منها في جلسة غير الجلسة التي قيلت فيها الأخرى، بل ويمكن أن تقالا في جلسة واحدة، بل يمكن أن تقالا متعاقبتين! وذلك لأن معناهما واحد، فالمسافة بين مكة وهجر إن لم تكن متساوية للمسافة بين مكة وبصرى فهما متقاربان.

والمسافة بين مكة وبصرى تساوي خمسين يوماً تقريباً على حساب القوافل في ذلك الزمن.

وهنا يظهر التناقض؟

فمسافة الخمسين يوماً، حسب سرعة القوافل في ذلك الوقت، تساوي حوالي ألفي كيلومتراً، ومسافة الأربعين سنة تساوي قريباً من (600) ألف كم، ونسبة الأولى للثانية هي 300/1 تقريباً، فالفرق كبير جداً، ولا يمكن لإنسان عاقل أن يقع في مثل هذا الخلط، بل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا يعني أن أحد النصين غير صحيح.

وقد يحلو لأحد هم، كائناً من كان، أن يحاول التوفيق بين النصين، فنقول له إن هذا سيكون تلقيقاً لا توفيقاً، وبمثل هذا التلقيق يتعامل أهل الكتاب مع كتابهم، وهذا يعني أن تلقيقنا هنا هو اتباع لسننهم، وهو تحقيق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم من الأمم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه".

## استطراد

هنا، أعود فأكرر: إن علم الرجال بحاجة إلى مراجعة على أن توضع لذلك القواعد العلمية الصحيحة الدقيقة، وعلى أن يقوم بذلك جمع من العلماء الأكفاء على أن يكون فيهم كل الاختصاصات التي تتعلق بهذا الموضوع.

إن قاعدة العدالة والضبط هي قاعدة سليمة، لكن عندما نجعل إنساناً ما، كائناً من كان، يتصرف بها، أو بهما، بلا حدود، نكون قد تجاوزنا الحدود الإنسانية، بل نكون قد جعلناه إلهاً لا يغلط ولا ينسى ولا تتدخل الأحداث في ذاكرته.

نعم، الراوي العدل الضابط هو العنصر الأساسي في صحة الحديث، ولكن كونه عدلاً ضابطاً لا يخرجه من الطبيعة البشرية، بل يبقى قبل كل شيء إنساناً يصيّبه الغلط والنسيان وتدخل الواقع في ذاكرته.

لذلك يجب وضع القواعد السليمة لتلافي مثل هذه الأمور، ومنها دراسة المتنون. ولقد درس علماؤنا القدامى المتنون، لكنها كانت دراسة غير كافية، فقد اكتشفوا أحاديث شاذة، لكن بقي هناك كثير من الأحاديث الشاذة لم تكتشف، واكتشفوا إدراجات في بعض الأحاديث، لكن بقي غيرها إدراجات كثيرة لم تكتشف... إلخ. (انتهى الاستطراد).

— نعود إلى بحثنا بعد الانتهاء من الاستطراد، وهنا أراني مضطراً إلى أن أعود إلى الحديث الذي أورده ابن أبي حاتم. والذي أوردت جزءاً منه في أول هذا البحث، ذكره كما ورد في تفسير ابن كثير:

... ثم قال (أي ابن أبي حاتم) حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال: سمعت أبا معاذ البصري يقول: إن علياً رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق لها أجنة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إداحهما فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغسلون من الأخرى فلا تشعت أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً وتجري عليهم نصرة النعيم فينتهون — أو فيأتون بباب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين يا عليٌ فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعد فتيمها فيفتح له فإذا رأاه خرّ له — قال مسلمة أراه قال ساجداً — فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفوا أثره فتسخن الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أُسخط، وأنا المقيمة التي لا أُظعن فيدخل بيته من رأسه إلى أسقفة مئة ألف ذراع بناوه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشكل

صاحبها في البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلقة يرى ساقها من باطن الحل.. الأنهر من تحتهم تطرد أنهر من ماء غير آسن – قال: صاف لا كدر فيه – وأنهار من لبن لم يتغير طعمه – قال: لم يخرج من ضروع الماشية – وأنهار من خمر لذة للشاربين – قال: لم تعصرها الرجال بأقدامهم – وأنهار من عسل مصفى – قال: لم يخرج من بطون النحل، يستجنى الثمار فإن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء متلماً – ثم تلا: (( وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظَلَالُهَا وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِّلًا )) [الإنسان: 14] فيشيئي الطعام فيأتيه طير أبيض.. قال: وربما قال: أخضر.. قال: فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول: (سلام عليكم أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت على الأرض لأضاءت الشمس معها سواداً في نور "اهـ.

يعلق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم.

أقول (المؤلف): إضافة إلى تعليق ابن كثير، يوجد في الحديث من العلل ما هو أكبر من الغرابة ومن احتمال كونه مرسلاً؟

إنه مناقض للقرآن الكريم ولما وهو صحيح من السنة الذي قد يكون متواتراً؟

يقول الحديث: .. إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون، أو يؤتون بنوق لها أجنة وعليها رحال الذهب.. كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان.. فيأتون بباب الجنة.. إلخ.

هذا مناقض لقوله سبحانه: (( وَنُفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ [20] وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ )) [ق: 20-21] لننتبه إلى قوله سبحانه: ((وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ)).

ومناقض لقوله سبحانه: (( خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ [7] مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمُ عَسْرٍ )) [القمر: 7-8] لننتبه إلى قوله سبحانه: ((مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ)).

ومثله قوله سبحانه: (( يَوْمَئِذٍ يَتَبَعُونَ الدَّاعِيَ لَا عَوْجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا )) [طه: 108] لننتبه إلى قوله سبحانه: ((يَتَبَعُونَ الدَّاعِيَ لَا عَوْجَ لَهُ)).

وابين المحشر؟ وأين قوله سبحانه:

- ((وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَسْرَنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا )) .
  - ((قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ [49] لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٌ مَعْلُومٍ )) .
  - ((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرْكَاؤُكُمْ )) .
  - ((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ )) .
  - ((وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ )) .
  - ((وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً )) .
- إلى آخر الآيات الكثيرة.
- وأين الموقف في المحشر؟ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟
  - وأين قوله سبحانه: ((فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ [7] فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا .([8])

- وأين لجوء البشر إلى الأنبياء صلوات الله عليهم ابتداءً بأدم عليه السلام حتى صاحب الشفاعة العظمى محمد صلى الله عليه وسلم؟
- وأين هذه الشفاعة العظمى؟
- وأين الجسر على جهنم؟

— وأين دعاء الأنبياء عليهم السلام "اللهم سلم اللهم سلم"؟

— وأين هم من قوله سبحانه: (( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [71] ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِئْنًا [72])) . حتى الأنبياء داخلون في حكم هذه الآية؟

ثم نرى القرآن الكريم يقرر أن الذين يستقبلون المؤمنين في الجنة هم الملائكة حيث يقول سبحانه: (( وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمِرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَّنَتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبِّتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ )) [الزمر: 73].

ويقول سبحانه أيضًا: (( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعَّدُونَ [101] لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ [102] لَا يَحْرُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَنَاقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ )) [الأنبياء: 101—103].

هل يعني هذا أن الحياة في الجنة منسوخ؟! على كل حشية سبعون زوجة!!؟؟؟ ثم يكون عدد زوجاته حسب هذا العرض هو (343000) ثلاثة وثلاثة وأربعون ألف زوجة؟! فمن من هذه الزوجات التي تبعث قيمها ليستقبله عند باب الجنة؟! ومن هي منهم التي تخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه؟! وهل يخرجن كلهن.. إلى آخر الأسئلة الكثيرة.

ويقول ابن كثير رحمه الله سبحانه إن هذا الحديث غريب وكأنه مرسلاً، وعندما يقول  
“كأنه مرسلاً” فهذا يعني أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كأنه هو قائله! وهذا مستبعد كل  
الاستبعاد؟

فعلي رضي الله عنه أتقى الله سبحانه وأعلم بكتابه وبما جاء به الرسول صلى الله عليه  
وسلم من أن يأتي بمثل هذه التناقضات التي لا تحتاج إلا إلى قراءة عادلة لنصوص القرآن الكريم  
وصحيح الحديث ثم إلى هذا الحديث لتكون هذه التناقضات بينة واضحة.

نعود إلى موضوعنا بعد أن أتبعنا استطراداً باستطراد.

استناداً بهذه الأحاديث، وبناء على الحديثين الذين مروا في مبحث "ما بعد الجسر" والذي يقول أولهما: "فيخرجون من النار وقد امتحشوا فُيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه..." وهو في صحيح البخاري: ويقول ثانيةهما: "... فيخرجون (من النار).. فيدخلون نهراً من أنهار فيغسلون فيه فيخرجون كأنهم القرطليس".

استناداً بحديث ابن أبي حاتم، وبناء على هذين الحديثين الصحيحين نعرف أن عند باب الجنة ماء أو نهرًا يغسل به الخارجون من النار يدخلوا الجنة، وهذا يجعلني أظن، لكنه ظن يكاد

يصل إلى درجة اليقين أن الناجين من النار الأوائل، هم أيضاً يغسلون بهذا الماء ويشربون منه لتحول طبيعة أجسامهم من الطبيعة الدنيوية إلى طبيعة كون الجنة. والله سبحانه أعلم.

ولم يُسرّ لي العثور على نص أستطيع منه أن أتبين، أو أخمن شكل هذا الماء لكنه يمكن أن يكون جرماً مائياً كبيراً، أو جرماً ذا نواة مادية من مادة الجنة تحيط به كتلة ضخمة من ذلك الماء، أو.. أو.. إلخ، حسب إرادة الله سبحانه.

ثم يتوجهون إلى أبواب الجنة حيث تتقاهم الملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين. هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

فما أبواب الجنة؟

من الحديث الشريف: .. إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة.. لكما بين مكة وبصرى، أو مسيرة أربعين سنة" نفهم أن عدد أبواب الجنة ثمانية أفراد.

لكن ما هي سعة ما بين المصراعين؟ هل هي كما بين مكة وهجر، أي مسيرة حوالي خمسين يوماً وهو ما يساوي حوالي ألفي كيلومتر؟ أم هي مسيرة أربعين سنة وهو ما يساوي حوالي ستمائة ألف كيلومتر؟

بما أنها أيام كون تقاس الأبعاد فيه بماليين السنين الضوئية أو الفراسخ الفلكية وبعشرات الملايين وبمئاتها وبالمليارات وبعشرات المليارات، وقد تكون أكثر من ذلك، لذلك فإني أميل إلى الظن أن مسيرة أربعين سنة هي الأصح، والله سبحانه أعلم.

من المثلية بين كون الدنيا وبين الأرض التي تقررها الآية: ((الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْهُنَ )) عرفنا أن الكون، كون الدنيا، كروي مثل الأرض.

ومن قوله سبحانه: ((وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ )) نعرف أن كون الجنة هو أيضاً كروي.

ومن قوله سبحانه: (( وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقَنِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ [31]) و (( وَإِذَا الْجَنَّةُ أَرْلَفْتُ [13])) نستطيع أن نظن أن أبواب الجنة الثمانية تكون في وجه نصف الكرة المقابل لكون الدنيا وذلك لتكون مقوله (( وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقَنِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ [31])) محققة تحقيقاً غير منقوص، إذ لو كان منها ما هو في الوجه الآخر من نصف الكرة لاحتاج الداخلون فيها إلى اجتياز مليارات

الفراسخ الفلكية زيادة على من يدخل من الأبواب المقابلة لكون الدنيا نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهلها ومن الناجين من النار إنه سميع مجيب وهو على كل شيء قادر.

إنهم يخرجون من كون الدنيا الذي هو كون جهنم من مخرج واحد هو الجسر الذي يضرب بين ظهري جهنم، ويدخلون كون الجنة من ثمانية مداخل التي هي أبواب الجنة الثمانية.

أما الصفات التي نقرؤها عن صفات أبواب الجنة والجنة في الأحاديث الموضوعة وفي بعض الكتب الصوفية، كدلائل الخيرات والفتوحات المكية وغيرها، فهي لا تزيد عن كونها أوهاماً من أوهام الصوفية ومن ترّهات كشوفها، وكشوف الصوفية هي هلوسات مثل هلوسات حشاشي المورفين ورفاقه تماماً، مع فارق واحد، هو أن المخدر عند الحشاشين يدخل في جسومهم من الخارج، بينما عند الصوفيين تفرز المخدر الذي هو "الأندرينين" الغدد تحت المهادية الواقعة في قاعدة الدماغ الأوسط، والنتيجة واحدة، وقد مر الشرح المفصل لهذا مع الأدلة الأكثر من الكافية في كتابنا "الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ".

## الفصل الخامس

### كونيات

ورد بعض تأویلها (بالمعنى القرآني لكلمة "تأویل") في كتاب "براھین" وهذا زیادة وتوسع.

(( أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا ))  
[الأنباء: 30].

مررت هذه الآية في كتاب "براھین" وفي كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" وهنا أريد أن أورد بعض الأدلة على حقيقتها وكيف عرفت؟

\*أولاً: حقيقة توسيع الكون التي عرفت، أول ما عرفت، بanziyah طيف الضوء الآتي من المجرات نحو الأحمر، والتي مرّ موجز من تفصيلها قبل قليل.

\*ثانياً: تشير الدراسات والبحوث على نجوم الجزء المدرك من الكون و مجراته إلى أن غاز الهيدروجين يكون حوالي (74) بالمئة من مادته، وإلى أن غاز الهيليوم يكون حوالي (24) بالمئة، وأن باقي العناصر، وعددها (103) عنصراً يكون حوالي (2) بالمئة أو أقل قليلاً، وهذا بالنسبة للنجوم المضيئة، أي الشموس، وعندما تكتشف الوسائل التي يمكنها اكتشاف الأجرام الكونية الباردة التي تستضيء بشموسها ويشكلان معًا زوجين رفيقين، عندئذ سوف تختلف هذه النسب كثيراً.

والذي يهمنا هنا هو الشموس، وهي التي درست وعرف تركيبها المذكور موجزه آنفاً، والكلام هنا عن شمسينا.

وهذه النسبة من الهيليوم، كلها أو أكثرها، ناتجة عن الانفجار الاندماجي الذي يحول الهيدروجين إلى هيليوم، والذي هو مستمر منذ أن وجدت الشمس، وهو الذي يسبب حرارة الشمس وبقية الشموس التي تطالها أجهزة البحث الفلكي.

ونقدر كمية المادة من الهيدروجين الذي يتحول إلى هيليوم بمئات الملايين من الأطنان في كل ثانية، وبهذه المعرفة يمكن تقدير ما مضى من عمر الشمس وما بقي لها من عمر. وهذا يعني أنها لم تكن أزلية وإنما ولدت منذ زمن يقدر بbillions السنين، وهذا يعني أنها كانت جزءاً من

كتلة كونية فتقت في ذلك الزمن البعيد، ثم انفجرت تلك الكتلة ذلك الانفجار العظيم الذي لا يمكن أن يوجد له تفسير إلا أن قوة خارجة عنه هي التي فجرته، وقد مرّ بحث هذا في كتابنا "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

وذلك الانفجار العظيم (Big Bang) دفع الكتل المتاثرة منه إلى الانطلاق في الفضاء اللانهائي بالسرعات الهائلة التي قد تزيد عن سرعة الضوء.

خلاصة القول: في شمسنا وفي كل الشموس التي توصلت إلى دراستها الأجهزة العلمية يوجد الهيدروجين بنسبة قد تزيد قليلاً عن 74 في المئة، ويتحول هذا الهيدروجين بشكل مستمر إلى هيليوم بمعدل يزيد عن أربعين مليون طن في الثانية، وهذا يدل على أن الشمس، ومثلها كل الشموس، ليست أزلية، وإنما وجدت قبل زمن يمكن حسابه بتقسيم كتلة الهيليوم الموجودة، على كتلة الهيدروجين الذي يتتحول إلى هيليوم في الثانية فتحصل على عدد السنين التي مضت من عمر الشمس، ونعرف أنها في ذلك الوقت لم يكون فيها هيليوم، وإن كان موجوداً فبنسبة يمكن إهمالها، وهذا يدل على أن الشمس ولدت في ذلك الزمن الذهاب في البعد، وتكون هنا أمام احتمالين:

أ — أنها خلقت من العدم آنذاك.

ب — أنها فتقت من كتلة كانت هي وبقية الأجرام السماوية مجتمعة فيها فانفجرت وتشكلت منها ما نرى وما لا نرى من الأجرام الكونية. وحقيقة توسيع الكون تؤكّد هذا الاحتمال الثاني وتجعله هو الاحتمال الوحيد.

وهذا الانفجار العظيم جعل تلك الأجرام المنفلقة من تلك الكتلة تتطلق في الفضاء اللانهائي بسرعة أكبر بكثير من تأثير قوة التجاذب بينها، وهذا أيضاً دليل على أن الكون في توسيع مستمر بسبب قوة الدفع الهائلة جداً جداً والتي سببها الانفجار. وهذه الكتلة التي انفجرت هي التي خلقت من العدم.

\*ثالثاً: يوجد أيضاً في فضاء ما بين النجوم إشعاعات راديوية منتظمة ومتزايدة الخواص، تسقط على الأرض من كافة الاتجاهات في السماء وفي كل الأوقات والفترض دون أي توقف أو تغيير وقد فسروا هذه الإشعاعات الراديوية المنتظمة المتزايدة في كل خواصها بأنها بقية الإشعاع الذي نتج عن الانفجار الكوني العظيم.

وأقول: إن هذه الإشعاعات التي تسقط على الأرض من كافة جوانبها وفي جميع الأوقات هي حقيقة واقعة.

وأما تفسيرها بأنها بقية الإشعاع الذي نتج عن الانفجار العظيم، فهو نظرية تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ، لذلك لا يبني عليها أي حكم، وأنا أوردها هنا للاستثناء فقط رغم أنهم يؤمنون بها، وهذا شأنهم.

وعلى كل حال، يمكن الاستثناء بها على كون أن الكون كان كتلة واحدة انفجرت لتشكل الكون الحالي، وهذا الانفجار كان ويبقى سبب توسيع الكون المستمر، وذلك بسبب قوة الدفع الأولى التي سببها الانفجار فجعلت الأجرام تتبع عن بعضها بسرعة الضوء أو أكثر دون وجود عائق أمامها يغير من سرعتها أو من اتجاهها المستقيم في الفضاء اللانهائي، وذلك كله بأمر الله سبحانه، إنها سنته التي قدرها في كونه.

وقد استعملت قبل قليل عبارة "الجزء المدرك من الكون" وكان الأصح أن أقول "الجزء المدرك من الطبقة السماوية التي نحن جزء منها" أو "من السماء الدنيا" لأن كل هذه الأبعاد السحرية السحرية بين المجرات وكل هذه المجرات هي جزء من سمائنا الدنيا. وما بقي مجھولاً منها أكبر بما يعلمه الله من الذي عُلم، وهذا هو السبب الذي يجعل تفسير مصدر الإشعاع الكوني الذي يسقط على الأرض بأنه بقية الإشعاع الناتج عن الانفجار العظيم، يجعله نظرية تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ؟ فنحن نجهل طبقتنا السماوية "السماء الدنيا" وماذا يوجد فيها مما لم يعلم بعد، ونجهل إن كان يوجد فاصل ما بينها وبين السماء التي تحيط بها أو السماء التي تحتها، تصدر عنه تلك الأشعة، أو إن كانت تلك الإشعاعات صادرة عن إحدى السماوات أو غيرها، إلى احتمالات أخرى قد تخطر ببالنا وقد لا تخطر، وأكثريتها الساحقة لا تخطر. وهنا ملاحظة يجب التتبّيه لها.

هذا الإشعاع الكوني الذي ينزل على الأرض من السماء، إنما ينزل طبعاً، بشكل ذرات صغيرة بحيث لو أمكن جمع ميليمتر مكعب منها، لكن عددها فيه يزيد عن مiliar × مiliar × مiliarات من الذرات. وبالتالي، هو ينزل من السماء كما ينزل المطر.

بناءً على هذا، وبناءً على الآية الكريمة ((إِنَّمَا مَثَّلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٌ أَنْزَلَنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ..)) [يونس:24]، أستطيع أن أظن أن لهذا الإشعاع الكوني دوراً في الحياة النباتية والحيوانية على الأرض.

وقولي "أظن" ظناً يعني أنني لست على يقين بهذا الأمر، وذلك للأسباب التالية:

أ – لا يحصل اليقين هنا، إلا بعد التحقق العلمي المبني على التجارب العلمية ولا علم لي بشيء من ذلك.

ب – الضوء الذي ينزل من السماء أكثره من الشمس وبعده من غيرها، ودوره في الحياة النباتية ثم الحيوانية معروف يقينياً، وهو كاف لتعطية مدلول الآية، وهذه الكفاية لا تمنع طبعاً، من وجود شيء آخر إلى جانب ضوء الشمس له مثل دوره.

## السماءات السبع

إن الذين لا يؤمنون بأن القرآن لا يمكن أن يكون إلا وحياً من لدن عليم خبير رغم عشرات الأدلة العلمية الواضحة الواضحة التي مرت في سلسلة الإعجاز العلمي السابقة وفي هذا الكتاب، هؤلاء، قد يستنكرون أو يستبعدون وجود طبقة كونية تحيط بطبقتنا التي نحن جزء منها، أو بتعبير آخر، قد لا يقبلون وجود السماوات السبع، ومنها وجود طبقة سماوية تحيط بطبقتنا الدنيا! والجواب عليهم:

من الحقائق الثابتة الواضحة الملحوظة أن الأرض ذات طبقات، الطبقة الهاوائية تحيط بالطبقة المائية وهذه تحيط بطبقة القشرة الأرضية (السيال) وهذه تحيط بطبقة الرداء (السيما) وهذه تحيط بالطبقة التي تحتها... حتى السابعة.

وحتى هذه الطبقات المذكورة مؤلفة من طبقات أيضاً من تفصيلها في السلسلة السابقة فالهواء طبقات: "المناخية والطحورية والوسطى.. حتى الطبقة الأطرافية، والبحر عُرف منه طبقتان، والقشرة الأرضية ذات طبقات أيضاً لا يغاف بعضها بعضاً لكن يلاحظ بعضها يوضح في بعض السطوح الشاقولية، وفي الطبقة الترابية أو الرملية التي تعلو الصخور التي تحتها... وهكذا.

وعرف يقينياً أن الشمس ذات طبقات عرف منها بالمرصد "الإكليل" سمكه ملايين الكيلومترات وهو جو الشمس، يحيط بالطبقة الملونة، سمكها حوالي خمسة آلاف كم، وهذه تحيط بالطبقة المصيبة التي تبلغ حرارتها حوالي (5800) درجة مئوية، وهذه تحيط بالكتلة النارية المائعة المظلمة السوداء التي تزداد حرارتها مع العمق حتى تصل إلى ما يزيد عن خمسة عشر مليوناً من الدرجات المئوية، وظني الذي يقترب من اليقين أنها ذات طبقات أيضاً، وفي مركز

الشمس كتلة من العناصر الثقيلة تساوي أكثر من واحد بالمئة من كتلة الشمس عرفت بالحسابات وهي الطبقة المركزية في الشمس، ولعلها أيضاً ذات طبقات. والكواكب الشمسية "الزهرة والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس وباقيتها<sup>(23)</sup> كلها ذات طبقات يغلف بعضها بعضاً عرف منها بالرصد الطبقة الغازية تحيط بالطبقات التي تحتها، ومن وجود البراكين فيها عرف أن تحت قشرتها طبقة تخرج منها البراكين مثل الأرض.

بل حتى الكائنات الحية خاضعة لنظام الطبقات سواء كانت نباتات أو حيوانات، فجذع النبات ذو طبقة خارجية هي القشرة تحيط بالطبقة أو الطبقات التي تحتها، وهذه تحيط باللب، والورقة في النبات ذات طبقتين، والثمرة ذات طبقتين أو ثلاثة أو أربع القشرة واللب الذي يؤكل، أو لا يؤكل، والبذرة التي هي بدورها ذات طبقات أقلها طبقتان وبذلك تكون الثمرة ذات طبقات تزيد عن أربع، وهناك قشرة تفصل اللب عن البذرة.

والحيوان، كل حيوان، حتى الأمبيا، هو ذو طبقات، فنرى أمامنا البقرة مثلاً، تحيطها من الخارج الطبقة الشعرية، وهذه تحيط بالطبقة الجلدية وهذه تحيط بالطبقة الدهنية ثم اللحمية، وهذه تحيط بالعظم، والعظام لها ثلاثة طبقات، وهكذا.. والجلد أيضاً ذو طبقتين: البشرة والأدمة.

إذن فنظام التطبق هو سنة كونية يظهر امتدادها في كل ما توصلت إليه معارف الإنسان اليقينية. وعليه نستطيع، بل يجب أن نكون على يقين أن الكون أيضاً مؤلف من طبقات تحيط بعضها. وقد أخبرنا القرآن الكريم أنها سبع طبقات (( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مَتَّهِنَ )) . (( الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً)).

فكون الكون ذات طبقات تحيط ببعضها هو أمر يقيني يفرض قبوله منطق الواقع الذي يحيط بنا. كما يوضحه القرآن الكريم الذي ثبت بالبراهين السابقة والحالية أنه الحق من عند الله سبحانه.

ويفرض السؤال المعهود نفسه: كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم أن الكون ذو طبقات (أو سماوات) وأن الأرض مثل ذلك؟ كيف؟؟

لقد كانت الدنيا كلها تجهل هذا الأمر جهلاً كاملاً! فكيف عرفه محمد صلى الله عليه وسلم؟

— لا يوجد إلا احتمال واحد هو أنه وحي من لدن عليم خبير.

---

(23) أقول "وباقيتها" لأنني أظن أنه يوجد كوكب أو أكثر أبعد من بلوتون لم تكتشف بعد.

## الحياة في الكون

نعود إلى الآية الكريمة: (( وَمَنْ آيَاتِهِ خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ )) [الشورى: 29].

أنقل تفسيرها الذي كان يراه المفسرون السابقون عن ابن كثير في تفسيره، يقول: "... ((خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَ فِيهِمَا)) أي ذراؤهما أي في السماوات والأرض ((من دَابَّةٍ)) وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطبعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم في أرجاء أقطار السماوات والأرض (( وَهُوَ)) مع هذا كله ((عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ )) أي يوم القيمة يجمع الأولين والآخرين..اهـ.

أقول إن قوله في تفسير ((من دَابَّةٍ)) إن هذا يشمل الملائكة والإنس والجن.. إلخ، لا يُسلم له ولا لهم به، وذلك لأن الآية الثانية (( وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِبِرُونَ )) [النحل: 49] تعلمنا بكل الوضوح أن الملائكة ليست من الدواب، انظر إلى قوله سبحانه ((وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ)) إذن فالملائكة غير الدواب. وعندما يقول القرآن قوله فلا قول لأحد معه.

ثم إن كلمة ((دَابَّةٍ)) يدل معناها على ما يدبّ على أرض، والملائكة لا تدب على أرض.

وقد كانت رؤيتهم لكلمة ((دَابَّةٍ)) بهذا المعنى منطلقة من تصوراتهم المتخيلة لبناء الكون، وكان ذلك التصور مبنياً على حديث منكر، وهو حديث الرقيق وقد مر تفصيله في كتابنا "براهين..."، وكذلك بناءً على الآية القرآنية ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا )) [النساء: 82] أي اختلافاً مع الواقع واختلافاً بين نصوصه وكانوا يجهلون أن في مجرتنا وحدها يمكن أن يوجد مئات الملايين أو أكثر من الأجرام التي تشبه طبيعتها طبيعة أرضنا وقد يمكن وجود الدواب فيها.

لذلك كانوا مضطرين لجعل كلمة ((دَابَّةٍ)) يشمل معناها الملائكة، وكانوا بذلك معذورين ومشكورين ولهم الأجر إن شاء الله سبحانه، فقد كان هذا كل جهدهم.

أما أهل هذا العصر الذي تكشفت فيه حقائق كثيرة عن الكون فهم غير معذورين إن تابعوا هم على ما كانوا يجهلونه.

وإنما نتابعهم ونأخذ منهم ما كانوا يعلمونه أكثر منا، العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، مع العلم أن معاملات كثيرة استجدة في هذا العصر وهي بحاجة إلى اجتهاد ومجتهدين من السائرين على طريقة القرآن وصحيح السنة.

نعود إلى كلمة ((دَابَّةٌ)) فقد جاءت بصيغة النكرة، وتكرير الكلمة قد يفيد التعميم والاستغراق. وهذا يعني أن في الأجرام السماوية توجد دواب تشبه دواب الأرض، كما يوجد، أو يمكن أن يوجد دواب أخرى لا تشبه ما في الأرض.

ونكرر هنا السؤال المعهود: كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة التي صارت الآن يقينية نظرياً.

ثم نعود إلى قوله سبحانه ((وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)) حيث رأينا ابن كثير رحمه الله سبحانه يقول – اتباعاً لمن قبله من المفسرين – إن هذا يكون يوم القيمة.

أقول: وهذا أيضاً لا يسلم لهم به، فلا يوجد دليل أو قرينة تخصيص معنى هذه الجملة إلا تصوراتهم المتوهمة عن واقع الكون.

أما المعنى الواضح الظاهر المباشر للجملة فهو قدرة الله سبحانه على جمعهم أنّ شاء وكيف شاء سواء في الدنيا أو في الآخرة.

ولو تدبرنا الآية لرأينا القرينة فيها تشير إلى أن الجمع المعنى فيها هو في الحياة الدنيا، وذلك لأنها، أي الآية، عندما تذكر من آيات الله سبحانه ((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ))، فإنما تذكر هذا لأهل هذه الحياة الدنيا الذين يعيشون على هذه الأرض كآية من الآيات التي تدعوهם إلى الإيمان بالله تعالى وبما أرسل به رسلاً.

وليس الخطاب فيها موجهاً إلى أهل يوم القيمة.

إذن فقول سبحانه ((وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)) يعني جمعهم في هذه الحياة الدنيا.

ويجب أن ننتبه هنا إلى أسلوب من أساليب القرآن الكريم، فعبارة ((إِذَا يَشَاءُ)) في قوله سبحانه ((وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)) لا تدل على احتمال قد يكون وقد لا يكون كما لو كانت الجملة متعلقة بفعل مخلوق، وإنما تدل على أمر سوف يكون عندما يشاء سبحانه.

والآن صار يقينياً أن الإنسان الذي وصل إلى القمر وأرسل أجهزته إلى بقية أجرام المجموعة الشمسية صورتها وأرسلت صورها إلى الأرض، وهو مستمر بالبحوث لتطوير هذه

الأجهزة ولاكتشاف أساليب جديدة للخروج من المجموعة الشمسية إلى مجموعات شمسية أخرى عندما يكتشف الأساليب التي تجعل مركبته الفضائية تتنقل بسرعة تتجاوز سرعة الضوء. وقد يقول قائل هنا، من الذي صدقوا دجلية أينشتاين التي سموها "نظيرية" والتي تقول من جملة ما تقول إن سرعة الضوء هي الشيء الثابت الوحيد ولا يمكن تجاوزها، قد يقول هذا القائل إن الأجرام في المجموعات الشمسية الأخرى تبعد عنا بأبعد تقاس بالسنين الضوئية وعشراتها ومئاتها.. وهذا يستحيل الوصول إليه، فنقول لهذا القائل إن نظرية أينشتاين فرضتها الصحافة اليهودية بفروعها المتشعبية على الفكر البشري، ويظهر أن في الفكر البشري ساحات لا تملؤها إلا الخرافية. والنظريات بشكل عام، تحتمل الخطأ وتحتمل الصواب، أما نظرية أينشتاين فتحتمل الخطأ وتحتمل الخطأ. ولست أنا الذي أقول هذا، لكنهم علماء الفيزياء والرياضيات قالوا ويقولون بالأدلة العلمية الرياضية الفيزيائية، وخسر بعضهم مركزه في المؤسسة العلمية التي يعمل فيها، ولم تقبله غيرها، ففضل الباقيون أن يسكتوا حفاظاً على عملهم وعلى سمعتهم من أن تلوكها الصحافة اليهودية والمنهودة، وهي كثيرة.

نعود إلى موضوعنا.

إن الإنسان وصل حتى الآن إلى القمر، وسيصل إلى المجموعات الشمسية الأخرى، وطبعاً سيكون وصوله إلىأجرامها الباردة التي يمكن أن ينزل عليها، وسيجتمع بالأحياء التي تدبُّ عليها. وقد أخبرنا القرآن الكريم أن هذا سيحدث!!

والسؤال نفسه يفرض نفسه؟

كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقائق التي كانت غريبة كل الغرابة وأبعد من الغرابة عن الفكر البشري كله!!

كيف عرف هذا؟؟

هل يوجد احتمال يقبله عاقل أو غير عاقل غير أنه وحي من لدن عليم خبير؟  
أبداً، أبداً، أبداً. لا يوجد أي احتمال آخر إلا عند العاقل أو غير العاقل الذي يتحلّ (يتحلّ) بالعناد المستكبر، أو الاستكبار العنيد.

## توسيع الكون

((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)) [الذاريات: 47].

ورد هذا المبحث في كتاب "براھین" وكانت قد كتبته قبل ذلك في حوالي سنة 1970 في مجلة حضارة الإسلام التي كانت تصدر في دمشق، وقد كنت أعتقد بصحتها لأن القرآن يقررها، لكنني كنت أظن أنها لم تزل نظرية في مجال البحث العلمية.

أما الآن. في زمن كتابة هذه الكلمات فقد خرجت فكرة توسيع الكون من كونها نظرية، وصارت حقيقة يقينية، وكان الدليل الأول ما يلي:

— من المعلوم أن الضوء، عندما يمر عبر موشور شفاف يتحلل إلى ألوانه الأصلية التي هي "الأحمر ثم البرتقالي ثم الأصفر فالأخضر فالأزرق فالنيلي فالبنفسجي" ويكون بينها خطوط سود دقيقة، وقد أطلقوا عليها اسم "خطوط الطيف"، وكل عنصر من العناصر خطوط طيف ثابتة العدد والنسب بينها لا تتغير، تشكل هوبيته التي يعرف وجوده بها أينما كان، وبذلك تعرف العناصر الموجودة في الأجرام الكونية القريبة والبعيدة كالشمس وغيرها.

وقد لوحظ — ويستطيع كل واحد أن يقوم بهذه التجربة — أن خطوط الطيف هذه تتزاح باتجاه البنفسجي إذا كان الضوء آخذًا بالاقتراب من الموشور، أو من المطياف المستعمل في التجربة، أما إن كان الضوء آخذًا بالابتعاد عن المطياف، فيلاحظ أن خطوط الطيف تتزاح نحو الأحمر.

وقد ثبتت هذه الحقيقة بكل التجارب التي أجريت في رصد كواكب مجموعتنا الشمسية "المريخ والمشتري وزحل وأورانوس.." التي يُعرف قربها من الأرض وبعدها بالنظر العادي، إذ عندما تكون قريبة من الأرض، يكون شكلها كبيراً نسبياً ويكون ضوؤها ساطعاً (نسبياً أيضاً)، وتكون أيضاً في الأفق الشرقي عندما تكون الشمس أثناء مغيبها في الأفق الغربي، وعندما تكون بعيدة عن الأرض يصغر شكلها بالنسبة للنظر العادي ويخفت ضوؤها، وتكون مع الشمس أو قريبة منها أثناء شروقها وغروبها.

وبتطبيق هذه الطريقة على المجرات الأخرى، سواء القريبة منا، كجارتنا مجرة المرأة المسلسلة التي تبعد عنا أكثر من مليون ونصف سنة ضوئية، وسواء البعيدات عنا التي يبعد بعضها عشرات الملايين من السنين الضوئية وبعضها مئات الملايين، وذلك بأخذ صور لها بالمطياف، ثم بعد مدة تزيد أو تقصص نأخذ لها صورة ثانية، وبعد مدة أطول أو أقصر نأخذ صورة ثالثة، ثم بعد مثل هذه المدة أو أكثر نأخذ صورة رابعة ثم خامسة، ثم ما نريد من عدد الصور، ثم نقارن بينها، فسنلاحظ أن خطوط الطيف في انزياح مستمر باتجاه الأحمر، وهذا ثابت

بالنسبة لكل المجرات التي توصلت الأجهزة إلى مشاهدتها وتصويرها، وهذا دليل ثابت على أنها في ابتعاد مستمر عنا وبالتالي عن بعضها أيضاً.

وهذا الابتعاد عن بعضها بسرعاته الهائلة جداً يدل على أنها كانت في أول أمرها مجتمعة في كتلة واحدة ثم فاقت هذه الكتلة.

ولعل القارئ لاحظ أنني عندما ذكرت أن التجارب التي أجريت في رصد كواكب مجموعتنا الشمسية "المريخ والمشتري وزحل.. إلخ" لم ذكر عطارد والزهرة، وذلك لأن لهما وضعياً يختلف بعض الشيء عن بقية الأح狼ات؟

إننا لا نرى الزهرة عطارد أبداً إلا في الجهة التي تكون فيها الشمس، فعندما يكون ظهور إداتها في الصباح تكون دائماً أمام الشمس وتزبح قبلاً بمدة قد لا تزيد عن الساعة ثم تتناقص شيئاً فشيئاً، وعندما يكون ظهورها مساءً تكون دائماً بعد الشمس وتغيب بعدها بمدة قد لا تتجاوز الساعة ثم تبدأ بالتناقص شيئاً فشيئاً.

ووجه كل من عطارد والزهرة المرئي من الأرض يتطور من شكل هلال كهلال القمر يكبر شيئاً فشيئاً حتى يصير بدرًا كبر القمر ثم يعود يتضاعل شيئاً فشيئاً حتى يعود هلاماً، حيث يكون آنذاك أقرب ما يكون إلى الأرض، وعندما يكون بدرًا يكون في أقصى بعده. ويكون ضوءهما (بالنسبة لنا) أسطع ما يكون (بالنسبة لهما) عندما يكونان هلامين.

## الفصل السادس

### من آيات الأنفس

((سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ))

### الاستحاضة عرق

في صحيح البخاري – كتاب الحيض – باب الاستحاضة. (8).

— ... قالت فاطمة بنت أبي حبيش رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إني لا أطهرُ، أفادع الصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة، فإذا ذهب قدرها، فاغسلي عنك وصلّي. اهـ

وقد ورد هذا الحديث في الكتاب نفسه بعده طرق.

— وفيه أيضاً (باب الصُّفْرَةِ وَالكُدْرَةِ فِي غَيْرِ أَيَامِ الْحِيْضُورِ) (25):

... عن أم عطية قالت: كنا لا نعد الكُدرة والصُّفْرَة شيئاً. اهـ

الاستحاضة، سائل يخرج من المرأة في غير دورة الحيض، وطبعاً يخرج أيضاً أثناء الدورة حيث يكون الحكم في هذه الحالة هو حكم الحيض أما خارج دورة الحيض، فحكمه حكم البول.

ويكون في لون هذا السائل صُفْرَة أو كُدرة، وأحياناً يكون شبه شفاف والذي يهمنا هنا هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه عرق وليس بحِيْضُورِ.

ولبيان اللفتة العلمية (أو الحقيقة) في هذا القول، يجب علينا أولاً أن نعرف ما هي حقيقة الحِيْضُورِ وما هي الاستحاضة؟

الحِيْضُورِ: يتهيأ الرحم لاستقبال البوسطة الملقحة، فتتشاءم على جدرانه طبقة كثيفة هي التي تمد البوسطة بالغذاء حتى تتمو.

تخرج البوسطة من المبيض إلى قناة فاللوب<sup>(24)</sup>، فإن قدّر لها أن تلقي، وهذا يتم في الثالث الأول من القناة، نزلت إلى الرحم والتصقت بجداره وصارت تأخذ غذاءها من الطبقة التي تكاففت على جدار الرحم حتى تتمو وتغدو علقة ثم مضغة ثم تخرج طفلاً.

أما إذا لم تلقي، فحينئذ لا تستقر في الرحم، بل تخرج منه، وحينئذ تتفقّط الطبقة التي تكاففت على جدار الرحم وتخرج شيئاً فشيئاً، عن طريق المهبل طبعاً، ويكون قوامه بشكل قطع من الدم المتاخر الثخين، وهذا هو الحِيْضُورِ، وهذا هو دم الحِيْضُورِ.

وطبعاً عندما لا يبقى شيء من هذه الطبقة في الرحم يكون الحِيْضُورِ قد انتهى.

أما سائل الاستحاضة، فلا علاقة له بدم الحِيْضُورِ الكثيف الثخين، وإنما هو سائل يخرج، بسبب ما، من أحد العروق المنتشرة في جهاز المرأة التناسلي. لذلك كان حكمه حكم البول، يُغسل ويُتووضأ منه.

هذا هو واقع الحِيْضُورِ والاستحاضة.

---

(24) غابريل فاللوب (Fallope) عالم تشريح وجراح إيطالي (1523 – 1562) م.

ومن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور: "إِنَّمَا ذَلِكَ عَرْقٌ وَلَا يُنْسَبُ بِالْحِيْضُورَةِ" نعرف ما يلي:

— إن مصدر الاستحاضة عرق.

— إن مصدره يختلف عن مصدر الحيض.

— وبالتالي لا يكون الحيض صارداً عن عرق ينزف، وإنما عن مصدر آخر لم يبينه الحديث، وإنما بين أنه ليس عرقاً.

وهذه الحقائق كانت مجهولة وبقيت مجهولة حتى بعد زمان الرسول صلى الله عليه وسلم بما يقرب من ألف سنة.

— فكيف عرفها محمد صلى الله عليه وسلم؟

أظن أن الجواب واضح؟ إنها وحي من لدن عليم خبير.

وهنا، لا أرى من الغلط أن أذكر الحادثة التي جعلتني أنتبه لهذه النقطة، فقد مر على هذا الحديث مرات دون أن أنتبه إلى اللفتة العلمية فيه، وفي ذات يوم، بعد إحدى الصلوات في المسجد، سألني رجل فاضل عن حكم المرأة التي تسقط جنينها قبل الشهر الرابع من حملها؟ فأجبته بما معناه أنه حكم الحيض أو النفاس، فقال لي ما معناه إن هذا غلط، لأن العلماء يقولون إن هذا ليس نفاساً، لأن الروح لا تُلقى في الجنين إلا في آخر الشهر الرابع، لذلك، إن أسقطت بعد حلول الروح في الجنين يكون إسقاطها نفاساً، وأما قبل ذلك فلا يكون كذلك ولا تمتلك معه عن الصلاة والصيام.. وأراني كتيباً لعالم معروف متوفى رحمه الله تعالى، يذكر هذا المعنى. فقلت له إن القول هو قول هذا العالم.

وطبعاً، كان هذا العالم قد أخذ هذا الحكم عن اجتهادات العلماء السابقين الذين كانوا معذورين وأجرورين إن شاء الله تعالى، ولهم من الشكر والدعاء، إذ كان من المتذر عليهم معرفة هذا الواقع، وكان ما وصلوا إليه هو أقصى ما يمكن أن يصلوا إليه باجتهادهم، رحمهم الله تعالى.

أما في هذا العصر، وقد عُرفت فيه حقائق كثيرة من حقائق الوجود، ومنها حقيقة الحالة التي نحن في صددها، فلا يبقى عذر لعالم يمكنه أن يطلع على حقيقتها.

وحققتها، أن هذا الإسقاط يحدث عندما تموت العلقة أو المضغة التي كانت ملتصقة بجدار الرحم، بسبب ما، فتنفصل عن جدار الرحم وتسقط، حيث تأخذ الطبقة الدموية التي كانت متراكمة

على جدار الرحم، بالتفتت وتخرج، فهي دم الحيض نفسه، وعليه فحكمها حكم الحيض نفسه، ولا يُنظر للسقوط أكان ابن شهر أو شهرين أو أكثر.

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ )) [الرعد: 11]

آية كريمة واضحة معناها موجزة ألفاظها.

إنها سنة من سنن الله سبحانه في خلقه.

إنها السنة الاجتماعية الرئيسة التي تسير المجتمعات الإنسانية وتوجهها منذ أن شاء الله سبحانه إلى أن يشاء سبحانه.

إن مما تبينه هذه الآية أن واقع أي مجتمع إنساني هو تابع، أو موجه، أو هو محصلة لما في نفوس مجموع أفراد هذا المجتمع.

فإن كانت محصلة ما في نفوس أفراد هذا المجتمع سيئةً يكون واقعه سيئاً، وتكون المحصلة سيئة إن كان كل ما في النفوس، أو غالبه، سيئاً.

وعكس المعادلة صحيح، أي إن كان واقع هذا المجتمع سيئاً فهذا يعني أن ما في نفوس أفراده، أو غالبه سيء.

وباستثناء بضعة بلاد لم تتمركس، فإن واقع المسلمين سيء بحسب متفاوتة، وهذا يعني أن ما في نفوس المسلمين سيء بحسب متفاوتة والدعابة الرمادية والسوداء تعمل بنشاط على مرکسة ما لم تتمركس بعد.

ولا تحتاج معرفة أمراض المجتمعات الإسلامية إلى عبرية، لأنها واضحة فاضحة، يأتي في مقدمتها وما حول مقدمتها غياب الصدق والأمانة.

والصدق والأمانة قبل العقيدة، فالله سبحانه عندما أراد أن يبعث محمداً صلی الله عليه وسلم هياً له مجتمع الصدق والأمانة وبعثه فيه.

وللدلالة على أن مجتمع قريش كان مجتمع الصدق والأمانة، تكفي هنا ثلاثة أمثلة مشهورة:

1 – حلف الفضول الذي تعاهدو فيه وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.

والذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب  
أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت".

2 – موقف أبي سفيان عند هرقل عندما سأله هرقل اسئلة عن محمد صلى الله عليه وسلم  
فجاء في خاطر أبي سفيان أن يكذب عليه في بعضها، لكنه خاف من الرهط القرشيين الذين كانوا  
حاضرين معه أن يفضحوه في قريش وبين العرب حيث سوف يلقونه بالكذاب، ولو كانت الكذبة  
ضد عدو لهم.

3 – ما كان يحدث ن بعض الذين كانوا يفكرون بال المسلمين عندما يقع بين أيديهم مسلمون،  
ويؤذنون من يستطيعون إياه. وعندما يقع بعض هؤلاء في قبضة المسلمين سيطبقون عليهم  
قوله سبحانه: ((فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ )) [البقرة: 194]

وقوله سبحانه: (( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ )) [النحل: 126] وكان يكفي  
الواحد من هؤلاء الكفار الذين فتكوا المسلمين وأذوا آخرين أن يقول: "لا إله إلا الله" لينجو من  
العقوبة ومن الأسر معاً، ثم يستطيع بعد أن يتخلص من بين أيدي المسلمين أن يعود إلى شركه،  
لكنهم ما كانوا يفعلون ذلك، لأنهم لو فعلوه لصار مجتمعهم ينظر إليهم على أنهم كاذبون. فكان  
واحدهم يفضل أن يقتل على أن يعرف بين الناس بالكذاب.

وهذا لا يعني أنه ما كان يوجد استثناءات، ففي المجتمعات الإنسانية لا يوجد مجتمع  
يتصرف كل أفراده بكل صفات الخير، بل يوجد دائماً مع الخير شر، كما لا يوجد مجتمع يتصرف  
كل أفراده بكل صفات الشر، بل يوجد دائماً مع الشر خير، وإنما الحكم للطاغي من الصفات.

ودعونا من أسلوب "الطبطة" ومن أسلوب تفاؤل الحالين وتبريراتهم، فهذا لا يفيد شيئاً  
في إنقاذ الأمة من وعدها، لكن المفيد إنما هو الأسلوب القرآني، أسلوب الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر، الأمر بالمعروف بالمعروف بعد معرفة المعروف معرفة صحيحة أكيدة تامة، والنهي  
عن المنكر بالمعروف وبعد معرفة المنكر معرفة صحيحة أكيدة تامة.

دعونا من تبريرات الحالين ولنواجه الحقيقة المرة.

لقد انتشر الفساد في مجتمعنا وطغى، لذلك لا أمل لنا بأي نصر أو نهوض من كبوة إلا  
بزوال الفساد، أو على الأقل بانحساره في زاوية مهملة.

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: ".. قلت يا رسول الله أنهاك وفيها الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث" البخاري ومسلم (كتاب الفتن).

لقد كثُرَ الْخَبْثُ، بِلَ أَصْبَحَ أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرٍ بَكْثِيرٌ.

يقول سبحانه: ((كُنْتُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...)) [آل عمران: 110].

يقول سبحانه: (( لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤُدْ وَعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ [78] كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِثْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ )) [المائدة: 78-79]

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: قال ابن أبي حاتم حدثنا... عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم" (وقد رواه أبو داود أيضاً).

وكذلك أورد عن الإمام أحمد: حدثنا.. عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوش肯 الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدْعُنَّه فلا يستجيب لكم" (ورواه الترمذى أيضاً).

وفي تفسير الآية (105) من سورة المائدة، يورد ابن كثير عن الإمام أحمد رحمه الله سبحانه: حدثنا.. عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروننه يوشك الله عز وجل أن يعمّهم بعقابه". وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أيها الناس إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان...اهـ

وتحجيم المنكر لا يكون بحماسة المراهقين، ولا بالانحراف مع سبل الدعاية الرمادية والسوداء، التي يظهر بعضها بشكل شعارات جوفاء نردها كالببغوات مع فرق كبير هو أن ما ترددت الببغوات لا يؤثر في سلوكها، بينما ما نرده نحن يوجه سلوكنا ويرسم لنا مسار تفكيرنا وتصرفاتنا، ويظهر بعضها الآخر بشكل مواضع بنى على شعارات فارغة، أو بشكل أحكام استُنبطت بأسلوب حديث يشبه الشعر الحديث والنقد الحديث وبعض الأسماء الحديثة التي يطلقونها على بعض التفاهات الحديثة..

إنهم يبحثون عن آية أو بعض آية من القرآن الكريم توافق، إن عزلت عن غيرها، هوى في نفوسهم، فيقطعونها من القرآن ويضعونها في معزل عن بقية آياته، ثم ينادون بها على أنها حكم قرآنی، ولو أنهم نظروا إلى هذه الآية على أنها جزء من القرآن مرتبطة بآياته التي تقييد بعض نصوصها بعض النصوص الأخرى، وقد تخصص العام منها أو تعمم الخاص، لو فعلوا ذلك لرأوا أن معناها مختلف تماماً عما نادوا به من حكم أو أحكام.

وأضرب مثلاً على ذلك تفسيرهم آية سورة التوبة أو آيتها:

(( فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حِيثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُذُوهُمْ كُلُّ مَرْضِدٍ فَإِنْ تَأْبُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ فَخُلُوْا سَبِيلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ )) [التوبه:5].

(( قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوْا الْجِزِيَّةَ عَنْ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُونَ )) [التوبه:29].

اقطع بعض الغثاء هاتين الآيتين أو اقتطعوا لهم من القرآن وقرؤوهما معزولتين عن بقية آياته، فكان الحكم الذي فهموه أن يقتلوا المشركين والسيحيين حيث وجدوهم، وبذروا بتتنفيذ هذه المهمة، فكانوا سبباً لتوقف المد الإسلامي الذي انتشر في سبعينيات القرن الميلادي العشرين في الغرب بشكل جعل المتفائلين يظنون أنه لن ينتهي القرن حتى تكون أوروبا قد أسلمت.

لقد جرفهم السيل سيل الدعاية الرمادية والسوداء فكانوا فتنة للذين كفروا وهم يظنون أنفسهم مجاهدين في سبيل الله، لقد أوقفوا المد الإسلامي، بل كانوا سبباً في ردة بعض الذين أسلموا.

ولو أنهم تدبروا القرآن قبل تخطيّهم، لوجدوا آيات تبين لهم فقه ما جعلوه.  
يقول سبحانه: (( وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ )) [البقرة:190].

لنلاحظ أن الحكم في هذه الآية مرتبt بصفة من صفات الله سبحانه (( إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ))، إذن فحكمها محكم غير قابل للنسخ حاكماً على كل آيات الجهاد.

ويقول سبحانه: (( وَقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ )) [البقرة: 193].

لنتبه أن هدف القتال هو ألا تكون فتنة، فإن كان القتال سبباً لفتنة في الدين فهو منهى عنه بمنطق هذه الآية.

والفتنة في الدين هي الابتعاد عن الدين، إن كان صغيراً فالفتنة صغيرة، وإن كان كبيراً فالفتنة كبيرة، والفتنة أيضاً هي كل تصرف أو سلوك يسبب ابتعاداً عن الدين أو نفوراً منه أو إغلاق القلوب أمامه.

ويقول سبحانه: (( الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ )) [البقرة: 194].

لنتبه إلى قوله سبحانه: (( وَاتَّقُوا اللَّهَ )) بعد قوله: (( فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ )) والتي تعني أنها إذا اعدينا عليه بأكثر مما اعدنا علينا نكون قد انحرفنا عن تقوى الله. ثم لنتبه إلى قوله سبحانه بعد ذلك: (( وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ )) التي تعني أنها إذا اتقينا الله سبحانه ولم نعد إلا بمثل ما اعدنا عليه، فالله سبحانه يكون معنا، أما إن زدنا بالاعتداء فالله سبحانه لا يكون معنا. ومع هذا يجب أن نذكر قوله سبحانه: (( وَلَا تَرْرُ وَازِرَةٌ وَزِرَارَ أُخْرَى )) فلا حاول أن نقص من الأبناء بجريمة الآباء، ولا من الأخ بجريمة أخيه، ولنتبه إلى قوله سبحانه في سياق الآيات الآتية: (( فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ )) و (( فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ )).

ويقول سبحانه: (( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ )) [النحل: 126].

والعجب في الأمر أن الماركسية كانت طيلة القرن الميلادي العشرين تقتل المسلمين في كل مكان بالملايين وعشرات الملايين ومائتها، وتregor المسلمين بالسجون في كل مكان بعشرات الألوف ومئات الألوف والملايين، وتشرد المسلمين في كل مكان بالملايين، والمسلمون يشتتون أمريكا والصلبيّة، ويشتتون معها الأنظمة التي تقف سداً أمام المذموم الماركسي وبعضها يطبق الإسلام شرعاً ونظام حياة. (كان هذا قبل الدجلية التي تقول إن الماركسية انتهت!!).

ثم نطلب من الله سبحانه النصر، وهو طلب عجيب، نضع أنفسنا جنوداً لقاتلتنا وهاكى  
أعراضنا ونجعل من أنفسنا آلات أو فنابل ندمر أنفسنا في الهجوم على أعداء قاتلينا ومشردانا  
وهاكى أعراضنا وناهبي أموالنا!!! ثم نطلب النصر من الله سبحانه!!

فأي نصرٍ هذا الذي نطلب؟! وعلى من ننتصر؟!

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصفنا بأننا غثاء كغثاء السيل. يأتي السيل  
فيجرف الغثاء، فلا يعرف الغثاء من أين هو آت لأنَّه غثاء، ولا إلى أين هو ذاهب لأنَّه غثاء، ولا  
يشعر إن كان هناك سيل يجرفه، وهل يشعر الغثاء بالسيل؟

فإن كنا، حقيقةً نري النصر فعلينا، أو لا التخلص من العثانية، للتخلص من العثانية لا  
يوجد أمامنا إلا طريق واحدة هي طريق العلم الذي نستقيه، أو لا، من الوحي الذي أنزل على محمد  
صلى الله عليه وسلم بعد فهمه فهماً صحيحاً سليماً لا فهماً غثانياً أو صوفياً كما هو واقعنا، وثانياً  
من حقائق العلم التي توصلت إليها الإنسانية في هذه العصور.

ولنبدأ بنصوص الوحي، بالآية التي جعلناها عنواناً لهذه المقالة، بقوله سبحانه: ((إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)).

إذن فلنعمل على تغيير ما بأنفسنا بالأسلوب الصحيح، بالأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر بالأمر بالمعروف بالمعرفة المعروفة معرفة صحيحة، وبالنهي عن المنكر  
بالمعرفة وبعد معرفة المنكر معرفة صحيحة.

ثم بتطبيق قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم  
يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

لكن تطبيق هذا الحديث محكوم بقاعدة "المفسدة لا تزال بمفسدة".

فمن رأى أمامه منكراً، فيجب عليه أن يغيره بيده إن كان يستطيع، وذلك ضمن ثلاثة  
شروط لازمة صارمة:

الشرط الأول: أن تكون محاولتنا لتغيير المنكر بأيدينا مدروسة دراسة علمية وافية من قبل  
علماء متخصصين بموضوع المنكر الذي نريد تغييره وبالظروف التي تحيط به. وهذا يعني أن  
علم الشريعة وحده لا يكفي، بل لا بد معه من العلم الواقعي بموضوع المنكر وبالظروف المحيطة  
به.

الشرط الثاني: أن يكون الأسلوب الذي تتبعه أسلوباً علمياً مدروساً دراسة وافية من قبل علماء مسلمين صادقي الولاء للإسلام مختصين بعلم النفس الاجتماعي، على ألا يكونوا حاملين لأفكارٍ صوفية، أو أفكارٍ ماركسية ألبسوها ثوباً إسلامياً، كأفكار حزب التحرير.

الشرط الثالث: ألا تكون محاولتنا يمكن أن تؤدي إلى مفسدة، فتكون حينئذ كمن ينفق جهده ووقته وماله لاستبدال الكولييرا بالطاعون.

وإذا فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة، عندئذ تُمنع محاولة تغيير المنكر باليد، ويأتي دور اللسان.

وتغيير المنكر باللسان هو الأسلوب الفعال واللازم في جميع الأوقات، حتى مع التغيير باليد، إذ أن التغيير باليد إذا لم تسبقه دعوة وشروح وتبيان، وتصاحبه دعوة وشروح وتبيان، فسوف تكون نتيجته مفسدة تضاف إلى المفسدة التي يراد تغييرها.

وفي حالة انتشار الفساد في المجتمع، فالوسيلة الوحيدة لإزالته هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مع العلم أنه من الواجب أن نعرف أن هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون دون كلل ولا ملل، ولا أقول يجب أن يستمر أياماً ولا شهوراً ولكن العمر كله.

فإذا التزم كل واعظ وكل خطيب وكل مدرس في المساجد أو في المدارس أن يبدأ كل وعظ وكل خطبة وكل درس بالدعوة إلى الصدق والأمانة، لمدة أربع دقائق أو ثلاثة، ثم يخوض في الموضوع الذي يريد شرحه، بل إذا التزم كل مسلم أن يدعو إلى الصدق والأمانة في كل جلسة وكل مناسبة، إذا فعلوا ذلك، فستظهر النتائج، أو سيبدأ ظهور النتائج بعد سنوات يمكن أن تصل إلى عشر سنوات وقد تزيد وقد تنقص.

قد يقول قائل إن هذا وقت طويل، والجواب هو أن نصل إلى مجتمع يسوده الصدق والأمانة بعد عشر سنوات خير من ألا نصل أبداً.

وعندئذ نأمل النصر من الله.

وعندئذ نأمل أن يستجاب لنا إذا دعونا.

وعندئذ نأمل أن يهديننا الله سبحانه إلى الطريق المستقيم، طريق النصر في الدنيا والآخرة والله الحمد أولاً وآخراً وفي جميع الأحوال، وإليه المشتكى وهو المستعان إنه على كل شيء قادر.

## طريق التمكين

(( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يُكُنْ لَهُمْ بَيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيَبْلُوَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا إِعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ )) [النور: 55].

(( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [70] يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا )) [الأحزاب: 70 – 71].

توضح لنا الآية الأولى أن الطريق إلى الاستخلاف في الأرض حسب سنن الذين كانوا من قبل وإلى التمكين هو الإيمان والعمل الصالح (( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يُكُنْ لَهُمْ بَيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ دِينَهُمْ ..)).

والآية الثانية (( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يُكُنْ لَهُمْ دِينَهُمْ ..)) توضح لنا طريقاً، بل الطريق إلى العمل الصالح الذي هو تقوى الله سبحانه وقوله السديد.

أما تقوى الله سبحانه فهو معروف مجملها، وهو اتباع أحكام القرآن وصحيح السنة. والاختلاف في تفصيلها يمكن مناقشته مع العلم أن أكثر الاختلاف ناتج عن أغلال أو غفلة أو سوء فهم أو ضلال مبين وغير مبين، ومع العلم أن بعض الضلال، أو المذاهب هدفه الكيد للإسلام.

وموضوعنا هنا هو القول السديد (... وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)، والقول السديد هو القول الذي لا يوجد فيه أخطاء تخالف الشرع أو تخالف الواقع، وهو، أي القول السديد، ينبع أو يترجم عن الفكر السديد والفهم الصحيح والمعرفة اليقينية "علم اليقين".

إذن، فإذا أردنا أن ننتصر بإسلامنا، فجليبا علينا أن نفهم هذا الإسلام فهماً صحيحاً سليماً، وليس على مبدأ "إنا وجدنا آباءنا.." بل على الدراسة العلمية المستقصية لكل ما وصلنا بما في ذلك ما قال أسلافنا من العلماء والمفسرين والمجتهدين.

ويجب أن نعلم أن مقوله "كلهم عن رسول الله مقتبس" التي يستعملونها لتبرير أغلال علمائنا السابقين هي مقوله فاسدة، بل وخطيرة، لأن الواقع أن هناك صواباً وغلطاً، وكل ابن آدم خطاء، ويجب على علمائنا أن يجتهدوا ليميزوا الغلط من الصواب، وهذا بالنسبة للأمور الشرعية.

أما بالنسبة لأمور الواقع، فيجب أن نعلم أننا نعيش الآن فتنة الدجال التي سيظهر الدجال في آخرها، وأن كل معلوماتنا عن الواقع، أو تسع وتسعون بالمئة، هي أغلاط بعضها فادح.

فيجب علينا إعادة دراسة الواقع مستقيدين من دراسة عقائد الأقوام وفلسفاتهم من كتبهم وأساليبهم، ثم دراسة تاريخهم القديم والحديث دراسة منبقة من التقصي والبحث عن الحقائق التي أخفاها الدجل الممنهج والمبرمج والتقيّة المتقنة.

إن الدليل على أن أفهاماً وانطباعاتنا عن الواقع كلها مغلوبة وغير صحيحة، هو أن واقعنا غير سليم وغير مفهوم للنظرة السطحية وغير مقبول، وهذا يعني أن أقوالنا غير سديدة كما تقرر ذلك الآية الكريمة، وهذا يعني أن أفكارنا ومفاهيمنا عن الواقع غير صحيحة.

ومن أكبر أغلاطنا، بل ضلالاتنا، تلك المقوله الكافرة التي تربط صلاح الأمة بوجود الخليفة، هذه الفكرة التي تناقض آيات القرآن الكريم التي منها الآياتان الواردتان أعلاه، والتي بثها في الأمة وبيتها حزب التحرير، فألغت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجّة أن هذا يلهمي عن الهدف الوحيد الذي هو الخلافة، وهكذا دخلوا كثيراً من أفراد هذه الأمة في متأهّات اتباع سُنن بنى إسرائيل الذي تقرّه الآية الكريمة ((لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ [78] كَانُوا لَا يَتَّهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لَبَئْسٌ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ))[المائدة: 78 – 79]. وأخرجوهم من حكم الآية ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ))[آل عمران: 110] وبعاملي التكرار الغزير الغزير والزمن دفعوا الأمة إلى المتأهّات التي تعيشها الآن، وهيّروا كثيراً منها ليكونوا جنوداً تقوم على أكتافهم الانقلابات الماركسية التي ليس لمؤسسها ومحركيها إلا هدف واحد هو إقامة إسرائيل الكبرى.

وطبعاً، الدجل الذي لا حدود له هو السدى واللحمة للفتنة.

## الفصل السابع

### استدراكات على كتب سابقة

– كتاب "براهين على أن الإسلام هو الحقيقة التي يبحثون عنها".

– كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن".

– كتاب "الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ".

قد لا يتيسر لي أن أعيد طباعة هذه الكتب المذكورة، وعليها استدراكات وإلحادات واجب إضافتها، لذلك رأيت إيرادها هنا لئلا تضيع.

— كانت الطبعة الأخيرة لكتاب "براھین" هي الطبعة الرابعة، وقد كانت هي الطبعة الثانية بالنسبة للمؤلف لأن الطبعات التي بعد الأولى وقبل الرابعة كانت بدون إذنه ولا علمه. إذن فقد كان من اللازم أن تكون هذه الاستدراكات على هذا الكتاب قد أضيفت إلى الطبعة التي سميت "الرابعة" والتي هي الثانية بالنسبة للمؤلف، لكن جلّ الذي لا ينسى.

— أما الاستدراكات على كتاب "الكشف عن حقيقة الصوفية.." فقد كان من اللازم أيضاً أن تضاف إلى الطبعة الثانية، لكن صاحب دار النشر الذي أصدر الطبعة الثانية أبى أن يضيف إليها شيئاً لأن هذا كان سيكلفه مبالغ إضافية لم يكن يريد أن يدفعها.

— لا أدرى، فقد لا يُبَسِّر لي إعادة طبع الكتب الثلاثة المذكورة، لذلك رأيت إضافة هذه الاستدراكات عليها هنا في آخر هذا الكتاب، لأنها في الصميم من مواضيعها وإذا شاء الله سبحانه ويسّر إعادة طبعها فستضاف هذه الاستدراكات، إن شاء الله، في أماكنها في تلك الطبعات، أو تضاف ملحقة في آخر الكتاب.

## استدراكات

على كتاب "براھین" على أن الإسلام هو الحقيقة التي يبحثون عنها". وأرقام الصفحات المذكورة هنا هي بالنسبة للطبعة الرابعة من الكتاب.

— استدراك على مبحث "حالة الصاعد في أعلى الجو" (براھین ص 48):

يقول سبحانه: ((وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ..)).

يلاحظ هنا أن الآية تقول: ((كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ)) ولم تقل "كم يرجم في السماء" وذلك لأن السماء هنا تعني ما علام من جو الأرض حيث لا يحتاج الصاعد فيها إلى أي عروج. وإنما يكون العروج عند الذهاب في الفضاء الكوني حيث لا يمكن للذاهب فيه إلا أن يصطدم ب مجرم بعد مجرم بعده مجرم، ولو كانت المسافة بين الجرم والآخر تقاس بالسنين الضوئية أو بعشرات السنين الضوئية أو بآلافها أو بمئات الآلافها أو بملايينها، لأن أبعد الكون تقاس بعشرات المليارات من السنين الضوئية. وحيثما كان اتجاه الذاهب فيه فسيصطدم بمئات الأجرام وبآلافها بل وملايينها،

لذلك يجب عليه أن يندرج عن خط مساره كلما اقترب من جرمٍ واقع في خط مساره لثلا يصطدم به. وكذلك يندرج مساره كلما مر في ساحة جاذبية جرمٍ ما وخاصة إن كان هذا الجرم كبيراً، وذلك بفعل جاذبية هذا الجرم، وهذا وذلك هو العروج.

فلو قالت الآية: "كأنما يعرج في السماء" لعرفنا أنه ينطلق في فضاء ما بين النجوم وما بين المجرات، لكن عندما قالت "يصعد" عرفنا أن الانطلاق في جو لا عروج فيه، وأنه يشعر أثناء انطلاقه بأنه يصعد إلى الأعلى، وهذا يعني أنه خاضع لجاذبية الأرض، وهذا يعني أنه ينطلق في جو الأرض.

— استدراك على مبحث: "تغیر اللون مع شدة الحرارة" (براهين ص 58).

ورد هناك الحديث كما يلي: "أوقد على النار ألف سنة حتى احرمت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة".

وأذكر أني قرأت هذا الحديث في الترمذى وفي ابن ماجه بالشكل التالي: "أوقد على النار ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى احرمت، ثم أوقد عليها ألف سنة.. ألح" أي إنه جعل الابيضاض أولاً، ثم الاحمرار، ثم الاسوداد، وهذا صحيح أيضاً، فعندما تشتت الحرارة بعد الابيضاض يبدأ لون التوهج بالترing نحو السوداد ماراً باللون الأحمر الكامد الذي يزداد كموداً كلما ازدادت الحرارة اشتداداً حتى يصل إلى السوداد، فالاحمرار الذي يحدث بعد الابيضاض يختلف بلونه عن الأحمر المتوجه الذي كان قبل الابيضاض.

وهكذا يبقى الحديث مطابقاً للواقع بأي من لفظيه، مع اعتقادى أن هذا الاختلاف بين اللفظين هو من غلطٍ أو نسيان وقع فيه أحد رواته الأوائل أو المتأخرین.

والإعجاز في هذا الحديث هو معرفته صلى الله عليه وسلم أن الأجسام إذا ارتفعت حرارتها إلى درجات عليا من الحرارة يصبح لونها أسود مظلماً!!

فكيف عرف ذلك؟؟!! وقد كانت الدنيا كلها تجهله!

— استدراك على مبحث "الكوكب الأرضي" (براهين 59):

في كتب التفسير وفي المعاجم اللغوية يجعلون معنى الآية (( والأرضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَّاهَا )) أي بسطها، وفي ما عدا هذه الآية يأخذون كلمة "دحا" بمعناها اللغوي المذكور في المبحث المذكور! وذلك لأن كون الأرض مدحوة بالمعنى اللغوي المعروف لكلمة "دحا" أي إنها مدقوفة

ومدحراً، كان غريباً كل الغرابة بالنسبة لهم، ولم يكن معقولاً ولا مقبولاً، فاجتهدوا لإيجاد حل لهذا اللغز المثير بالنسبة لهم، فرأوا أنه يجب أن تكون "دحا الأرض" تعني "بسطها" ليستقيم النص مع توراتهم التي كانوا يعتقدون أنها الواقع، فجعلوها كذلك، محاولةً منهم للتفاعل مع قوله سبحانه: ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا )) هذه الآية التي تعني بوضوح أن النص إن كان مختلفاً مع الواقع فلا يكون من عند الله سبحانه.

وهكذا يكونون قد اجتهدوا فأخطأوا فلهم أجر واحد، ولهم منا الثناء على مجدهم وآدائهم.  
والدعاء لهم، رضي الله عنهم وأثابهم الجنة، وهم بذلك معذورون ومشكورون.

أما الذين يقلدونهم في هذا العصر، عصر معرفة الواقع، فهم غير معذورين وعليهم أن يتعلموا، ونسأل الله سبحانه أن لا يكونوا موزورين.

— استدراك على مبحث "ذو القرنين" (براھین ص 143).

قلت في أواخر هذا المبحث في الصفحة 157 في السطور الأخيرة منها ما معناه إنني أظن أن خروج يأجوج ومأجوج قريب، وكان هذا هو ما كتبته في مجلة "حضارة الإسلام" الدمشقية في حوالي عام (1970م) وردتني في الطبعة الأولى من كتاب "براھین" وحتى الطبعة الرابعة.

لكن بعد دراسة متأنية للنصوص تبين لي أن خروجهم سيكون في إفساد يهود الثاني، إذ نحن الآن نرى إفسادهم الأول. وقد بينت هذا في كتاب "من جغرافية القصص القرآني" وأكرر هنا.

\* \* \*

استدراك على مبحث "طلع الشمس من المغرب" (براھین ص 194):

في المبحث المذكور قلت ما معناه إن طلوع الشمس من مغربها سيكون بسبب دوره طارئة للأرض حول محور عمودي على محور الليل والنهار في اتجاه عمودي أيضاً، على خط الاستواء في نقطة من نقاطه، مع بقاء دورة الليل والنهار ثابتة في سرعتها واتجاهها الأصلي بالنسبة للكرة الأرضية ومحورها.

وقلت إن هذه الحادثة الغريبة فعلاً قد حصلت في التاريخ الجيولوجي أكثر من مرة وأوردت نتائج البحوث العلمية في ذلك.

وقلت في "الخلاصة": إن طلوع الشمس من مغربها حادث غريب جداً بالنسبة للإنسان لكنه عادي بالنسبة للكرة الأرضية ولعله خاضع لقانون كوني.

لكني بعد صدور الطبقة الرابعة للكتاب بوقت قصير انتبهت أن الذي يحدث هو انزلاق طبقة الرداء (السيما) في اتجاه عمودي على خط الاستواء في إحدى نقاطه، حيث تنزلق حاملة فوقها القشرة الأرضية (السيال) بقاربها وبحارها، وهذه الطبقة (الرداء) عندما تنزلق، فالذي أظنه أو أرجحه أنها تنزلق دون إحداث اضطرابات أو زلازل مدمرة، بل لها لا تحدث أي اضطراب! وذلك لأن سطحها السفلي الذي ينزلق على السطح العلوي للطبقة التي تحتها هو أملس أو شبه أملس، لا يوجد فيه نتوءات تسبب تداخلات مع السطح الذي تنزلق فوقه، يضاف إلى ذلك أن قوام السطحين، بل الطبقتين وما تحتهما من الطبقات هو قوام عجيني بسبب التقل الهايل الرايس فوقها. هذا إن كان انزلاقها يبدأ ببطء شديد جداً ثم يأخذ بالتسارع شيئاً فشيئاً، حتى إذا انزلقت مئة وثمانين درجة أو ما حولها يرى الناس الشمس تشرق من المكان الذي كانت تغرب فيه، وطبعاً يبقى مطلعها يتغير، وكذلك، طبعاً، مغربها ما دامت مستمرة بالانزلاق، ثم تأخذ بالتباطؤ شيئاً فشيئاً حتى التوقف.

أما الثقالة فستبقى متساوية متزنة كما كانت، لأن سبب تساوي الثقالة قائم بين القشرة والرداء فقط، وقد لا يحدث أي تغير لاتجاه الشاقول في هذا الانزلاق .

وأكرر أن مثل هذا حدث في التاريخ الجيولوجي عدة مرات ولا حاجة لتكرار البحث العلمية التي جرت وإلى نتائجها ،ويمكن مراجعتها في الطيارات السابقة لكتاب "براھین" أي الطبعة الرابعة وما قبلها .

ملاحظة: لقد أوردت هذا الاستدراك في كتاب "في مسيرة الأعجاز العلمي في القرآن" في آخره . وأعيده هنا احتياطاً ولأهمية الموضوع .

\* \* \*

### استدراكات

على كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي.." وأرقام الصفحات الواردة هنا هي بالنسبة للطبعة الأولى.

— استدراك على مبحث ((يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)) (في مسيرة الإعجاز العلمي ص 123):

بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب أعلاه بأيام، زارني الأستاذ مأمون حسن الجبان، من دمشق (حي المزة) ومدرس علم الأحياء في الإمارات العربية المتحدة، وأعلمني أن اللؤلؤ يخرج من المياه العذبة، لكن قيمته دون قيمة اللؤلؤ البحري، كما أعلمني عن الذباب ما هو استدراك على مبحث الذباب، وهو الآتي، فجزاه الله سبحانه خيراً في الدنيا والآخرة.

\* \* \*

— استدراك على مبحث "الذباب" (في مسيرة الإعجاز العلمي ص 143):

كما مر في الاستدراك السابق، بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب أعلاه بأيام، زارني الأستاذ مأمون حسن الجبان، من دمشق (المزة)، وأستاذ علم الأحياء في الإمارات العربية المتحدة وأعلمني أن تحت جناحي الذباب يوجد غدتان يفرزان مادة قاتلة للجراثيم "مضادة حيوية" وقد اكتشف هذا طبيبان ألمانيان أنسى اسميهما. وهكذا يتوضّح جلياً مقصد الحديث الشريف وإعجازه العلمي. والحديث هو "إذا وقع الذباب في شراب...".

كما أعلمني عن اللؤلؤ الذي يخرج من المياه العذبة والمذكور في الاستدراك السابق، فجزاه الله خيراً في الدنيا والآخرة.

— استدراك على مبحث "الإحاق" (مناقشة في بضعة أمثلة..). (في مسيرة الإعجاز العلمي ص 296).

مر في المبحث المذكور أن القديس بولس هو الذي فتح في العقيدة المسيحية أبواباً على العقائد التي كانت سائدة في زمنه ليكسب ما يمكن كسبه من أهلها.

وقد يسأل سائل: كيف لنا أن نعرف هذه الحقائق؟ والجواب:

- 1 — عند دراسة تلك الديانات مع دراسة المسيحية تتبيّن هذه الاستعارات أو التبنّيات بوضوح واضح، وقد أورتها بإيجاز في المبحث المذكور في الكتاب المذكور أعلاه.
- 2 — من اعتراف القديس بولس نفسه الذي ورد في العهد الجديد، في "رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس" ص 19/9 — 23 حيث يقول:

.... فإنني إذ كنت حراً من الجميع، استعبدتُ نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس. مع أني لست بلا ناموس الله بل تحت ناموس المسيح، لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً، وهذا أنا فعلته لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه... اهـ. (الذين بلا ناموس يعني الوثنيين عباد البعل والرومان).

وهذا القول يوضح بكل وضوح أنه أخذ من كل عقيدة أسسها وجمعها في عقيدته الجديدة، وقد مررت مفردات هذه المجموعات في البحث المستدرك عليه المذكور أعلاه.

لكني أنسى هناك، في البحث المستدرك عليه شيئاً مما أخذه من العقيدة الرومانية مستدرك فأضيفه هنا؟؟

إنه تحليل لحم الخنزير، ولحم الأرنب:

لقد جعل القديس بولس التوراة وملحقاتها (العهد القديم) هي الأساس للديانة الجديدة. والتوراة تحرم لحم الخنزير والأرنب فقد جاء في سفر اللاويين إصلاح 11 عدد 6 - 7 - 8: "... والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم، والخنزير، لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين، لكنه لا يجتر، فهو نجس لكم، من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوها، إنها نجسة لكم..." اهـ.

لكن الرومان وكل أوروبا، كانت الخنازير عندهم تأتي في رأس قائمة الثروة الحيوانية، وكانت تربية الأرانب منتشرة عندهم، كما كان الأرنب البري يأتي في رأس قائمة طرائد الصيد وما بعد الرأس أيضاً، وتحريمهما يشكل عائقاً يجب أن يحسب حسابه أمام قبول الرومان لأطروحة الديانة الجديدة.

لذاك ألغى القديس بولس هذا التحريم وأحل لهم الخنزير والأرنب.

والملاحظة التي يجب الانتباه إليها هنا، أن النص التوراتي يقول: إن الأرنب يجتر؟! وهذا غير صحيح، فالأرنب لا يجتر، ولا يمكن أن تكون الجملة التوراتية وحياً إلاهياً، وإنما هي من وضع بشر جاهل بواقع الأرنب.

أما يوم الأحد وجعله عيداً أسبوعياً، فقد تبنّته المسيحية بعد مؤتمر نيقيه سنة 325م، ويظهر أن ذلك كان لإرضاء للإمبراطور قسطنطين الأول الذي أعطى أصحاب عقيدة التثليث

كامل الصالحيات في فرض عقidiتهم على بقية النصارى الذين كانوا يرون المسيح نبياً فقط. ويقدر التاريخ الكنسي بأنهم قتلوا من الموحدين الذين سموهم "الهرطقة" حوالي ستة آلاف ألف هرطقي. أي ستة ملايين. منهم قصة أصحاب الأخدود.

## أستدراكات على كتاب

### الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ

#### تصحيح الكلمات

<u>الصواب</u>	<u>الخطأ</u>	<u>السطر</u>	<u>الصفحة</u>
وأن	رأن	14	13
عقيدة	عقيد	18	13
نطق حكمنا	نطق حكما	19	13
رجال مسلمون	رجال مسلمون	4	17
النفزي	النفرى	الحاشية2	163
تلاعب بالألفاظ	السطر قبل الأخير قبل الحاشية تلاعب بالألفاظ	190	
حفظك الله	حفظلك الله	14	226
التسقيانية	التسقائية	2	372
بيني وبين ربي	بين وبين ربي	8	417
ياتعلّملياً	ياتتعلّميها	3	423
جوابنا مثل	جوابنامثا	12	545
غير	غير	1	729
(سوفية، أو سوفي)	(سوفية، أو سوفية)	9	740
"الهيلينيسية"	"الهيلينيسية"	الحاشية	749

ولا أستبعد وجود أخطاء غيرها.

## استبدال جمل بغيرها

### الجملة البديل

### ما يحذف

### الصفحة

المؤرخ المفقيه أحمد بن  
أحمد.. نسبته إلى "عبرى" من قبائل  
البربر في المغرب مات مقتولاً  
704 هـ - 1304 م

الحاشية (4) كلها تبدل بـ

163

:

ذكرتها في الطبعة الأولى على أنها  
طريقة صوفية أخذًا عن عالم دمشقي  
المعروف صوفي" ثم تبين لي من  
كتاب للشيخ النورسي وآخر لأحد  
تلاميذه، ثم من مقالة في مجلة  
التصوف الإسلامي المصرية  
(العدد 2 سنة 19 ص 12) أنه لم يكن  
صوفياً بل كان من الداعين إلى  
الالتزام بالكتاب والسنة. وكان يجب  
أن ينوه بهذا في الطبعة الثانية لولا  
التقصير. ويطلق على الجماعة  
النورسية في تركيا اسم "نور  
جولار"، وحرباً لو وقفوا في الأمور  
السياسية مع جماعة أربكان، على  
ألا يتركوا الأمر بالمعرفة  
بالمعرفة وبالبحث العلمي، والنهي  
عن المنكر بالمعرفة وبالبحث  
العلمي.

السطر الخامس من الأسفل تحذف  
عبارة "ابرز المشايخ الذين لم  
يتعرضوا للتصفية في زمن  
مصطفى كمال" ويضاف بعد  
عبارة "منتشرة في تركيا" الفقرة  
الآتية:

367

نسبة إلى أبي العباس (أو أبي  
الطراير) أحمد بن عروس، تونسي،  
أقام على سطح فندق بتونس ليل  
نهار إلى أن مات في 868هـ –  
1464م. ولعلها فرع من الشاذلية.

لموقفهم من عثمان بن عفان  
وبغضهم لعلي بن أبي طالب رضي  
الله عنهم.  
ولا يسأل البينة.

تعريف العروسية كله (فقط  
التعريف) يتبدل بـ: 371

"قولهم بتكفير علي بن أبي طالب"  
(السطر 6 من الأسفل تبدل بـ: 783

"ولا يسأل عما يفعل" في الحاشية،  
السطر الثاني من الآخر تبدل بـ: 801

## إضافات

— توضع الإضافة التالية إما في أول صفحة من الكتاب أو في آخره، حسبما يراه المشرف على الطباعة. وهي:

لقد أدرجت عبارة "لأول مرة في التاريخ" في اسم الكتاب "الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ" من أجل الأهداف التالية:

أ — الذين يقرؤون من أمتنا قليل، وأكثر هذا القليل لا يقرؤون إلا مواضيع ثابتة خاصة بهم لا يتعدونها إلى غيرها إلا على الندرة. فلعل هذه العبارة "لأول مرة في التاريخ" تثير فيهم الفضول فيقرؤوا هذا الكتاب.

ب — على رفوف المكتبات العامة والخاصة كتب كثيرة تحاول دراسة الصوفية ومناقشتها، لا يفكر القراء بقراءتها!؟ فلعل عبارة "لأول مرة في التاريخ" تثير فيهم الفضول ليقرؤوا هذا الكتاب.

ج — جميع الذين ناقشوني في موضوع الكتاب، أو (على الأقل) أكثرهم، كانوا يعترضون على حقائقه بأقوال قالها فلان وفلان وفلان من السالفين والمعاصرين. فكانت عبارة "لأول مرة في التاريخ" ردًا مسبقًا عليهم وعلى أمثالهم، تقول لهم إن فلاناً وفلاناً وغيرهم كانوا يجهلون حقيقة الصوفية، فلا نقولوا قال و قال، لكن ناقشوا الكتاب مما فيه.

— ولقد كانت النية وضع هذه الملاحظة في أول الكتاب في الطبعة الأولى، ثم في الطبعة الثانية، لكن حال دون ذلك الإهمال والتقصير.

— الصفحة 35، السطر الثالث من الأسفل (من غير الحاشية). بعد عبارة "هذا أسلوب معروف من أساليب المغالطة" تضاف العبارة التالية:

بمثله يمكن تركيبة أي كتاب لأي مؤلف.

— ص 277، الحاشية (2)، بعد عبارة "أحد الشباب الأدباء" يضاف (أبو محمد علي الحاجي). فتصير الجملة كلها كالتالي: (2) أطلق أحد الشباب الأدباء (أبو محمد علي الحاجي) على الجذبة الصوفية اسم "التحشيش الروحاني" وهي تسمية صحيحة.

— ص 281: يضاف في آخرها (بعد آخر فصل "الحقيقة المحمدية") ما يلي:

## قصة مرسلة

حدث أحدهم، قال: خطيب في جامع المولوية في دمشق كان موضوع خطبته حب النبي صلى الله عليه وسلم، وما قاله كمثل على هذا الحب ما ملخصه: إن امرأة راودها شيخ عن نفسها كثيراً وكانت تمنع، ومرة سألهما ذلك "بحب النبي إن كانت تحبينه" فلم يسعها إلا الاستسلام لشدة حبها للنبي صلى الله علي وسلم. اهـ.

أقول: هذا على كل حال أهون من تاليه النبي صلى الله عليه وسلم.

– ص 357، في آخر تعريف "الكترونية"، بعد عبارة "بأحد تلاميذ عبد القادر" يضاف: قُتل على أيدي التتار في حرب التتار على باب خوارزم.

– ص 360، في آخر تعريف "الهندانية"، بعد عبارة "في نشر التشيع في إيران" يضاف: وفي الهند.

\* \* \*

– ص 373، في آخر تعريف "الكافكائية" بعد عبارة "أو بمعنى الأخوية" يضاف وهم يجعلونها متصلة بأحمد الغزالى أخي أبي حامد.

\* \* \*

### الحق بـ "كشف بطائفة مما يسمونه الطرق الصوفية" (آخرها ص 375):

– الكيزانية: نسبة إلى محمد بن إبراهيم.. الكناني المعروف بابن الكيزاني، شاعر زاهد، حارب الدعاية الشيعية في مصر، توفي سنة 562هـ / 1167 م في القاهرة، وقد بقىت طريقته حتى القرن التاسع الهجري.

– المشيشية: نسبة إلى عبد السلام بن مشيش (أو بشيش).. الإدريسي الحسني، مغربي، ولد وعاش في جبل العلم بثغر طوان، وقتل فيه على يد جماعة عام 622هـ / 1225 م، ودفن في قنة الجبل.

– الباجرية: أسسها محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجر بقي، من باجر بقي، من قرى ما بين النهرين، أنشأ في دمشق فرقته الضالة، فحكم عليه القاضي بضرب عنقه سنة 704هـ ففر إلى مصر وأقام في الجامع الأزهر، وكانت تحدث على يديه الخوارق ويتفوه بعظام الأمور (أي

لا يكتم السر)، فشهادوا عليه بالزندقة، فتوجه إلى بغداد ثم عاد متخفيًّا إلى دمشق، وأقام في القابون (كانت من ضواحي دمشق) إلى أن مات سنة 724هـ / 1324م.

— **الجلالية**: أسسها جلال الدين البخاري، فقير هندي، أتباعه يُسمّون "جلالي" وهو المتوجلون من فقراء الهند الشمالية وأوسط آسيا، مات سنة 785هـ / 1383م في "أوجه" حيث ضريحه، وهي غير الجلالية المولوية.

— **السبُّنبلية**: أسسها سنبل سنان الدين يوسف، استعمل الرقص في سائر الحفلات الدينية، كان له عدة تكايا في استانبول وما حولها، مات سنة 929هـ / 1522م.

الصادمية: طريقة راقصة مُطلَّة، ممن قاومها: إبراهيم بن علي بن أحمد القادي من علماء الشافعية في دمشق، توفي سنة 880هـ / 1475م.

الحاحية: نسبة إلى سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي المناني، من أهل القرن العاشر الهجري، كانت زاويته في جبل "درن" ببلاد السوس في المغرب، وقد انتهت الطريقة عندما تحولت إلى ملك على يد حفيده يحيى بن عبد الله بن سعيد الذي تسلط على "تارودانت" مستقلًا عن مراكش إلى أن توفي سنة 1035هـ / 1626م.

— **طاووسية**: أسسها طاووس العرفاء آغا محمد كاظم تباکوفروش، الأصفهاني، لقب بطاووس لولعه بالثياب الجميلة، مات سنة 1293هـ / 1876م.

— **الطبيبية**: مركزها "وزان" في المغرب، وبها مزارات لهم.

— **الكافانية**: في المغرب، كان شيخها سنة 1925م / 1372هـ الشريف سيدي الكفاني منحه الرئيس الفرنسي "أوريل" في 6 مارس 1952 وسام الليجبيون دُونور (جوقة الشرف).

— **الروشنية**: أسسها بايزيد أنصارى، هندي، لقبه "بيرروشن" قتله ملك الأفغان.

— **السيماونية**: نسبة إلى قرية "قلعة سيماؤنة" من قرى أدرنة في تركيا، أسسها ابن قاضي سيماؤنة "الشيخ بدر الدين محمود بن إسرائيل"، ولد في قلعة سيماؤنة، لعله في حوالي 1370م أو بعدها بقليل، سافر إلى مصر ثم إلى مكة، ورجع إلى مصر حيث أدركته الجذبة، ثم سافر إلى تبريز، وعندما جاء تيمورلنك إلى تبريز أكرمه كثيراً، ثم سافر إلى بدليس ثم إلى مصر ثم إلى حلب ثم إلى قونية، ولعله توفي فيها.

— الياسوية: هي نفس الياسوية الوارد اسمها في صفحة سابقة دون تعريف حيث لم أكن قد عثرت على تعريفها في طبعة هذا الكتاب الأولى. مؤسسها الشيخ أحمد اليسيوي من المغول، نشأ وتوفي في مدينة "يس" التي عرفت فيما بعد باسم "تركمستان" وهي في منطقة "تشيمقند" في جمهورية قازاقستان (حالياً) توفي سنة 562هـ / 1166م. لها دور في انتشار الإسلام بين المغول والقبائل التركية والقازاخية، قاوموا القياصرة، انقسمت إلى فرقتين:

— لارشي: التي وقفت مع لينين وحاربت في صفوفه، ثم صاروا يقاومون الشيوعية لكن بعد فوات الأوان، وبعد أن مزقتهم الشيوعية ومزقت المسلمين معهم كل ممزق، حيث أبادت عشرات الملايين، وشردت كثيراً من الباقي، وفتحت للجميع سجون التعذيب وسجون سiberia لشق الطرق ومد السكك الحديدية تحت السطاخ.

— الإيشان: وقفت ضد لينين والشيوعية من أول الأمر.

و القادرية في الاتحاد السوفيatic الشيوعي: انقسمت إلى أربع فرق:

- 1 — طريقة كونتاجي (الورد النظامي)، أي نفس أوراد القادرية الجيلانية.
- 2 — بطل حجي بلهورييف. مركزها بلاد الإينغوش ثم انتشرت في الشيشان والdagستان.
- 3 — بامات حجي ميتانييف، مركزها بلاد الإينغوش.
- 4 — تشيم ميرزا، مركزها مقاطعة شامي من بلاد الشاشان.

— طريقة عويس حجي: أسسها عويس حجي زاغييف من الشاشان، سنة 1955، أثناء العيش في مجاهل سiberia منفياً مع ملايين المسلمين بأوامر من لينين ثم ستالين من بعده.

الطريقة الفيزوفية: انبثقت من النقشبندية أنشأها شيخ تترى اسمه "بهاء الدين فيزوف" (vaisove) في قازان في الستينات من القرن الثامن عشر الميلادي، وفي أوائل القرن العشرين أصبحت خليطاً متافراً من المتصوفة والملحدة والسلفيين والاشتراكيين الماركسيين، حاربت مع لينين وقتل شيخها "إيان فيزوف" (وهو ابن مؤسسها) سنة 1918 في ترانسبولاك وهو يقابل في صفوف البلشفيك، ثم اتحد أعضاؤها مع البلشفيك باسم الدفاع عن الطهارة الدينية.

— البركانية: لعلها فرع من الكستزانية، أو لعل الكستزانية فرع منها. وقد حدثنا الأخ جمال محمد أحمد البasha (تخرج بالشريعة في بغداد) عن "علي أبو عمر" ناقل الطريقة من كركوك إلى الفلوجة، والذي كانت تحدث معه خوارق المشي على الماء والطيران في الهواء وعدم تأثير

الرصاص فيه كما يشيرون، أنه كان يحس أثناء تلبسه بالخارقة أن شيئاً كان يتلبسه، والطريقتان "الكستزانية والبرفكانية" فرع من القدرة.

— الحدادية العلوية: فرع من العلوية، لها وجود في حضرموت والهند، من شيوخها "شيخ بن محمد بن شيخ بن حسن الجفري العلوى الحسيني" مات 1222هـ / 1808م.

— الدلائية: في المغرب، من شيوخها سليمان بن محمد بن عبد الله الشفشاوني الفارسي الشهير بالحوّات. مات سنة 1231هـ / 1861م.

السلامية: نسبة إلى عبد السلام بن سليم، تونسي، توفي سنة 1573م.

— الكلشنية: الشيخ إبراهيم الكلشني أضفى عليها وضعاً قوياً أثناء وجوده في مصر في السنوات الأخيرة من الحكم المملوكي فيها.

— الليثية: لها وجود في القاهرة، يذكرها زكي مبارك في كتابه "التصوف الإسلامي".

— التامودزنتية: نسبة إلى بلدة تامودزنت في المغرب.

— البوعزّاوية: موجودة في المغرب.

وطرق لم أعثر على أكثر من اسمائها، ولعل أكثرها موجود في مصر:

— العشيرة المحمدية — الجعفرية الأحمدية المحمدية — الفاسية الشاذلية — السمانية  
الخلوتية — الجنيدية الخلوتية — الضيفية — الحسينية — السعدية — الشيخونية — المرزبانية.

\* \* \*

في الصفحة 627، في آخر مبحث "مناقشة الذكر" يضاف ما يلي:

استدراك: آياتان في القرآن الكريم فيما الجواب الفصل على كل الأذكار التي لم يرد فيها نص:

يقول سبحانه: ((فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الظَّالِّينَ )) [البقرة: 198].

المطلب في هذه الآية هو قوله سبحانه: ((وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ)).

ويقول سبحانه: ((فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ )) [البقرة: 239].

المطلوب هنا هو قوله سبحانه: ((فَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلِمْتُمْ)).

ذكر الله سبحانه يكون كما هدانا وكما علمنا، من حيث الشكل ومن حيث الموضوع، وكل ذكر خلاف هديه سبحانه وتعلمه، أي خلاف ما ورد به نص عن الوحي هو باطل.

و واضح أن هذه الأذكار الصوفية مخالفة لنصوص القرآن وصحيح السنة من حيث الموضوع، وأكثرها، أو أكثر من أكثرها تخالف تعاليم القرآن والسنة شكلاً وموضوعاً فهي تجمع المخالفتين لذلك فهي باطلة.

\* \* \*

— الصفحة 788 بعد السطر السابع، أي بعد الجملة "كما تشم منها زاخمة رائحة الكشف والرؤى الكشفية" يضاف ما يلي:

ومما جاء في كتاب (كتاب الدروز المقدس) في الرسالة المسمى "الرسالة الدامغة للفاسق، الرد على النصيري لعنه المولى في كل كور ودور":

.. وموانا جل عز لا يدخل في الأعداد ولا يعد في الآحاد. إذ كانت الأعداد والآحاد والأزواج والابتداء والانتهاء. كلها منه بدت وإليه تعود...اهـ.

ومما جاء في رسالة "الموسومة بكشف الحقائق":

... أقول بمشية مولانا جل ذكره وتأييده. بأن الباري سبحانه أظهر من نوره الشعشاعي صورة كاملة صافية. وهي الإرادة وهو هيولي كل شيء. وبه تكوينهم.. وسمى تلك الصورة عقلاً.. قد اجتمعت فيه الطبائع الخمسة. وأحصى فيه جميع ما هو كائن إلى ما لا نهاية له. وجعله إمام الأئمة. موجوداً في كل عصر وزمان. وهو السابق الحقيقى (الحمزة بن علي)... وهو مدرك محسوس يأكل ويشرب..اهـ.

ومما جاء في رسالة "الموسومة بالرشد والهدایة".

.. مبدع الأشياء ورب الآخرة والأولى. أبدع العقل (الحمزة بن علي) من محض نوره...  
وأوجد فيه الأشياء كلها في دفعه واحدة. وعقل به جميع المخلوقات. وجعله أصل المبدعات..  
موجوداً في كل عصر وزمان.. اهـ.

تُلاحظ وحدة الوجود واضحة في هذه النصوص: "... منه بدت وإليه تعود.. أظهر من نوره الشعشياني صورة.. وأحصى فيه جميع ما هو كائن.. أبدع العقل من محضر نوره.. وأوجد فيه الأشياء كلها.. وجعله أصل المبدعات.." .

يقول عبد الله النجار (عله أول درزي كشف حقيقة المذهب) في كتابه "مذهب الدروز والتوحيد" ص44:

... وبعد أربعة قرون جاءت العقيدة الدرزية تألف بين الصوفية وهذه المثالية، فجعلت العقل "الكلي" المنبع من الله أصل الوجود، ذاهبة بذلك إلى أن الله المعل خلق أولاً العقل علة الأشياء كلها، وأبدع من نوره الكائنات.. اهـ.

ويقول في نفس الكتاب ص 50 و 51:

فشارکهم (أي الصوفية) في أكثر ذلك فيما بعد، جماعة الموحدين (الدروز) الذين لا يزال أشياخهم حتى اليوم يتزلعون بالعبارات الصوفية ويمارسون مناسك المتصوفة وتبعاتها إلى حد بعيد.. اهـ.

\* \* \*

— ص 731 يضاف البحث التالي:

قدس الله سره:

نسموها كثيراً منهم ومن غيرهم، فماذا تعني؟

مر معنا أن السر عندهم هو لطيفة في القلب، وهو بالنسبة للقلب كالروح بالنسبة للجسم، وبالسر يحصل لهم الكشف والفناءات والتحقق بالألوهية وانكشفها لهم (هكذا يعتقدون).

ويعتقدون أن هذا السر (الموهوم) يكون غافلاً، أو غافياً، أو محظوظاً، وبالرياضة يقدسه الله سبحانه، فترزول عنه الغفلة وينكشف الحجاب، فيستشعر ألوهيته ويتذوقها ويتحقق بها ويعرفها إحساساً وذوقاً وتحققاً... إلى آخر العبارات، وبذلك يتقدس ويصير قدوساً.

هذا هو تقديس السر، وهذا هو معنى "قدس الله سره"، أي جعله قدوساً إلاهاً يحس بالألوهية، وبذلك يكون هذا الدعاء "قدس الله سره" محسواً بوحدة الوجود التي هي كفر مبين. ومثل هذا ذلك الدعاء الذي يقول: "يا واصل المنقطعين أوصلنا إليك" الذي يعني "أوصلنا إلى استشعار أننا أنت، إلى استشعار الألوهية وتنبؤها والتحقق بها".

وفي آخر الصفحة 873 (أي في آخر الفصل الأخير في آخر الصفحة منه) يضاف ما يلي:

وأسأل الله سبحانه أن يجزي كل من أuan على إخراج هذا الكتاب الخير في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب، وهذا دعاء لا يشمل اللص منهم.

انتهى بحمد الله سبحانه.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
5	المقدمة.....
6	للذكر.....
7	الفصل الأول: العقل والواقع.....
11	الفصل الثاني: توضيحات بعضها مكرر للحاجة إلى تكرارها.....
13	العلم المسبق.....
14	تفسير الآيات العلمية (آيات الآفاق والأنس) .....
25	إلحاد لا يخلو من فائدة.....
28	فهم نصوص الوحي حسب سنن الله سبحانه في خلقه .....
35	الذين جعلوا القرآن عضين .....
37	إن الله لا يحب المعتدلين .....
43	الفصل الثالث: من آيات الآفاق .....
45	سُرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .....
49	كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [5] لَتَرَوُنَ الْجَحِيمَ [6] ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ.....

52 .....	(( والقمرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ))
54 .....	سعة الكون.....
60 .....	المعارج.....
68 .....	تعليق.....
70 .....	الظلام الدامس بين النجوم وال مجرات .....
76 .....	وأنزلنا الحديد.....
79 .....	لحم الخنزير.....
88 .....	المسخ.....
95 .....	الجن.....
98 .....	إبليس.....
98 .....	الشياطين.....
99 .....	الماء والجن.....
101 .....	الخلاصة.....
104 .....	المس الشيطاني.....
109 .....	مقاعد الجن في استراق السمع.....
111 .....	من الإعجاز (الجراثيم).....
114 .....	الخلاصة.....
115 .....	من يبني بيوت النحل.....
117 .....	من يبني بيت العنكبوت؟ ذكره؟ أم أنثاه؟.....
119 .....	الفصل الرابع: هل اليوم الآخر آت؟.....
121 .....	هل اليوم الآخر آت.....
122 .....	اليوم الآخر.....

الخطوط الكبرى في مسيرة الكون ..... 124	
الصراط ..... 130	
إن الإنسان لفي خسر ..... 146	
أبواب جهنم ..... 150	
ما بعد الجسر ..... 156	
الجنة ..... 161	
أبواب الجنة ..... 168	
استرداد ..... 170	
الفصل الخامس: كونيات ..... 177	
أولئك الذين كفروا أن السموات والأرض كانت رتقا فتقناهما ..... 179	
السموات السبع ..... 183	
الحياة في الكون ..... 185	
توسيع الكون ..... 189	
الفصل السادس: من آيات الأنس ..... 191	
الاستحاضة عرق ..... 193	
إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ..... 196	
طريق التمكين ..... 204	
الفصل السابع: استدراكات على كتب سابقة ..... 207	
استدراكات على كتاب "براهين على أن الإسلام هو الحقيقة التي يبحثون عنها" ..... 210	
استدراك على مبحث: "تغير اللون مع شدة الحرارة" ..... 211	
استدراك على مبحث "الكوكب الأرضي" ..... 211	
استدراك على مبحث "طلوع الشمس من المغرب" ..... 212	

استدراك على كتاب "في مسيرة الإعجاز العلمي" ..... 214
استدراك على مبحث الذباب ..... 214
استدراك على مبحث "إلحاد (مناقشة في بضعة أمثلة...) ..... 215
استدراكات على كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ..... 217
إضافات ..... 220
قصة مرسلة ..... 221
إلحاد بـ "كشف بطائفة مما يسمونه الطرق الصوفية (آخرها ص 375) ... 221